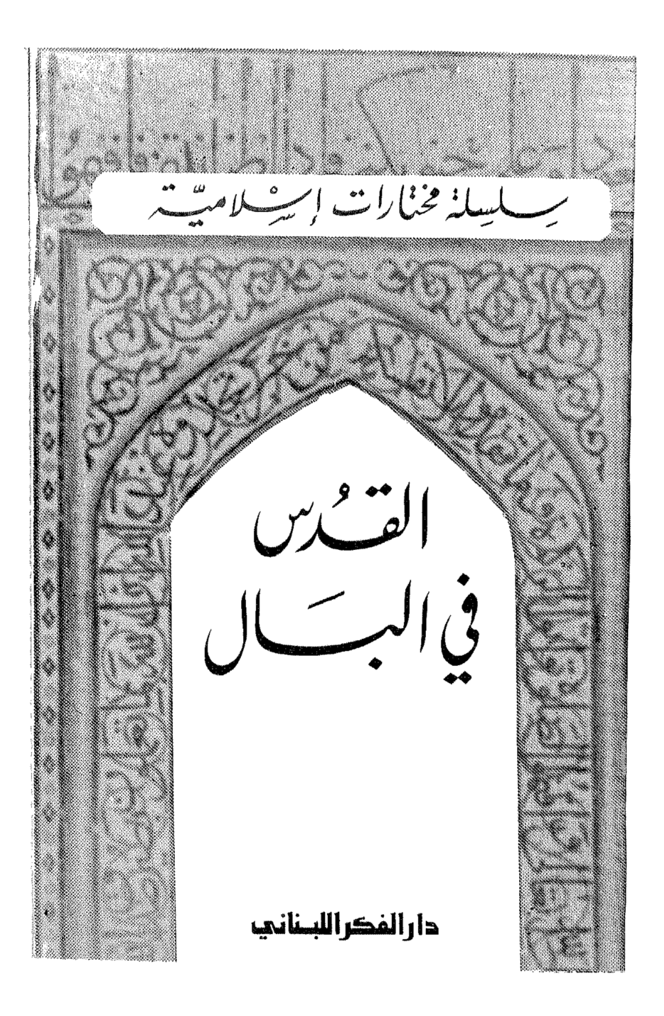
مختارات إسلامية

المجلد الثالث

ر الفكر اللبناني - بيروت


سلسلة مختارات إسلامية
القدس في البال
دار الفكر اللبناني

سلسلة
مختارات
إسلامية

القدس في البال

« المقدسات الاسلامية في فلسطين والآيات القرآنية والأحاديث النبوية حول القدس »

عن المقدسات الاسلامية
في فلسطين

الناشر : دار الفكر اللبناني
تلفون : ٢٣٧٠٩٥ - ٢٥٦٤١٨ - ٢٥٥٥٤٩
تلكس : ٢٣٦٤٨ - ص.ب ٤٦٩٩ - بيروت - لبنان



كلمـــة

خلاصة موجزة عن المساجد والمعابد والمقدسات التي دافع المسلمون عنها في مختلف العصور وبذلوا في سبيل حفظها أرواح مئات الألوف من الشهداء الأبرار وأبقوها وديعة في أعناق المسلمين والعرب .

المسجد الأقصى المبارك

إليه أسرى الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس ، ومنه كان المعراج الشريف إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى . فقد خصّه الله تعالى بهذه المعجزة الباهرة ، معجزة الإسراء والمعراج ، وجعله سبحانه قبلة الاسلام الأولى ، إليه ولى النبي ﷺ والمسلمون وجوههم في صلواتهم حيناً من الدهر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة ، فهو أولى القبلتين ، وثالث المسجدين ، الذي نوّه الله تعالى بقدره ومكانته في قوله عزّ وجل ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير﴾ : سورة الإسراء .

وأخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه « أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس » الحديث : رواه البخاري .

وروى الطبري في تاريخه عن قتادة قال « كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة . وبعدما هاجر رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام » .

وقال النبي ﷺ « لا تشدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (التاج) .

ورواه البخاري رواية أخرى بلفظ « لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدي » هكذا أخرجه البخاري بتقديم المسجد الأقصى على مسجده الشريف . (البخاري) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال « سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال « المسجد الحرام » قلت : ثم أي ؟ قال « المسجد الأقصى » : الحديث : رواه البخاري ومسلم والنسائي (التاج) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتيت بالبراق فركبته ، حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم عرج بنا إلى السماء » الحديث رواه مسلم في صحيحه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط ، فرفعه الله لي (أي بيت المقدس) أنظر إليه ما يسألونني عن شيء إلاّ أنبأتهم به . وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء (يعني في بيت المقدس) فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه ﷺ فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد ، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت إليه فبدأني بالسلام » رواه مسلم (التاج) .

وعن زهير بن محمد بلاغاً عن النبي ﷺ : « إن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات ، وخص فلسطين بالتقديس » رواه إبن عساكر ، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم حديث ١٧٠١ ، قال العزيزي شارح الجامع الصغير أي بارك في البقعة ـ أو الأرض ـ التي بين العريش والفرات أ . هـ .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ ، إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات ، رجالهم ونساؤ هم وإماؤ هم مرابطون إلى يوم القيامة ، فمن إختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو

في جهاد إلى يوم القيامة » . أخرجه القاضي مجير الدين الحنبلي المقدسي في الأنس الجليل .

وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ أنها قالت : يا رسول الله ، أفتنا في بيت المقدس . فقال : « أئتوه فصلوه فيه ، فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله » . رواه أبو داود في السنن ، وأخرجه إبن ماجة بسند صالح .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاة في المسجد الذي يجتمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » رواه إبن ماجة . وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب .

وعن أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أهلَّ بحجة أو عمرة من الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » أو « وجبت له الجنة » رواه أبو داود في سننه . ثم قال : يرحم الله وكيعاً أحرم من بيت المقدس (يعني إلى مكة) سنن أبي داوود ورواه البيهقي وإبن حبان في صحيحه وإبن ماجة . وأخرجه المنذري .

ورواه إبن حبان في صحيحه ولفظه : سمعت رسول الله ﷺ

يقول : « من أهلَّ من المسجد الأقصى بعمرة غفر له ما تقدم من ذنبه » قال : فركبت أم حكيم إلى بيت المقدس حتى أهلت منه بعمرة . أخرجه المنذري في الترغيب ج ٢ ص ١٢٠ .

جماعة من الصحابة اقترحوا دفن النبي ﷺ بجانب المسجد الأقصى

بلغ من عناية أصحاب النبي ﷺ بمكانة فلسطين الدينية ، وتقديسهم للمسجد الأقصى وما حوله من مقدسات وديار مباركة ، أن جماعة منهم رأوا أن ينقل جثمان النبي ﷺ إلى بيت المقدس ليدفن بجانب المسجد الأقصى بجوار مدافن أخوانه من النبيين قبله .

جاء في كتاب (حياة محمد ﷺ) تأليف الدكتور محمد حسين هيكل باشا « اختلف المسلمون حين توفى النبي ﷺ على المكان الذي يدفن فيه ، فقال جماعة من المهاجرين : يدفن في مكة مسقط رأسه ، وقال غيرهم : بل يدفن في بيت المقدس حيث دفن الأنبياء قبله » . أ هـ .

أولى القبلتين

هذه نبذة مختصرة مما حفلت به كتب الحديث والتفسير وكتب تاريخ الإسلام من فضائل المسجد الأقصى وما حوله من ديار

كة . وإلى جانب هذه المكانة الدينية التي امتاز بها فإنه يمتاز
ا بأبنيته الأثرية وقبابه العظيمة الباهرة ، ولا سيما قبة الصخرة
رقة وما فيها من النقوش والأعمدة والفسيفساء والزخرفة
رة التي تبهر أبصار كبار المهندسين فضلاً عن غيرهم ، مما
على عظمة المسلمين إبان دولتهم ، وبراعتهم الهندسية
مارية .

ولقد كان من ألقاب الخلفاء سلاطين آل عثمان ونعوتهم التي
ن بها في خطب الجمعة من على منابر بلاد المسلمين في مختلف
طار أن يقول الخطباء في وصف الخليفة « خادم الحرمين
يفين والمسجد الأقصى أولى القبلتين » .

مكان البراق النبوي الشريف

في بيت المقدس

في الجدار الغربي من المسجد الأقصى يوجد مكان البراق
ي الشريف ، حيث ترجل رسول الله ﷺ من فوق البراق
وصوله إلى بيت المقدس ليلة الإسراء به عليه السلام من
جد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس . وهذا
ن المقدس فيه موضع الحلقة التي ربط بها البراق الشريف ،
مكان مبارك يزوره المسلمون منذ القديم ، وهو جزء من
المسجد الأقصى من الجهة الغربية .

أخرج الحافظ أبو الفتح إبن سيد الناس في كتابه عيون الأ
سيرة النبي ﷺ من طريق أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله
في حديث الاسراء ووصف البراق الشريف ، أن رسول الله
قال « فأتاني جبريل عليه السلام فذهب بي إلى باب المس
فإذا دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل مضطرب الأذ
فركبته فكان يضع حافره مدَّ بصره وجبريل لا يفوتني ،
انتهينا إلى بيت المقدس ، فأوثقه بالحلقة التي كانت الأنبياء
بها » الحديث : عيون الأثر .

وأخرج الحارث بن أبي أسامة من طريق أنس وأبي
رضيَ الله عنهما « حديث ربط البراق الشريف بالحلقة التي
تربط فيها الأنبياء » رواه السهيلي في شرحه على سيرة النبي
لإبن هشام .

قبور الأنبياء والمرسلين وأضرحتهم الطاهر

وفي بيت المقدس وما حوله توجد أضرحة ومقابر الكثيرين
أنبياء الله ورسله الكرام :

فعلى مقربة من الأقصى بمدينة القدس يوجد ضريح نبي
داود عليه السلام ، وبجانبه (مسجد كبير) كانت تقام
الصلوات الخمس قبل أن يقع في حوزة اليهود وسيطرته

وحول القدس أضرحة ومقامات كريمة لبعض النبيين الكرام عليهم السلام ، وفيها مساجد أثرية كانت تقام فيها الصلوات والشعائر الاسلامية إلى حين وقوعها في حوزة اليهود ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن السلطان صلاح الدين زار بعضها حين قدم القدس بعد انتصاره على الصليبيين في (حطين) .

وشرقي القدس يوجد مقام نبي الله موسى الكليم عليه السلام ، وعليه (مسجد كبير) ، وحواليه أبنية وآثار إسلامية من بناء الملك الظاهر بيبرس ومن جاء بعده من ملوك المسلمين وسلاطينهم .

المسجد الابراهيمي

وجنوبي القدس تقع (مدينة الخليل) وفيها المسجد الابراهيمي الشريف حيث يوجد الغار الشريف الذي تضم قبر نبي الله إبراهيم الخليل وقبر زوجته السيدة سارة وأضرحة وقبور أبنائه النبيين إسحاق ويعقوب ويوسف وزوجاتهم الطاهرات عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه . وفوق هذا الغار المبارك جامع عظيم شاهق البناء هو (جامع مدينة الخليل) وما حولها تقام فيه الصلوات الخمس وصلوات الجمع والأعياد ، وهو من أعظم الآثار والأبنية الاسلامية الجليلة .

وعلى مقربة من قبور نبي الله إبراهيم وآل بيته الكرام يوجد. مقام نبي الله (يونس) عليه السلام في بلدة حلحول قرب مدينة الخليل ، وعليه مسجد أثري تقام فيه الصلوات .

بني نعيم

وفي قرية بني نعيم شرقي الخليل يوجد مقام نبي الله لوط عليه السلام ، وفيه مسجد أثري تقام فيه الصلوات وشعائر الاسلام ، وبجواره يوجد مزار اليقين وفيه مسجد أثري ، وبجواره مقبرة قديمة تضم قبور جماعة من آل بيت النبي ﷺ وقبور جماعة من الصالحين .

وفي كثير من مدن فلسطين الأخرى وقراها تقوم أضرحة جماعة من النبيين قرب مدينة الرملة وغيرها وعليها مساجد ولها أوقاف واسعة .

قبور صحابة النبي ﷺ

منذ فتحت جيوش المسلمين فلسطين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصحاب النبي ﷺ يفدون إليها لزيارتها ، والصلاة في مسجدها الأقصى ، وليحرموا منه بالحج

أو العمرة ، وليشاهدوا ما حوله من آثار وديار مباركة ، ومن كثيرون استوطنوا فلسطين أو جاؤها للجهاد في سبيل الله فما فيها شهداء أبراراً فقد استشهد من الصحابة رضي الله عن طائفة كبيرة في معارك اليرموك ،وأجنادين بقرب الرملة وفحل قرب بيسان ، ودفنوا في أرض فلسطين وانتشرت قبورهم سهولها وسائر أرجائها .

وفي طاعون عمواس سنة ١٨ هـ مات ٢٥ ألفاً من المسلمين بينهم كثيرون من المجاهدين ، وفيهم جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، وبعض التابعين وسواهم .

ولا تزال قبور وأضرحة بعض الصحابة موجودة إلى هذا الزمان في فلسطين ، مثل قبر الفضل بن العباس ابن عم النبي ﷺ في مدينة الرملة وعليه جامع أثري جليل ، وضريح سلمة بن هشام المخزومي الصحابي في بلدة سلمة قرب يافا ، وعليه مسجد كانت تقام فيه الصلوات قبل أن يقع في حوزة اليهود وسيطرتهم ، وبجانب بلدة سلمة توجد مقبرة الصحابة من شهداء (معركة أجنادين) بين الروم والمسلمين ، وهي تعرف باسم « مقبرة النحام » فيها قبور الصحابة الشهداء عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ابن عم النبي ﷺ وطليب بن عمير القرشي ابن السيدة أروى بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وأبان بن سعيد بن العاص الأموي وتميم بن الحارث

السهمي وأخيه قيس بن الحارث السهمي والحارث بن أوس بن عتيك وهبار بن الأسود المخزومي القرشي وهشام بن العاص بن وائل أخي عمرو بن العاص ، ونعيم بن عبد الله بن النحام وإليه تنسب هذه المقبرة ، ولعله أول صحابي دفن فيها .

وفي مقبرة باب الرحمة في بيت المقدس توجد قبور جماعة من الصحابة الذين سكنوا القدس وماتوا فيها ويعرف إلى هذا الزمان من قبورهم رضي الله عنهم قبر شداد بن أوس الصحابي عالم بيت المقدس وقبر عبادة بن الصامت الأنصاري أحد نقباء الأنصار وأول قاض مسلم في فلسطين ، وهما بجانب السور الشرقي للمسجد الأقصى .

وفي بلدة بيت جبرين غربي الخليل يوجد ضريح تميم بن أوس الداري الصحابي الجليل ، وعليه مسجد أثري ، وحواليه مزارع زيتون وقف عليه ، وهو الآن في حوزة اليهود .

وفي بلدة يبنا قرب مجدل عقلان يوجد ضريح الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر وحاكمها في خلافة عثمان إبن عفان .

وفي عسقلان يوجد مسجد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وفيه المقام الذي كان فيه رأسه الشريف قبل نقله إلى ضريحه بمصر .

ويوجد في مدينة غزة ضريح سيدنا هاشم عبد مناف جد النبي

ﷺ ، وعليه مسجد أثري جليل القدر ، وبه مدرسة تدرس فيها علوم القرآن .

وفي مقابر عكا والرملة وعسقلان وغزة وسواها من بلاد فلسطين توجد قبور طائفة من الصحابة الذين سكنوها بعد الفتح الاسلامي وماتوا فيها .

جماعة من أصحاب النبي ﷺ
يحرمون بالحج أو العمرة من بيت المقدس

منهم الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أحرم من المسجد الأقصى كما في الأنس الجليل .

وسعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة وقائد جيش المسلمين في القادسية ، قدم بيت المقدس وأحرم منه بعمرة : الأنس الجليل .

وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . أهلَّ بعمرة من بيت المقدس ، رواه الامام الشافعي في مسنده ج ٦ ص ٢٦٨ بهامش كتاب الأم . وفي رواية أن إبن عمر قدم بيت المقدس ومعه جماعة ، ويظهر أنهم جاءوا معه للإحرام منه بالحج أو العمرة (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) ، (والأنس الجليل) .

ويظهر من قصة إبن عمر وأصحابه أنه كان من عادة الصحابة رضي الله عنهم أن يأتوا جماعة إلى بيت المقدس لزيارته والإحرام منه ، ويدل لذلك ما رواه الإمام الشافعي رحمه الله عن عبد الله بن أبي عمار أنه أقبل مع معاذ بن جبل وكعب الأحبار في أناس محرمين من بيت المقدس بعمرة (حه الشافعي في الأم) .

وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قدم بيت س وأهلَّ منه بحج أو عمرة في زمن الشتاء · الأنس الجليل . ومثير الغرام .

ومحمود بن الربيع الأنصا ى الخزرجي رضي الله عنه قدم بيت المقدس وأهلَّ منه بحج وعمرة ، مثير الغرام والأنس الجليل .

وهناك كثيرون من أصحاب رسول الله ﷺ غير من ذكرنا قدموا لزيارة بيت المقدس والمسجد الأقصى والإحرام منه بحج أو عمرة عملاً بالحديث النبوي الشريف .

جماعة من التابعين

يقدمون لزيارة بيت المقدس وما حوله من مقدسات

وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم والطبقات بأخبار رحلة الألوف من أئمة الإسلام والملوك والسلاطين وكبار الأئمة من

الفقهاء والمحدثين والصوفية والزهاد والصالحين ، أقبلوا من أقصى الأرض إلى بيت المقدس لزيارته والصلاة فيه والتبرك بالمسجد الأقصى وما حوله من ديار وآثار إسلامية بارك الله فيها ، أو للجهاد والمرابطة في تلك الأراضي المقدسة .

وقد أسلفنا أخبار قدوم طائفة من أصحاب النبي ﷺ من الحجاز إلى بيت المقدس بقصد زيارته والإحرام بحج أو عمرة من المسجد الأقصى :

وقد تابعهم في العمل بهذه السنة الشريفة جماعات من التابعين قدموا إلى بيت المقدس لزيارته والصلاة فيه ، منهم التابعي الجليل أويس القرني قدم بيت المقدس ، واجتمع فيه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه . روى صاحب مثير الغرام في فضائل القدس والشام : « عن عثمان بن عطاء عن أبيه أن أويساً أتى بيت المقدس عام حج ، ولقى فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وفي رواية أخرى أن أويساً اجتمع بعمر بن الخطاب في موسم الحج في الحجاز ـ فقال لعمر : قد حججت واعتمرت وصليت في مسجد رسول الله ﷺ ، ووددت أني صليت في المسجد الأقصى ، فجهزه عمر رضي الله عنه فأحسن جهازه فأتى المسجد الأقصى فصلى فيه « مثير الغرام في فضائل القدس والشام » الأنس الجليل .

ويعلى بن شداد بن أوس أو ثابت الأنصاري من تابعي أهل

الشام حضر فتح بيت المقدس وروى عن أبيه شداد بن أوس الصحابي الجليل . الأنس الجليل .

وجبير بن نفير الحضرمي التابعي . أتى بيت المقدس فصلى فيه ، وهو من الطبقة الأولى من التابعين ، أدرك زمن النبي ﷺ وأسلم زمن أبي بكر رضي الله عنه . روى له مسلم وأصحاب السنن ، مات جبير سنة ٧٥ وقيل سنة ٨٠ هـ (مثير الغرام والأنس الجليل) .

وإبراهيم بن أبي عبلة العقيلي التابعي الجليل . روى عن أبي أمامة وأنس ، وروى عنه الإمامان مالك وابن المبارك وخلق كثير من العلماء قال : « كنت أنا وابن الديلمي في مسجد بيت المقدس ، فدخل واثلة بن الأسقع وعبد الله بن أم حرام الصحابيات فقمت إلى عبد الله وقام ابن الديلمي إلى واثلة بن الأسقع ، فأخبرني عبد الله أنه صلى مع رسول الله ﷺ إلى القبلتين (مثير الغرام والأنس الجليل ج). توفي إبراهيم ابن أبي عبلة سنة ١٥٢ كما في تاريخ دول الإسلام للحافظ الذهبي ».

وأم الدرداء هجيمة زوجة الصحابي الجليل أبي الدرداء ، كانت تأتي إلى بيت المقدس من دمشق وتقيم نصف سنة في بيت المقدس وبدمشق نصف سنة ، وكانت أثناء زيارتها للقدس تجالس الفقراء والمساكين وتحسن إليهم ، وقد خطبها معاوية بعد

وفاة أبي الدرداء فأبت . وحدث أنها كانت مرة في مسجد الصخرة في بيت المقدس وكان الخليفة عبد الملك بن مروان جالساً في المسجد فأذن المؤذن لصلاة المغرب ، فقامت أم الدرداء تتوكأ على عبد الملك حتى أدخلها إلى مكان النساء في المسجد ومضى فصلى بالناس : (مثير الغرام والأنس الجليل) .

وروى ضمرة عن الأوزاعي قال « كان قبيصة بن ذؤيب ، وعبد الله بن محيريز ، وهانىء بن كلثوم (التابعيون) يقصرون الصلاة من الرملة إلى بيت المقدس » وهؤلاء كلهم عباد زهاد . فقبيصة كان عالماً ربانياً مات سنة ٨٦ هـ ، وإبن محيريز قرشي جمحي نزل بيت المقدس ، قال رجاء بن حيوة : « إن فخر علينا أهل المدينة بعابدهم إبن عمر فإنا نفخر بعابدنا إبن محيريز » . وأما هانىء فقد عرضت إمارة فلسطين عليه فامتنع زهداً (مثير الغرام والأنس الجليل) .

وخالد بن معدان الكلاعي التابعي أتى بيت المقدس ونزل منه على ستة أميال (مثير الغرام والأنس الجليل) .

ورجاء بن حيوة الكندي كان هو القائم ببناء قبة الصخرة المشرفة ، ثم كان وزيراً لعمر بن عبد العزيز . (مثير الغرام) .

ومحمد بن واسع الزاهد الصالح جمعته الطريق ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وهم سائرون إلى بيت المقدس . وروى محمد عن أنس بن مالك ومطرف بن الشخير ، مات سنة ١٢٣ هـ (مثير الغرام) .

أبو شعيب الواسطي الزاهد الصالح

يحرم بالحج من بيت المقدس سبعين مرة

وروى العلامة صاحب كتاب مثير الغرام ص ٥٦ أن صالح إبن يوسف أبا شعيب الواسطي الزاهد التقى الصالح المتوفي بمدينة الرملة بفلسطين سنة ٢٨٢ هـ قد حج سبعين حجة في كل حجة منها كان يحرم من صخرة بيت المقدس .

الخلفاء الأمويون

قدم معاوية بن أبي سفيان إلى بيت المقدس سنة ٤١ هـ . قال الليث بويع معاوية بايليا بيت المقدس في رمضان بيعة الجماعة (مثير الغرام) . وعبد الملك بن مروان باني قبة الصخرة ببيت المقدس قدم إلى المسجد الأقصى وصلى فيه (مثير الغرام) .

الخليفة العادل عمر بن العزيز قدم بيت المقدس وصلى فيه (مثير الغرام) .

والوليد بن عبد الملك قال إبراهيم بن أبي عبلة التابعي المقدسي : كان الوليد يعطيني قصاع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس (مثير الغرام) .

والخليفة سليمان بن عبد الملك أتى بيت المقدس وأتته الوفود

بالبيعة ، كان يجلس في صحن مسجد بيت المقدس فيما يلي الصخرة فيدخل إليه الناس لقضاء حوائجهم . وكان سليمان قد هم بالإقامة في بيت المقدس واتخاذها منزلاً وعاصمة لدولته بدلاً من دمشق (مثير الغرام) .

الخلفاء العباسيون

الخليفة ابو جعفر المنصور قدم بيت المقدس سنة ١٤١ هـ زائراً ، واجتمع فيه بالامام الليث بن سعد . قال الليث لما ودعت أبا جعفر ببيت المقدس قال « أعجبني ما رأيت من شدة عقلك ، فالحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك » . (مثير الغرام والأنس الجليل) .

والخليفة المهدي بن المنصور قدم بيت المقدس وصلى فيه وأمر ببناء ما تشعث من المسجد الأقصى (مثير الغرام) .

جماعة من أئمة الإسلام المجتهدين

يزورون بيت المقدس والمسجد الأقصى

كان أئمة المسلمين من العلماء المجتهدين والزهاد والصالحين حريصين على العمل بحديث النبي ﷺ في شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى لزيارته والصلاة فيه ، فقد قدم بيت المقدس من

الكوفة الإمام (سفيان الثوري) إمام أهل العراق في عص
المجمع على جلالته وزهده وورعه ، صلى في المسجد الأقص
بموضوع الجماعة . وقال صدقة بن يزيد : لقيت سفيان الثور
في مسجد الجماعة في بيت المقدس فقلت له : أتيت القبة
الصخرة ؟ فقال : نعم وختمت فيها القرآن . (الأنس الجا
ومثير الغرام) .

والإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو أحد الأئمة الإعا
وفقيه أهل الشام ومجتهدهم ، وكان رأساً في العلم والعبادة
قدم بيت المقدس وزار المسجد الأقصى (الأنس الجليل وم
الغرام) .

الامام الليث بن سعد عالم مصر وإمامها في عصره قدم بي
المقدس سنة ١٤١ هـ لزيارته والصلاة فيه ، واجتمع فيه بالخل
أبي جعفر المنصور العباسي . مات الإمام الليث في مصر م
١٧٥ هـ (فتوح البلدان للبلاذري والأنس الجليل وم
الغرام) .

والإمام الشافعي محمد بن إدريس القريشي أحد الأئ
الأربعة ، ولد في مدينة غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ وقدم بي
المقدس فصلى فيه وقال : سلوني ما شئتم أخبركم من كتاب
وسنة رسوله ﷺ (الأنس الجليل ومثير الغرام) .

والإمام وكيع بن الجراح قدم بيت المقدس وأحرم منه

مكة ، وكان وكيع من أئمة الحديث الاعلام ، روى عنه إسحق والإمام أحمد بن حنبل وقال : ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ (الأنس الجليل ومثير الغرام) .

جماعة من شيوخ الصوفية

وكبار الأولياء الصالحين

كان الصالحون من المسلمين منذ فجر الاسلام حريصين على الرحلة إلى بيت المقدس من أقصى الأرض من مختلف أقطار الشرق والغرب ، وقد حفلت كتب التاريخ بأسماء جماعات من أعيان لا يحصيها العد ممن قدموا في مختلف العصور إلى فلسطين لزيارة المسجد الأقصى والتبرك به وبما حوله من مقدسات وديار مباركات . فمن كبار الصالحين الذين قدموا بيت المقدس لزيارته والصلاة في المسجد الأقصى المبارك (إبراهيم بن أدهم) أحد كبار الزهاد ، كان من أتباع التابعين وثقاتهم ، قدم بيت المقدس زائراً ونام بالصخرة . وله قصة في ذلك .

إن إبن أدهم من كبار شيوخ الطريقة الاعلام له قدم صدق في التقوى والورع والزهد والدعوة إلى تهذيب النفس ترك الامارة ورحل من بلده بلخ فجاء إلى بلاد الشام ومنها إلى بيت المقدس للزيارة والعبادة ومكث فيه مدة ، وتوجد في بيت المقدس

(الزاوية الأدهمية) نسبة إلى إبن أدهم ، وبجانبها قبور جماعة من الصالحين من أتباع طريقته ، وموضع قبورهم في مغارة بأسفل جبل (مقبرة باب الساهرة) بالقدس ، وهو مكان يزوره المسلمون .

وقد رابط إبن أدهم في حصون عكة وعسقلان وسواها من سواحل فلسطين مجاهداً في سبيل الله حتى أدركه الموت سنة ١٦١ هـ وهو مرابط ، وقبره في مدينة جبلة بالشام مشهور رحمه الله (الأنس الجليل . ومثير الغرام ومختصر تاريخ إبن عساكر . وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني) .

وذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الصالح المشهور ، أحد رجال الطريقة الصوفية ، وكان أوحد وقته علماً وورعاً وأدباً ، قدم بيت المقدس وقال : وجدت على صخرة بيت المقدس « كل عاص مستوحش ، وكل مطيع مستأنس » إلخ . . . (وفيات الأعيان والأنس الجليل ومثير الغرام) .

وبشر بن الحارث الحافي أحد رجال الطريقة الصوفية من كبار الصالحين وأعيان الأتقياء المتورعين ، قدم بيت المقدس وقيل له : لم يفرح الصالحون ببيت المقدس ؟ قال : لأنها تذهب الهم ، ولا تشتغل النفس بها . وقال : ما بقي عندي من لذات الدنيا إلّا أن أستلقي على جنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس (وفيات الأعيان والأنس الجليل) .

والسرى بن المغلس السقطي أحد رجال الطريق كان أو
أهل زمانه في الورع والتوحيد ، وهو خال أبي القاسم ا
وأستاذه . قدم السرى بيت المقدس زائراً وقال خرجت من الر
إلى بيت المقدس فمررت بمشرفة وغدير ماء وعشب . ثم
قصة له في ذلك (وفيات الأعيان ومثير الغرام والأنس الجليل .

وجعفر بن محمد النيسابوري المحدث قدم بيت المقد
وحدث به سنة ٢٧٠ (مثير الغرام) .

والإمام محمد بن الوليد الطرطوشي الأندلسي المالكي قرأ
إبن حزم ، كان إماماً عالماً زاهداً قدم بيت المقدس في حدود
٤٧٠ هـ وحج ثم سكن الشام (مثير الغرام) .

والامام حجة الاسلام (الغزالي) . قدم أبو حامد محمد
محمد الغزالي الطوسي بيت المقدس زائراً ، وأقام في ج
المسجد الأقصى مدة غير قصيرة ، ونزل في (الزاوية الغزالية)
باب الرحمة على الجدار الشرقي للمسجد الأقصى ، وفيه صنف
كتاب (إحياء علوم الدين) وسواه من المصنفات العلم
المشهورة .

قال الحافظ أبو محمود المقدسي في كتابه (مثير الغرام بفضا
القدس والشام) : وانتقل الغزالي إلى بيت المقدس مجتهداً
العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة ، وأخذ في التصانيف

المشهورة ببيت المقدس مثل (إحياء علوم الدين) و (القسطاس) و (محك النظر) وغيرها : توفي الغزالي بطوس سنة ٥٠٥ هـ (مثير الغرام والأنس الجليل وتاريخ إبن كثير) .

والإمام أبو بكر بن العربي الأندلسي الأشبيلي الحافظ المشهور ، لقى الطرطوشي وتفقه عليه وصحب الغزالي . وقدم الامام أبو بكر إلى بيت المقدس في حدود سنة ٤٨٥ ورأى به خلقاً كثيراً من العلماء ، وزار أثناء ذلك بلد الخليل عليه السلام ومقام النبي يونس عليه السلام في بلدة حلحول قرب الخليل على طريق القدس ، وقد ذكر ذلك في كتابه أحكام القرآن . مات أبو بكر سنة ٥٤٣ هـ بأشبيلية (الأنس الجليل ومثير الغرام) .

والإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني الشافعي . قدم بيت المقدس زائراً له وهو في أيدي الصليبيين (كما في الأنس الجليل ومثير الغرام) .

أبو بكر الجرجاني من أهل جرجان من أعمال نيسابور كان عابداً صالحاً ، توجه هو وأبو سعد السمعاني إلى زيارة بيت المقدس فذهبا ولم يفترقا حتى رجعا إلى العراق . قال إبن السمعاني في حقه : كان نعم الصاحب والرفيق ، وهو شيخ صادق صالح ، قائم بكتاب الله ، دائم البكاء كثير الحزن ، له أوقات حسنة ، جاور بمكة سنين وخدم المشايخ الكبار . مولده سنة ٤٦٥ ووفاته سنة ٥٤٠ (مثير الغرام) .

ومنذ فجر الاسلام والأتقياء والصالحون من المسلمين يقدمون من أقصى الأرض إلى بيت المقدس للاحرام منه بحج أو عمرة عملاً بحديث النبي ﷺ ليفوزوا بمغفرة ذنوبهم جزاء إحرامهم من المسجد الأقصى بحج أو عمرة كما أخبر الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه .

وإلى هذا الزمان كان الكثيرون من أتقياء المسلمين يأتون إلى بيت المقدس من الهند الأفغان وجاوة (أندونيسيا) وبلاد المغرب وسواها من أقطار الإسلام في آسيا وأفريقيا وبعض أرجاء أوروبا وسائر بلاد الاسلام في الشرق والغرب يقدمون للاحرام بالحج أو العمرة من المسجد الأقصى قبل سفرهم إلى مكة والمدينة وقام عدد كبير من العلماء والصالحين من المغاربة والمشارقة والهنود والأفغانيين والأتراك وسواهم قد أهلوا بالتلبية بحج أو عمرة في المسجد الأقصى بعد أن تجردوا من ثيابهم المخيطة وارتدوا أردية الأحرام البيضاء النقية عاملين بالسنة النبوية ليفوزوا بالآجر الجزيل المنوه عنه بقول النبي ﷺ « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » أو « وجبت له الجنة » الحديث .

قبور شهداء المسلمين وأضرحتهم

منذ الفتح الاسلامي استشهد في فلسطين مئات الألوف من شهداء المسلمين ، تنتشر قبورهم وأضرحتهم في المدن والقرى

الفلسطينية ، وفي القدس بمقبرة ماملا (مأمن الله) التي هي الآن تحت سيطرة اليهود توجد قبور وأضرحة سبعين ألف شهيد من قتلى المسلمين في حروب الصليبيين ، منهم طائفة من العلماء والقادة والصالحين من المجاهدين استشهدوا بداخل المسجد الأقصى وما حوله من جنبات القدس وشوارعها ، وقد عبث اليهود أخيراً بهذه المقبرة وانتهكوا حرمة شهداء المسلمين ، وفتحوا في هذه المقبرة شوارع وداسوا فوق عظام الشهداء بأقدامهم وسياراتهم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

ولا تخلوا مدينة من مدن فلسطين وقراها الكبرى من مقبرة للشهداء ، ولقد قدر عدد من استشهدوا في فلسطين من المسلمين في (الحروب الصليبية) التي استمرت أكثر من مائتي عام بما يزيد عن مليون شهيد قدموا من أنحاء العالم الاسلامي للدفاع عن فلسطين المقدسة ومسجدها الأقصى المبارك فاستشهدوا فيها .

وفي عين جالوت قرب مدينة بيسان شمال فلسطين استشهدت طائفة كبيرة من أبطال الإسلام في قتال التتار حين هزمهم في عين جالوت جيش مصر بقيادة الملك المظفر قطز والظاهر بيبرس ، فحملوا فلسطين ومصر من عادية التتار .

وفي الثورات والحروب التي قام بها أهل فلسطين من المسلمين والعرب ضد عدوان الانجليز واليهود خلال ثلاثين سنة

تشهدوا فيها ألوف من رجال فلسطين وشبابها المجاهدين قتلوا
صاص الانجليز واليهود وقنابلهم ، ومئات منهم شنقهم
نجليز بعد أن قبضوا عليهم وأعدموهم ، ويضاف إلى ذلك
لوف من الشهداء الذين ماتوا في حرب فلسطين أخيراً (سنة
١٩١ ـ سنة ١٩٤٩) بعد دخول الجيوش العربية إليها وما
فرت عنه من كارثة فاجعة .

ومن حين احتل الانجليز فلسطين وهم يعملون بكل حيلة
سيلة مدة ثلاثين سنة لتهويدها ومحو صبغتها الاسلامية
ربية ، بقصد جعلها يهودية محضة ، ففشلوا بسبب قوة إيمان
ل فلسطين وثباتهم في مقاومة سياسة الانجليز واستمساكهم
قهم في وطنهم وديارهم ، إلى أن قرر الانجليز الجلاء عن
طين ، ونفذوا مؤامرتهم مع اليهود فسلموهم أكبر المدن ،
، حيفا ويافا واللد والرملة ، ومكنوهم بذلك من السيطرة على
سم الأكبر من فلسطين ، وهو عبارة عن ١٢ مدينة كبرى ،
رالي ٧٠٠ قرية فيها ما يزيد على ألف مسجد وجامع ـ الكثير
ا بني في عهد عمر بن الخطاب ومن جاء بعده من خلفاء
لمين وملوكهم وسلاطينهم وحكامهم ، ومن تلك الجوامع
ساجد جوامع يافا وحيفا وعكا وصفد وطبريا والناصرة وبيسان
مخ وقاقون وقيسارية والشيخ مونس وسيدنا علي والرملة واللد
جدل وعسقلان والفالوجة وبئر سبع وبيت جبرين وعراق
بية وما حول تلك البلاد من القرى التي كانت إسلامية عربية

محضة يسكنها نحو مليون مسلم عربي ، إلى أن غزاها اليهود وفقاً لخطة الانجليز والأمركيين وغيرهم من أعداء الاسلام فشردوا أهلها منها ، وأجلوهم عنها ، وسيطروا على أراضيها وجميع ممتلكات المسلمين والعرب ، كما سيطروا على جميع مساجدها ومعابدها وسائر ما فيها من مقدسات المسلمين وآثارهم فيها .

الزوايا الصوفية والتكايا الاسلامية

وإلى جانب المساجد والجوامع في بلاد فلسطين توجد مئات عديدة من الزوايا والتكايا والخانقاهات الصوفية منتشرة في مدن فلسطين وقراها ، من أشهرها (الخانقاه الصلاحية) التي أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي في مدينة القدس . و (زاوية الشيخ بدر الدين الحسيني) بظاهر القدس بما فيها من أضرحة الشيخ بدر وآل بيته وجماعة من الصالحين . وفي مدينة القدس (زاوية الشيخ جراح) و (الزاويـة النقشبنديـة) و (زاوية القادرية) و (الزاوية الخلوتية) و (الزاوية الأدهمية) و (الزاوية الهندية) و (الزاوية الرفاعية) و (الزاوية الأفغانية) و (الزاوية الفخرية) و (زاوية أبي مدين) و (زاوية المغاربة) وغير ذلك من الزوايا الصوفية التي تقام فيها الصلوات والأذكار وتقرأ فيها الأوراد الصوفية .

وفي مدينة الخليل زوايا صوفية كثيرة العدد ، منها (زاوية

الشـرفـاء) و (زاويـة الـرفـاعيـة) و (زاويـة الخلوتيـة) و (القواسمة) و (زاوية الأدهمية) وسوها .

وتوجد زوايا صوفية كبيرة في يافا وحيفا وعكا وصفد وبيسان وطبريا والرملة واللد والمجدل ونابلس وطولكرم وقلقيلية وقاقون والشيخ مونس وعراق المنشية ونوبا وغيرها من البلاد .

المدارس العلمية الاسلامية

وفي القدس والرملة واللد والخليل ويافا ونابلس وصفد والمجدل وغزة وسواها من مدن فلسطين وبلادها توجد (مدارس أثرية اسلامية) أنشأها ملوك المسلمين وسلاطينهم في مختلف العصور ، وتخرج منها طائفة من العلماء والصالحين من رجال الدين كالمدرسة (المأمونية) و (مدرسة قايتباي) ، و (مدرسة تنكز)، و (مدرسة الجاولية) ، و (المدرسـة العمريـة) ، و (الرصاصة) وغيرها . وفي مدينة عكا توجد (المدرسة العلمية الدينية) في جامع أحمد باشا الجزار كانت قبل استيلاء اليهود على عكا عامرة بالعلماء المدرسين وطلاب العلم الديني الذين كانوا يقصدونها من مختلف بلاد فلسطين وغيرها ، وكان خريجوها يقومون بوظائف الامامة والخطابة وسواها من الوظائف الدينية . وفي (جامع الجزار) بعكا توجد (المكتبة الاسلامية) المحتوية على نفائس الكتب الدينية اللغوية والتاريخية ، منها

طائفة من المخطوطات الأثرية في علوم التفسير والحديث النبوي والفقه ، وتوجد فيها نسخة خطية من كتاب (الجامع الكبير) في الحديث الشريف تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي وهي نسخة نادرة الوجود ، وقد أمست هذه المكتبة والمدرسة وجامع الجزار وسائر ما في عكا من مساجد المسلمين ومعابدهم تحت سيطرة اليهود .

وتوجد (مكتبات إسلامية) في معظم مدن فلسطين وقراها الكبيرة تحتوي على عشرات الألوف من الكتب الدينية من خطية ومطبوعة في مختلف العلوم والفنون .

الأراضي والعقارات الوقفية الاسلامية

التي استولى عليها اليهود بفلسطين

وفي حين فتح المسلمون فلسطين وعلى مر العصور وهم يشيدون في مدنها وقراها المساجـد والمعابد والمدارس العلمية والتكايا والزوايا للصوفية ، والأربطة والمساكن للزائرين والغرباء القادمين من أنحاء العالم الاسلامي لزيارة القدس وما حولها من أماكن مباركة . وقد كان خلفاء المسلمين وملوكهم وسلاطينهم والحكام والأمراء والأعيان والتجار والأغنياء وأتقياء المسلمين من أصحاب البر والاحسان يتنافسون في تشييد تلك المساجد والمعابد والمدارس وسواها من آثار إسلامية ما زالت قائمة في أرجاء

فلسطين ، وقد وقفوا عليها مئات القرى العقارات ، والمساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية في أنحاء البلاد والقرى الفلسطينية ، مشترطين أن يصرف ريعها وناتج محصولاتها وأجرة عقاراتها في عمارة تلك المساجد والمعابد والمدارس والزوايا والأربطة وفي مصالحها بحسب شروط الواقفين ورغباتهم الخيرية . وتحتوي سجلات محاكم فلسطين الشرعية ـ وبخاصة سجلات محاكم القدس والخليل ونابلس وصفد وعكا ويافا وحيفا ـ وثائق تلك الوقفيات . وبعد العدوان اليهودي على فلسطين أمسى القسم الأكبر من تلك المساجد والمعابد والأراضي الوقفية الاسلامية في حوزة اليهود وتحت سيطرتهم ، ووضعوا أيديهم على ناتجها ومحصولاتها ، وبذلك تعطل صرف ريعها في الوجه الشرعي الذي وقفت عليه بموجب شروط واقفيها . وتقدر الأراضي الوقفية الاسلامية التي يستولي عليها اليهود بما يزيد على مليون دونم من أخصب أراضي فلسطين وأحسنها موقعاً ، وبينها كثير من المزارع والحدائق والبساتين والعقارات الثمينة في مختلف بلاد فلسطين .

واليوم فلسطين كلها بيد اليهود ومعها أقسام من الأراضي العربية التابعة لمصر والأردن وسوريا ولبنان . وأحفاد الأبطال العرب صامتون . . .

عمر في بيت المقدس

الدنيا مشرقة على الطريق التي يأتي منها والعيون متطلعة إلى الجهة التي يسير فيها وعبر الصحراء الممتدة بين المدينة المنورة وبيت المقدس يمشي بعير الهوينى وفوقه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلبس مرقعته وبها أربع عشرة رقعة ميمماً بيت المقدس وقد أبى حاكمها وكاهنها أن يسلمها إلاّ لعمر بن الخطاب نفسه .

بالله ما يلقى عمر في سفره وما يتأمل في رحلته وهو الذي أقام العدل في المدينة ونشر العسر في الرعية وقال لئن عشت لأسيرن في الرعية حولاً فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني أما عمالهم فلا يرمقونها إلي وإما هم فلا يصلون إليّ فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين والله لنعم الحول هذا .

وهذا طراز من رحلته ، أشار عليه المسلمون أن يغير ثوبه المرقع وألبس ثوباً أبيض من نسج مصر يساوي خمسة عشر درهماً وطرحوا على عاتقه منديلاً من كتان ثم قدموا له برذوناً أشهب من براذين الروم فلما امتطاه جعل البرذوز يقفز فنزل عنه عمر مسرعاً وقال « أقيلوا عثرتي قال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كان أميركم أن يهلك بما دخل قلبي من العجب والكبر واني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من

الكبر ولقد كاد يهلكني ثوبكم الأبيض وبرذونكم المهملج » .

ونزع الثوب الأبيض وارتدى مرقعته وأشرف بعيره على أسوار بيت المقدس يمشي وئيداً وئيداً يحمل رجلاً جليلاً مهيباً يخفض رأسه خشوعاً فلما نظر إلى بيت المقدس بدأ كأنه يحتبس في عينه دموعاً يشرق وجهه بالنور ويرى في صفحتيه خطان أسودان تركهما بكاؤه من خشية ربه .

وحينما رآه البطريق « صفرانيوس » صاح بأعلى صوته قدوس قدوس . هذا والله. صاحب محمد بن عبد الله .

وتعالى الآذان في بيت المقدس ودقت أجراس الكنائس وشهدت الدنيا موكب ما له على ظهر الأرض من نظير وصلى عمر تحية المسجد بالمسجد الأقصى ودخل إلى كنيسة القيامة وأدركته الصلاة عند الخشبة التي ولد فيها المسيح عليه السلام فصلى عندها وكتب سجلاً ألّا يصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين إلّا رجلاً بعد رجل فلا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنوا عليه خشية أن يتخذوه مسجداً .

وتلا الناس عهد عمر لأهل بيت المقدس أن لهم الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يمس شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم لا يسكن ببيت المقدس معهم أحد من اليهود وأشهد عليه كبار صحابة رسول الله ﷺ .

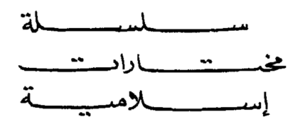
سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)

سلسلة مختارات إسلامية

الجيش في الإسلام

دار الفكر اللبناني


سلسلة
مختارات
إسلامية

الجيش في الإسلام

دار الفكر اللبناني



في فجر الإسلام قضى العرب على الروم والفرس ، أعظم قوتين هيمنتا على العالم آنذاك ، وامتدت الجيوش العربية في أرجاء العالم القديم تنشر أعلام العزة والكرامة فوق الحصون .

هذا الكتاب يعيد إلى الأجيال العربية الجديدة ثقتها بنفسها وبتاريخها العريق بعد محاولة القوى المهيمنة إذلال النفوس العربية وطمس الحقائق .

الجيش في الإسلام

الحرب قبل الإسلام وبعده

يَجِدُ كُلُّ مَن يُطالِع أخبارَ الجاهلية ، أمثلةً كثيرةً من حروب العرب . وكانت هذه الحروبُ تَدورُ بين القبائل العربية بكثرة ، تجعلُ الباحثَ المؤرِّخ في حَيْرةٍ تامَّة من أمرها ، أحربٌ هذه أم خصامٌ أهلي ، أم جزءٌ لازم من حياة أُمَّة ، يتكرَّر حدوثُهُ كما تتكرَّر الفصول وتتعاقب الأيام .

وكان من أغراض تلك الحروب أمران رئيسيَّان : الثأر والغزو . فكم جَرَّ الأخذُ بالثأر على العرب في الجاهلية من حروبٍ طاحنة ، امتدَّت عدداً كبيراً من السنين . وكم دفعتهم ضَرورةُ الحياةِ البدويَّة إلى اكتساب معيشتهم عن طريق الغَزْو . وكم كان من نتائج هذا كُلّه من إفناء للنفوس ، وإتلاف للأموال .

إلاَّ أنه لا يَصِحُّ إطلاقُ كلمة (الحرب) على المنازعات الجاهلية ، إلاَّ من قبيل المَجاز . إذ لم تكن في حقيقتها ، سوى مُناوشات أفرادٍ ، أو مُنازعات قبائل تَدُورُ بين عدد قليلٍ من الأشخاص ، قد لا يتجاوزُ عددُهم العشرةَ أحياناً ، أو المئةَ أحياناً أخرى . هذا من جهة نِطاق الحروب ، وعددِ المتحاربين . أما من جهة الزمن ، فالحربُ لم تكن تَدُورُ يوماً بعد يوم ، أو شهراً بعد شهر ، مُتَّصِلَةً بلا انقطاعٍ ، كما نعهد ذلك في حروب العُصور الحديثة . بل كانت تَدورُ في فصلٍ ، ثم تقفُ في آخر ، بلا إعلان هدنة ، أو وصول إلى نتيجةٍ حاسمة . ثم لا تلبث الحرب أن تَسْتَعِرَ مرةً أخرى ، بلا إعلان أو إنذار .

تطور نظام الحرب

ولما جاءَ الإسلام ، دخلت الحربُ عند العرب في طَوْرٍ جديد ، إذ نَشَأَ عن طبيعةِ الدَّعْوَةِ الاسلامية ، وضرورةِ نَشْرِها من جهةٍ ، وعنِ الحالة التي كان عليها العربُ في الجزيرة ، والأممُ المجاورةُ من جهةٍ أخرى ، أنْ تَطَوَّرَ نِظامُ الحرب تطوُّراً كبيراً سريعاً .

كان العربُ يحاربون للغزو أو للثأر ، أو لغير ذلك من

الأسباب ، التي لا صِلَةَ لها بالمُثُل العُلْيا . فجاءَ الاسلامُ ونَهى عن الحرب للثأرِ ، أو لِلنَّهْب ، ودعا العربَ المسلمينَ إلى نوعٍ جديدٍ من الحرب ، يُعلنونها كلما دَعَتِ الحاجةُ إلى ذلكَ . وهذا النوعُ الجديدُ من الجرب ، هو حَرْبُ الدِّفاعِ عن النفس ، وعن المَبادئِ التي جاءَ بها الدينُ الجديد . هو حَرْبُ الدِّفاع عن النفس ، وعن المَبادىء التي جاءَ بها الدينُ الجديد . أي أن الإسلام نَهى عن حربِ الإعتدَاء لِكَسْب المتاعِ ، أو المرعى ، أو الدوابِّ ، وحَلَّلَ حربَ الدفاع عن هذه كُلِّها ، وشَرَّعَ الدفاعَ عن الدين ومبادئه ، والدعوةِ إلى الدخول فيه .

بداية النظام الحربي

ربما صَحَّ اعتبارُ الهِجْرَةِ النبويَّة ، إبتداءً حقيقيّاً لنظام الحرب عند المسلمين ، إذ طَفِقَ يخرجُ المهاجرون والأنْصارُ لملاقاة قوافل قُرَيْش ، في طريقها من مَكَّةَ وإليها . وكانت هذه البعوثُ الحربيةُ في باديء الأمر ، قليلةَ العدد : عشرين رجلاً أو ثلاثين رجلاً أو ستين . لكنها ما لبثت إن زادت في عدد أفرادِها ، وفي قُوَّةِ سلاحها ، بالاضافة إلى قوة إيمانها . فقد إشترك مثلاً في مَعْرَكَةِ بَدْر ثلاثُمئة من المسلمين ، وفي معركة أُحُد ألفٌ منهم . فيهم الفرسان والمشاةُ ، وفيهم المسلَّحون

وغيرُ المسلحين . أما سَرِيَّةُ مؤتة ، فقد اشترك فيها ثلاثةُ آلافِ رجل . وكان يتألَّفُ المحاربون في كل هذه الحالات ، من أبناء القبائل البدوية ، الذين كانوا يعودون إلى أعمالهم العاديَّة ، بحال انتهاء واجباتهم الحربيَّة .

أما الجيوشُ التي أرْسَلَهَا أبو بكر لمحاربة أهل الرِّدَّة ، بعد وفاة النبي (صلعم) ، فلم تكن قويَّةً بكثرة عدد أفرادها . لكنها كانت قوية في صدق الإيمان ، أضِفْ إلى ذلك أنَّ الجنود أخذوا معهم أُسَرَهم مُستعدّين بذلك لحرب طويلة المَدَى ، ومستمدّين من وجود نسائهم ، العونَ على الحياة والحماسَة في القتال .

٣٠ ألفاً لليرموك والقادسية

تختلفُ كتبُ التاريخ العربيّ ، في تقدير عدد الجنود ، الذين خرجوا لفتح الشام والعراق ومصر . لكنه يظهر ، أنَّ عدد الجنود المسلمين الذين لاقوا الروم في اليرموك ، كان حوالي عشرين ألفاً ، وعدد الذين لاقوا الفرس في القادسية ، كان حوالي عشرة آلاف ، ومثلُ ذلك عددُ الذين كانوا في مصر عند فتحها . . وعليه يجوز لنا تقديرُ مجموع عدد الجنود أثناء الفُتوح الكبرى ، في زمن الخلفاء الراشدين ، نحواً من أربعين ألفاً . وهذا لعمري قليل جداً ، إذا قيس بمقاييس العصور

المتوسطة والحديثة . وهو قليل كذلك إذا قيس بمقاييس تلك الأيام . . يقول الطبريُّ مثلاً ، إنَّ عدد الروم في معركة اليرموك كان مئةً وأربعين ألفاً . . ومهما بولغ في هذا العدد ، فإن كتب التاريخ العربي ، تُجْمِعُ على شيءٍ واحد ، وهو أن المسلمين كانوا فئةً قليلة ، وقد غلبت فئةً كبيرة بإذن الله .

كيف نشأت البصرة

لكن هذا العدد قد زاد بازدياد سلطان الإسلام ، وإتّساع نطاق الدولة العربية ، ودخول العناصر الأجنبية فيها . . ولنأخذ على ذلك بعض الأمثلة : أرسل عُمَرُ بن الخطاب نحو ثمانمئة جنديّ عربيٍ ، حامِيَةً إلى العراق ، وأنزلَ هؤلاء ومعهم نساؤهم وعيالُهم ، في المكان الذي أصبح بعد ذلك مدينةَ البصرة . وقد أقاموا أوّلاً في الخيام ، ثم بَنوا لأنفسهم البيوت والقُرى ، بعضها إلى جانب بعض . ومن ازدياد عددهم وتكاثر عيالهم وبناء بيوتهم ، وما يتبع ذلك من إتساع في وسائل المعيشة ، نشأت مدينةُ البصرة . وأصبحت هذه المدينة بعد رُبْعِ قَرْنٍ ، في زمن حكم زِيَاد إبن أبيه ، مدينةً كبيرةً ، فيها مئتا ألفٍ من السكان .

كان الغَرَض من إنشاء هذه الحامية ، مثلَ الغَرَض من إنشاء أختها في الكوفة ، ـ حراسة الحدود الشرقيَّة ، للدولة

الاسلامية العربية ، ثم صار من أغراضها ، توسيعُ نطاق الدولة بالفَتْح ، في فارس وأذْرَبيجان وخُراسان . . وكانت هذه الجيوش في هذا الدور كلُّها من العرب الأقْحاح ، أو العربِ الذين جاءوا من الجزيرة ، فهم بحق (مادَّةُ الإسلام) كما كان يُسَمِّيهم عُمَرُ بنُ الخطاب .

الموالي في الجيش العربي

غير أن دخول غيرِ العرب في الإسلام ، فَتَحَ الباب لهؤلاء ، ليشاركوا العرب في وسائل معيشتهم وإدارة دولتهم . ومن ذلك كان دخول المَوالي في الجيش ، وخصوصاً في الأزمنة التالية . ولا يَظُنَّنَّ أحدٌ ، أن دخول الموالي في الجيش ، لم يَتِمّ إلاَّ في زمن الدولة العباسية ، كما هو المعروف . لأن عدداً لا يُسْتَهان به من الموالي ، قد دخل الجيش ، في إبَّان مجد بني أُمَيَّة ، وهم الذين عُرفوا بالتمسك بالعُروبة ، والتعصُّب لها . . ونأخذ على ذلك مثالين اثنين : أحدهما ، أن معاوية بن أبي سفيان ، عامل عثمان بن عفان على سوريا والجزيرة ، أرسل قوة مُكَوَّنَةً من ثمانية آلاف محارب من أهل تلك البلاد إلى أرمينيا ، وعَزَّزَ هذه القوة ببعض الرجال من أهل الكوفة ، بعد أن لاقى هؤلاء مقاومة كبيرة . والمثال الآخر ، إن قُتَيْبَةَ ويَزيدَ إبنَ المُهَلَّب ، جَعَلَ كُلُّ منهما قسماً من جيشه ، مُكَوَّناً من مُتَطَوِّعَةِ المَوالي في بُخاري وخُراسان .

هذا كُلُّهُ يتعلَّق بالجيوش المحاربة . أما الجيوش التي استُخدمت لحفظ النظام الداخلي ، أو لإخماد الفتن المحليَّة ، فعدد أفرادها لم يكن لِيقِلَّ عن عدد تلك . وقد جاء في بعض كتب التاريخ العربي ، إن عدد أفراد كلٍّ من الجيشين المتحاربين في صِفّين لم يكن أقلَّ من تسعين ألفاً . . إن هذا العدد لا يخلو من المبالغة ، لكنه يبقى كبيراً ، مهما أنقصنا منه ، احتياطاً لهذه المبالغة . ولنَذْكر كذلك الجيوش الجرَّارة التي أرسلها الخلفاء لمحاربة الخَوَارج ، وخصوصاً الأزارقة في حروبهم مع الحجَّاج التي لزم لها ما لا يَقِلُّ عن خمسين ألفاً ، من أحسن المحاربين العرب والموالي .

دوافع المحاربين

كان الدافع الأكبر للمحاربين الأوَّلين من المسلمين ، رضى الله والجَنَّة في الآخرة . وكان هذا الانتظام في الفِرَق المحاربة تَطَوُّعاً بلا مقابلٍ ماديّ . وكان هذا من أهَمّ عواملِ نجاح الفُتوح الاسلامية ، على قِلّةِ عدد الجنود ، وبساطة سلاحهم ، لأنهم كانوا يحاربون بدافع روحيّ قبل كل شيء آخر . إلاّ أنَّ الحملات الصغيرة إذا اتسع نطاقها ، لا بُدَّ فيها من نفقة للسلاح والرَّكائب وغير ذلك ، وهذا ما تمَّ فعلاً في حالة المسلمين ، إذ لزم للتوسُّع في الفتح مالٌ وأسلحةٌ ، لم تَدْعُ

الحاجةُ إليها من قبلِ في الغَزَوَاتِ البسيطة . وتذكر المصادِرُ الموثوق بها ، إن عُثمان بن عَفَّان ، كان أولَ الذين تَبرَّعوا بالمال ، للإنفاق على غَزَوات الرسول ، كما كان أكثَرَهم تبرعاً ، لغناه ولإخلاصه للدَّعوة ، رَضيَ الله عنه . ولكن الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين ودولة بني أُميّة ، قد حلَّت المسألة المالية حَلاًّ تامّاً ، لأنه لا يمكن دائماً الاعتمادُ على التبرُّع الفَرْدِيّ لتموين الجيوش ، والإتفاق على حَمَلات واسِعة النطاق .

أجور الجند

كان المال الحاصل من الفتوح بأقسامه المختلفة (الفَيْء والخراج والجِزية) والمال الحاصل من زَكاة المسلمين ، يُوزَّع بطريقة بسيطة عادلة عمليّة . وهذا النظام المالي لجمع الضرائب وانفاق المال ، يُعْزَى وضْعُهُ إلى عمر بن الخطاب . فبحسب هذا النظام ، كانت المُرَتَّبات تدفع للمحاربين الذين اشتركوا في الفتح ، وتدفع أيضاً لجميع أفراد الأمة من المهاجرين والأنصار في الجزيرة نفسها . كان عطاءُ المحارب أربعة آلاف درهم في السنة ، يُنفقها على أهله أثناء غيابه وعلى تجهيز نفسه ورفيق له معاون في القتال . ويُعْزَى إلى عمر بن الخطاب أيضاً نظامٌ يشبه نظام التقاعد العسكري ، وبحسبه

يدفع مرتب خاص لكل محارب شهد القادسيّة وما جاء بعدها ، ويعرف هذا بنظام (العرافة) الذي تطور مع تطور الدولة العربية ، وسبب لبعض الخلفاء متاعب جمّة .

الغنائم والمحاربون

صحيح أن قسماً كبيراً من الغنائم الحِربية ، كان يوزع على المحاربين ، وإن إقطاعات من الأرض كانت تعطي لبعض الجنود والمحاربين . إلاّ أن النظام السائد ، هو الذي أشرنا إليه فيما سبق . حتى يجمع مال الخراج ومال الجزية ومال الفَيْىء كله في بيت المال ، ومنه كانت تدفع مرتبات الجنود ، وتؤخذ النفقات العادية . حتى إذا جاء العهد الأموي ، أصبح عطاء الجنود أهم مادة في مالية الدولة . ففي زمن معاوية مثلاً ، كان في مصر المشهورة بغناها أربعون ألفاً من الجند ، يدفع لكل منهم مئتا دينار من بيت المال . وبعد هذه النفقة لم يبق من مجموع الضرائب السنوية شيء يذكر ، لإيداعه الخزينة العامة . هذا في ولاية غنية مهمة كمصر ، وقس على ذلك باقي الولايات .

مساعدات لرؤساء القبائل

وهنالك نوع آخر من النفقة الحربية ، ابتدعه بنو أمية أو لجأوا إليه عن حاجة . . إذ المعلوم أن حروبهم كانت كثيرة ، وغير مقصورة على قُطْرٍ واحد من المملكة ، ومنها الحروب الداخلية والحروب الخارجية . لهذا كانوا دائماً يخصصون المساعدات المالية لرؤساء القبائل ، بحيث يمدُّون الدولة بالرجال في وقت الحاجة . . يذكر المسعودي في كتاب مُروج الذهب ، ان قبائل قَحْطان في سوريا كانت تمدُّ الخلفاء الأولين من بني أمية بألفي رجل عند الطلب ، وفي مقابل هذا ، كان الخلفاء يدفعون لكل شيخ قبيلة الأموال الكثيرة ، ما دام في هذه المشيخة ، فإذا مات أو قُتل ، دفعوها إلى خلفه ، وثبَّتوا هذا الخلف في مشيخته ، واعترفوا به وحكموه في شؤون عشيرته الداخلية . . وفعل خلفاء بني العباس مثل هذا . فقد كان المنصور مثلاً يرسل المحاربين من قبائل العراق لحراسة الثغور على حدود الدولة البيزنطية ، وكان يعطيهم علاوات خاصة فوق مرتباتهم المقررة . وكان هذا النظام يُطَبَّق بدقة تامة ، بحيث إذا عجزت قبيلة عن إرسال العدد المتفق عليه من المحاربين ، وجب عليها أن تدفع جُعُلاً لاستئجار من يقوم مقامهم .

نستطيع الاستنتاج مما تقدم من القول ، أن العمل في الجيش الاسلامي حتى أوائل بني أمية كان تطوعاً على وجه الإجمال ، حتى إن المرتبات التي صارت تدفع إلى المحاربين ، لم تكن سوى مكافأة على شجاعة أو تعويضاً عن غياب ، ولم تكن هناك أنظمة مكتوبة للخدمة الاجبارية . فالعمل في الجيش كان واجباً دينياً أولاً ، والتخلف عنه عار وبعيد من الرجولة ثانياً . والأمثلة كثيرة على ما كان يُعانيه بعض الرجال من الألم ، إن تخلفوا أو لم يَدْعَوا للقتال . لكن يظهر أن اتساع نطاق الفتوح ، وموت كثير من الصحابة والتابعين ، ودخول عدد كبير من غير العرب في الاسلام ، وغير ذلك من العوامل ، قد جعل اتخاذ طرق الإجبار أمراً ضرورياً في بعض الأحيان .

القهر لجمع الجيوش

يذكر إبن الأثير ، أنَّ الحجاج ، عامِلَ عبد الملك على العراق ، لجأ إلى طرق القهر في جمع جيوشه . ففي سنة ثمانين للهجرة ، جمع من كل من البصرة والكوفة عشرين ألفاً ، أرسلهم لنجدة الجيوش في بلاد فارس . وبعد ذلك

بثلاث سنين ، جمع مثل ذلك العدد من الكوفة نفسها ، وأعلن للناس ، أن كل جندي يتأخر عن اللحاق بفرقته ثلاثة أيام بعد أخذ عطائه ، يعرض نفسه للإعدام . . وهناك أمثلة أخرى على استعمال هذه الطريقة لجمع الجيوش لمحاربة الخوارج .

ربما كانت طريقة القهر في حشد الجيوش ، من أسباب الفشل الذي لقيه الحجاج مرة بعد أخرى في حرب الخوارج . . ربما كان من أسباب ذلك الفشل أيضاً ، تلك الشجاعة الخارقة التي اتّصف بها الخوارج ، وتلك الحماسة المتأججة في صدورهم لِعقيدتهم . . ولكن الباحث يلمس في هذا الجو شيئاً من الفتور في الشعب ، ربما كان من أسبابه فتور في حماسته الدينية لبني أمية ، أو ابتعاد عن ضرورة محاربة المسلم لأخيه المسلم .

المكافآت والأرزاق المنتظمة

أما جيش الدولة الأساسي ، الذي كان يحمي حدودها ويقوم بالفتوح ، فما زال مؤلفاً كالسابق من أبناء القبائل التي تتناول المكافآت المالية والأرزاق بانتظام ، ومن الذين يتناولون مساعدة خاصة عند اللزوم ، وكذلك من عدد من المتطوعين يهرعون للقتال من تلقاء أنفسهم ، ويتحملون نفقة سلاحهم وركائبهم ، ولا يأخذون شيئاً من بيت المال ، إلا ما ينالونه من

الغنائم الحربية . أي انه بقي عدد من الناس لا يطمعون من وراء الحرب في مغنم دنيوي ، بل كان غرضهم نيل شرف الخدمة في سبيل الله .

عدد أفراد الجيش

يُقَدَّر عدد أفراد الجيش الاسلامي في معركة أحد بألف محارب ، وعدده في سرية مؤتة بثلاثة آلاف ، وفي عهد الفتوح في أيام الخلفاء الراشدين بنحو أربعين ألفاً . أما في زمن بني أمية فقد بلغ من القوة والعدد حداً بعيداً . وللتدليل على ذلك ، أذكر مثالين من أواخر حكم الأمويين . فقد أرسل مروان آخِرُ بني أمية ثمانين ألفاً لإخماد ثورة في الحجاز ، أي أن القوة هذه ، كانت ضعفي ما كان عند الخلفاء الراشدين من قوة . . ويقدر المؤرخون عدد الجيش الذي حشده الأمويون في معركتهم الأخيرة مع بني العباس ، بنحو مئة وخمسين ألفاً ، معظمهم من أبناء القبائل العربية في سوريا .

من هنا يظهر التطور السريع الذي تم في تكوين الجيوش الاسلامية ، إذ في مدة مئة سنة (من وفاة الرسول إلى أواخر حكم بني أمية) زاد عدد الجيوش زيادة كبيرة ، من نحو ألف رجل في أحد ، إلى عشرات الألوف في معركة الزَّاب ، بين بني أمية وبني العباس ، ودخل أيضاً في تكوين الجيوش ،

مظاهر جديدة من جهة النفقة والتنظيم والسلاح ، وظهرت أسباب جديدة للحرب ، غير الدفاع عن الدين والدعوة إليه ، مثل قمع الفتن الداخلية ، والنزاع الدنيوي على السلطة .

للدفاع عن الدين

تعدُّ غزوات الرسول (صلعم) بَدْأ للأنظمة الحربية في الاسلام ، منها نشأت فكرة الدفاع عن الدين والدعوة إليه ، ومنها تطورت إلى فتح وتوسع في زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية . ويمكننا أن نقول أن الجيش الاسلامي ، كان في أساسه عربياً بحتاً في أثناء هذا الدوز ، أي القرن الأول من تاريخ الاسلام ، ويعد انتهاء الدور الأموي ، انتهاء للدور الأول في تاريخ الجيش ، إذ حدث بظهور بني العباس ، ما يشبه الانقلاب ، لا التطور في هذا الباب .

الجيش الاسلامي ـ الجيش العربي

سنتناول هنا بحث النظم العسكرية الاسلامية ، منذ إبتداء حكم بني العباس ، والاشارة إلى الانقلاب السريع الذي تم في تكوين الجيوش وأنظمتها وأغراضها ، ودرس بعض نواحي هذا الانقلاب ومعانيه .

يقول الطبري ، أن جيش الخلفاء الأولين من بني العباس ،

كان معظمه من قبائل خراسان . . كان أبو مسلم يجمع الجنود ويستبقيهم على الإخلاص والولاء ، بما كان يصرفه لهم من العطاء بين حين وآخر . ويقول الطبري أيضاً ، أن الجنود الذي جمعهم أبو مسلم ، ولاقى بهم جيوش بني أمية في معركة الزّاب ، كان عددهم عشرين ألفاً . . وظلت قوة بني العباس الحربية تعتمد على خراسان نحو قرن ، في أثنائه قاموا بعدة حملات على الدولة البيزنطية ، وأخذوا على عاتقهم حفظ النظام الداخلي وحراسة الخليفة .

العرب قوام الجيش

ومع هذا ، فجيش بني العباس في القرن الأول من حكمهم ، لم يكن كله خراسانياً . . ففي زمن المنصور دخل عدد كبير من العرب من أنصار بني أمية في الجيش ، كما دخل فيه أيضاً عدد كبير من أبناء قبائل العرب المشهورة ، كمضر وربيعة . ويذكر على سبيل المثال ، أن عدداً من أبناء القبائل العربية في العراق وسوريا ، انتظم في حملةٍ بحرية على الهند ، وأنّ الأمين جمع جيشاً من عرب سوريا ، يوم نشبت الحرب بينه وبين أخيه المأمون .

كان الجيش الاسلامي عربياً بحتاً في عهد الرسول ، وخلفائه الراشدين ، ومعظم أيام بني أمية . صحيحٌ أنه دخل بعض الموالي في جيش بني أمية في أواخر عهدهم ، ولكن

الجيش بقي عربياً بكثرته ، وروحه ، وتقاليده . لكنه لا يصح أن نطلق هذه الصفة على الدور الأول من حكم بني العباس . فالجيش كان اسلامياً خُراسانياً لا عربياً ، مع أن جمهوراً من العرب دخل في صفوفه . ولم يقف الأمر عند حد كون جيش بني العباس خراسانياً في أساسه ، إذ لم ينقض القرن الأول من حكم بني العباس ، حتى حدث انقلاب آخر في نظام الجيش في خلافة المعتصم .

الترك والجيش العباسي

تذكر بعض كتب التاريخ ، أن دخول الترك في الجيش العباسي ، حدث فجأة في زمن المعتصم . . لكن الحقيقة ، أن هذا الأمر كان بعد مدة قصيرة من التطور التدريجي في هذه الناحية . فالثابت أن بعض الجنود الأتراك المستأجرين حاربوا مع (اللَّيْث بن رافع) ضد المأمون ، وحارب غيرهم من بخاريَ وخوارزم مع المأمون ضد أخيه الأمين .

فالجنود الأتراك كانوا طبقة من المرتزقة ، تحارب مع كل من يعطيها المال والهدايا والامتيازات . ولم يكن هؤلاء كلهم من عنصر تركي صحيح ، بل كان هذا الإسم يشمل عدة عناصر من بلاد مختلفة . فلما جاء المعتصم وشعر بما كان يدبره الفرس من المؤامرات ، لجأ إلى هؤلاء الأتراك ، وألَّف منهم

جيشه ، وأدخل فيه عناصر من فرغانة ومصر والمغرب . ومما يدلنا على اعتماده التام عليهم أنه وكل إليهم اكتساح آسيا الصغرى وحصار عمورية المشهور .

معنويات الجيش

ومن الوسائل التي لجأ إليها المعتصم لإيجاد المال لجنوده ، أنه منع عطاء الجنود العرب بمصر ، فخلت تلك البلاد منهم ، إلى عهد أحمد بن طولون . وصارت المرتبات المخصصة للجنود الأتراك ، من أهم مشكلات الدولة العباسية . وكاد دفع هذه المرتبات ، يستنزف خزانة الدولة من زمن المتوكل ، وجرَّ عليه وعلى الذين خلفوه البلاء والثورات . . وكثيراً ما كان يلجأ الخلفاء إلى منح القطائع لرؤساء الجنود ، وأشهر مثال يمكن أن يقدم على ذلك ، إقطاع بعض الأراضي في مصر لأحد قواد الترك ، وهذا بدوره ، عيَّن عليها مديراً اسمه أحمد بن طولون ، وهو الذي استأثر بالأملاك بعد موت سيده ، وتمكن من حكم جميع مصر بعدئذٍ .

شهدنا في ما تقدم ، تأسيس جيش دائم ، وتخصيص المرتبات لأفراده ، واعتماد الخليفة على عناصر ليست عربية ، وكانت حديثة عهدٍ بالإسلام . وقد كان هذا مع غيره من العوامل التي أوقعت العباسيين في مأزق حرج ، وعرَّض

سلطان العرب ومكانة الاسلام لأخطار الفوضى والانقلاب فقتل الخلفاء ونهب المدن وتخريب القرى ، شواهد عليه ، ردَّدتها كتب التاريخ في كل سنة من سنوات هذا العهد . وللبرهان على سوء نظام الجند من وجهةٍ عسكرية ، وعدم اتصافهم بالشجاعة والايمان نذكر مثالين : أحدهما ـ انه لم يقم جيش الدولة هذا بحملات لحمايتها أو لتوسيع حدودها ، مع أن عدد الجنود المسجلين في ديوان العطاء لتناول المرتبات ، كان مئة ألف في زمن المهدي . والآخر ـ أن القرامطة يوم هجموا على بغداد ، كان عددهم ثلاثة آلاف أو يزيد قليلاً ، فلاقاهم ما لا يقل عن ثمانين ألفاً من جيش الخليفة . . ومع ذلك فقد غلب هذا الجيش الجرار ، لفقدان الروح المعنوية ، ولعدم كفاية قيادته . .

النظام في الجيش

ويمكن الاشارة هنا إلى ناحية مهمة من نواحي هذا البحث ، وهي النظام في الجيش ، في أيام عزّ الخلافة وسلطانها . لم يكن الخليفة إلاّ قائداً عاماً وآمراً مطاعاً . وأن الذي يتصفح كتب التاريخ العربي يجد مادة كافية لإقناعه بحسن نظام الجيوش وإدارتها في ذلك الزمن . وقد كان كلّ شيء منوطاً بما يسمى (ديوان الجيش) أو (وزارة الدفاع) بلغة هذا الزمان .

كان ديوان الجيش هو المسؤول عن جمع الجند ، ودفع مرتباتهم ، وإدارة شؤونهم العامة ، وإصدار الأنظمة لهم ، وكان الخليفة أو وزيره يقوم بذلك ، فهو الذي يعلن الحرب ، وهو الذي يوافق على إعلان انتهائها . بإسمه يعمل القواد ، ومنه يتلقون الأوامر . وفي الأيام الأولى كان يقود الجيوش بنفسه ، يتبعه حرسه الخاص . وكان حرس الخليفة يؤلف قسماً مهماً من الجيش ، لأن عدد أفراده كان يزداد حين إعلان الحرب ، بما كان ينضمّ إليه من أبناء القبائل ، يعمل كلٌّ في المعركة تحت لواء رئيس من قبيلته .

نهاية النظام الموحد

يمكن اعتبار أول المئة الثالثة للهجرة ، نهاية لنظام موحد لجيش اسلامي عربي ، يأمره الخليفة ، ويسوقه في سبيل إعلاء شأن الإسلام والعرب . أي أن الجيش قد عُمِّر ما يقرب من قرنين فقط . في القرن الأول كان عربياً ثم إسلامياً ، وفي القرن الثاني كان إسلامياً ثم عربياً . ويعد هذا الزمن أي بعد سنة ٢١٨ للهجرة (وهي سنة تولّي المعتصم) ينفرط عقد النظام وتشيع الفوضى ، ويصبح البحث في الجيش ، بحثاً في عدة جيوش ، لا رابطة عنصرية أو دينية تربطها ، ولا جامعة هدف أو غاية تجمعها .

لكن الباحث يلاحظ في هذا الظلام الدامس ، بصيصاً من

النور الاسلامي والحماسة العربية . فكان في العالم الاسلامي دائماً رجال مؤمنون ، يجيئون لنصرة الدين والدولة كلما داهمها الخطر . كان الجيش الاسلامي كله متطوعاً في عهد الرسول وخلفائه الأولين ، وكان فيه عدد كبير من المتطوعة في عهد بني أمية ، وزاد عدد هؤلاء في زمن بني العباس ، وكان هؤلاء المتطوعة ، كلما داهم الاسلام خطر خارجي من جانب بيزنطية . يحمون الثغور على الحدود ويحملون على الروم حملات صادقة من تلقاء أنفسهم ، ولا يحملون جيش الخليفة مؤونة القيام بذلك . ولم يقتصر ذلك على المسلمين المتاخمين لبيزنطية ، بل كان المتطوعون يجيئون من كل البلاد عند إعلان النفير ، لنجدة إخوانهم في الثغور ، وحماية البلاد برد العدوان عنها ، ومقابلة الغزو بغزو أشد منه هولاً وأبقى أثراً .

الروح العصبية في الجيش

يظهر لكل من يتدبَّر تاريخ النُّظُم العسكرية الاسلامية ، أن مدة الازدهار كانت قصيرة ، ويمكن إجمال هذا التاريخ بكلمات قليلة . عُمِّرَ جيش الخلافة مدة تقرب من قرنين . ففي القرن الأول كان عربياً ثم إسلامياً . وفي القرن الثاني كان إسلامياً ثم عربياً . هذا كله من جهة العناصر التي تكون منها الجيش ، لا من جهة الروح التي كانت تشيع في أقسامه ، فهي

إسلامية في زمن الرسول وخلفائه الأولين . عصبية عربية في زمن بني أمية . عصبية إسلامية في صدر بني العباس . وأخيراً عصبية فوضى ، لا هي إسلامية ولا هي عربية ، في الأدوار التالية من حكم بني العباس . ثم جاء عصر بني بُوَيْه ، وسلطة هؤلاء كما هو معلوم كانت مستمدة من قوتهم الحربية ، وقوتهم الحربية كانت تعتمد على قبائل الدَّيْلَم التي تحارب لأجل الغنائم ، فينضم إلى جموعها أفراد من أبناء البلاد المقهورة ، مدفوعين إلى ذلك بحب المال والرغبة في النهب .

بنو بُوَيْه والسلجوقيون

وبعد بني بُوَيْه ، يجيء دور السلجوقيين ، ويدخل تاريخ الجيوش الاسلامية المختلفة بذلك في دور جديد ، تزداد في أثنائه الفوضى ويشيع التنافس على السلطان ، وتكاد تمحى كل صفة عسكرية كان يتصف بها الخليفة . فالجيوش لم تكن إسلامية في إسمها ولا في أغراضها ، إلاّ في بعض الأحيان ، كحرب مع الدولة البيزنطية ، أو رد لغارة صليبية .

يذكر الوزير نظام المُلْك في كتابه (سياسة نامه) وهو كتاب يبحث في الحكومة ، أن الجيش يجب أن يؤلف من أمم مختلفة ، لكل أمة وحدة منه مستقلة عن الوحدة الأخرى . ويقول الوزير أن هذا الترتيب ، يمنع حدوث ثورة أو فوضى .

ويقول أيضاً أن الحرس الخاص بالملك أو الخليفة ، يجب أن يتكون من الدَّيْلم والخُراسانيين وغيرهم من الأمم الأعجمية . فإذا قيس هذا الكلام بميزان ذلك العصر ، وُجِدَ أنه مستمد من العرف والعادة ، فهو صورة لما كانت عليه الحالة في الدول الاسلامية وجيوشها ، فجيش محمود الغزنوي مثلاً ، كان مؤلفاً من الترك والخراسانيين والعرب والديلم والهنود وغيرهم . وكان لكل أمة أو عنصر ، وحدة جيش خاصة بها ، تحارب هذه الوحدة في موضع خاص ، منفصلة عن غيرها ، تحت قيادة رئيس من أبنائها ، ولا تربط الوحدات المختلفة ، رابطة نظام عملي بقائد عام معروف . ولن نسترسل في البحث بعد هذا الدور ، وبذلك نكون قد وصلنا بالبحث إلى أول القرن الحادي عشر للميلاد . ونبحث الآن بدلاً من تاريخ الجيش بعد ذلك القرن ، في بعض نظم الجيش وتركيبه وتدريبه وأسلحته .

قيادة الجيش

ومن المباحث المهمة في هذه الناحية ، مسألة القيادة . كان الخليفة يحسب القائد الأعلى للجيش ، يعمل بذلك عمل النبي (صلعم) لما كان على قيد الحياة . وكان الخليفة ، أي القائد العام ، يعين قواداً للجيش ، قد يكون بعضهم من أقربائه أو أبنائه ، ولكنه كان يشترط فيهم قبل كل شيء الخِبْرَة الواسعة

في أمور الحرب . وهؤلاء القواد كانوا بدورهم يعينون الضباط المجربين .

يُعزى إلى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إنشاء نظام الجيش ، كما يعزى إليه إنشاء كثير من الأنظمة السياسية والمالية والادارية في الدولة الاسلامية . والحقيقة أن عظمة هذا الرجل تزداد كلما زاد علمنا بتاريخ أنظمة الدولة الاسلامية ، ولا يمكن أن يكون هذا الإجماع على إرجاع أساس معظم النظم الاسلامية إليه عبثاً لا يقوم على أساس حق . فهذا مثل غيره يدلنا على عظمة عمر وفضله على الاسلام .

تنظيم الجيش

كتب ، رضي الله عنه ، إلى قائد جيشه في القادسية : أن يقسمه إلى عشرة أقسام ، وأن يعين له (العرفاء) و (الأمراء) وأن يسيره بحسب قوانين (التعبئة) على الوجه الآتي : ـ كل عشرة جنود يؤلفون وحدة (تسمى عرافة) ورئيسها (عريف) . وكل عدد معين من (العرافات) عليه (قائد) . والجيش كله عليه (أمير) ـ هو القائد العام بلغة هذا الزمان .

يذكر الطبريُّ أنه كان يرافق الجيش بالاضافة إلى شيوخ القبائل على رأس رجالهم المحاربين : عدد من حاملي

اللواء ، وعدد من الأطباء ، (وقاضٍ) عمله توزيع الغنائم الحربية ، (وداعية) عمله يشبه عمل المحامي في عرض قضايا الناس ، (ورائدٌ) عمله اختيار أماكن الاقامة للجنود ، (ومترجم) عمله واضح ، (وكاتب) لتسجيل الوقائع وكتابة الرسائل .

الاستراتيجية الحربية

لا يجد الباحث كثيراً من التفاصيل عن تدريب الجيش . إلاّ أنه يمكن قسمة المحاربين إلى قسمين من هذه الجهة : وهما المحاربون من أبناء القبائل العربية ، وهؤلاء كانوا يحاربون بحسب ما تعوَّدوه من كرٍّ وفرٍّ في غزواتهم ، ولم تكن هناك حاجة لتدريبهم تدريباً خاصاً . وحرس الخليفة الذين كانوا من أهم أقسام الجيش في العصور التالية . هؤلاء كانوا يدربون ويمرنون بكل دقة واتقان .

وكانت التعبئة بهذه الصورة : (١) القلب وهو مكوَّن من الجيش الذي يقوده الأمير . (٢) الجناح الأيمن . (٣) الجناح الأيسر وفيهما القواد . (٤) وأمام القلب تماماً تكون (المقدمة) وعليها قائدها ولها علمها . (٥) أما الساقة فهي في المؤخرة لحماية الجيش وللعناية بالذخيرة والمؤونة . فالتعبئة بهذه الصورة كانت بهيئة خطين متقابلين ، لكنه كان يرافق مثل هذه

الجيوش ، جنود مسلحـون خفاف منفصلون عن التعبئـة الأساسية ، ويعرفون بإسم (المجرَّدة) ، وكذلك فرق تسمى (الطلائع) .

إن من يدقّق في هذه الأسماء ووظائف القائمين بها ، ليعجب كيف أن أهل ذلك الزمن ، كانوا يهتمون هذا الاهتمام الظاهر بسرعة الحركة والخفة بالسلاح وتأمين مؤخرة الجيش ، اهتمام أهل العصور الحديثة بها .

كانت طريقة التعبئة التي أشرنا إليها الآن ، متبعة منذ أيام النبي (صلعم) . ويـرجع بعض النجـاح الذي صـادفه (صلعم) بعد قوة إيمانه بالله وتفاني أعوانه في سبيله ـ إلى هذه التعبئة خصوصاً ، لأن قبائل قريش ، كانت تحارب بلا نظام معروف .

الكرّ والفـرّ

كانت طريقة الكَرّ والفَرّ (الهجوم والتراجع السريع على التعاقبُ) أحبًّ الطرق إلى العربي في الحرب عند ظهور الاسلام . وقد سار عليها المهاجرون والأنصار في تصديهم لقوافل قريش . . يلتقي الرجال فيتبادلون الرمي بالسهام ، ثم يتراجعون دون أن يصيبهم أو يصيب أعداءهم ضرر كبير . ولكن الرسول (صلعم) أدخل نظام التعبئة لأول مرة في معركة بَدْر ، فنجحت نجاحاً كبيراً .

وظلَّ نظام التعبئة معمولاً به ، مع قليل جداً من التغيير ، في كل عصور الفتوح الاسلامية ، وقد طرأ عليه نظام الفرسان ، ففي معركة بدر ، لم يكن سوى فارس واحد . أما في اليرموك فكان معظم المحاربين من الفرسان . وهذا التغيير تمَّ في نحو عشر سنوات . أما بنو أمية فكان جيشهم يحارب بالمشاة يساعدهم الفرسان ، حتى إذا جاء بنو العباس ، قَلَّ استخدام المشاة وفشا استخدام الفرسان إلى حدٍّ كبير . ومن الأمور التي تستوجب الإعجاب ، تلك السهولة التي كان الفارس ينقلب فيها راجلاً في الحرب ، إذا كانت طبيعية الأرض لا تمكّن الخيل من السير ، أو إذا دَعَت الضرورة الحربية إلى ذلك . وقد ذكر الطبري مثلاً على ذلك ، أن فرسان بني العباس ترجلوا في معركة الزاب لمقابلة رجال بني أمية ، وقد التحم الفريقان بالنبال .

الكراديس

ومن الأنظمة الجديدة التي طرأت على الحرب ، نشوء ما يسمى بالكراديس (مفردها ـ كُردوس ، من فعل كَرْدَسَ أي جَمَعَ) . ويعزو بعض المؤرخين نشوء هذا النظام إلى خالد بن الوليد ، وبعضهم يعزوه إلى مروان آخر خلفاء بني أمية . ويتكون الكردوس من نحو أربعين رجلاً . وتقـول كتب التاريخ ، أن خالد بن الوليد ، قسم كل وحدة من جيش العرب

في اليرموك إلى كراديس ، لما رأى الروم يهاجمون وهم مقسمون على تلك الصورة . وقد نجح عمله هذا نجاحاً باهراً ، جعل العرب يدخلون نظام الكراديس في أصول التعبئة الحربية ، وأصبح كلّ قسم من أقسام الجيش الخمسة (المقدمة والقلب والجناح الأيمن والجناح الأيسر والساقة) ـ مقسماً إلى كراديس مرنة الحركة سريعتها . أما أقسام الجيش الخمسة الأساسية فبقيت على حالها ، ولكنها اكتسبت بإدخال نظام الكراديس عليها ، مرونة في الحركة ، وشدة فاعلية عند الشروع في القتال .

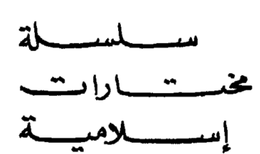
سلسلة مختارات اسلامية

١ - أبو بكر الصديق
٢ - عمر بن الخطاب
٣ - عثمان بن عفان
٤ - علي بن أبي طالب
٥ - رمضانيات (١)
٦ - القدس في البال
٧ - الجيش في الإسلام
٨ - أعياد وتواريخ إسلامية
٩ - أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ - أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ - أدعية وابتهالات
١٢ - كلمات ومواقف خالدة
١٣ - تأملات في الإسلام
١٤ - رمضانيات (٢)
١٥ - معارك إسلامية (١)
١٦ - معارك إسلامية (٢)
١٧ - أحاديث رمضانية
١٨ - قصص إسلامية (١)
١٩ - قصص إسلامية (٢)
٢٠ - الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ - الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ - التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ - التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ - من قاموس الصائم
٢٥ - من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ - من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ - من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ - ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ - ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ - ديار العرب والإسلام (٣)

سلسلة مختارات إسلامية

أعياد وتواريخ إسلامية

دار الفكر اللبناني


سلسلة
مختارات
إسلامية

أعياد
وتواريخ إسلامية

دار الفكر اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم

« لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ »

صدق الله العظيم

الهـلال

الهلال يظهر .

اليوم أول الشهر .

الهلال يظهر اثنتي عشرة مرة في السنة .

ولهذا نقول إن في السنة إثني عشر شهراً .

أسماء هذه الأشهر عشر هي :

محرم ،
صفر ،
ربيع الأول ،
ربيع الثاني ،
جمادي الأولى ،
جمادي الآخرة ،
رجب ،
شعبان ،

رمضان ،
شوال ،
ذو القعدة ،
ذو الحجة .

هذه الشهور الإثنا عشر نسميها السنة الهجرية .

ولنا في السنة الهجرية أعياد كثيرة ، ومواسم عديدة .

ونحن نحتفل بهذه المواسم والأعياد .

ولكننا ننسى أصلها ،
وننسى الأحداث التي وقعت فيها ،

وننسى المعاني التي تدل عليها .

ننسى ذلك كله ، ولا نذكر إلّا راحة العطلة ، ولذة الطعام ، وبهاء الزينة ، وجمال الموكب .

هذه الأعياد والمواسم يجب أن تذكرنا بجهاد آبائنا وأجدادنا .

يجب أن تذكرنا بالمعاني التي كافحوا من أجلها .

يجب أن تذكرنا بالمحن التي مرّوا بها ،

يجب أن تذكرنا بالتضحيات التي بذلوها ،

يجب أن تذكرنا بماضينا لنستمد منه القوة لحاضرنا ، والأمل في مستقبلنا .

يجب أن تذكرنا بأن أجدادنا سلَّموا لنا الدنيا خيراً مما تسلموها من آبائهم .

ونحن يجب أن نسلمها لأولادنا خيراً مما تسلمناها منهم .

رأس السنة الهجرية

ورأس السنة الهجرية عيد من أهم أعيادنا .

عيد يذكرنا بالنبي محمد ﷺ ، حين قام في مكة يدعو الناس إلى ترك عبادة الأصنام وإلىٰ الإيمان بإلٰه واحد ، ولكن الناس رفضوا أن يستمعوا لدعوته ، وأخذوا يحاربونه ويعتدون عليه .

وتحمل النبي كل هذا ، ومضى يدعوهم إلى الحق ومكارم الأخلاق .

وأخيراً ضاقوا به وأخذوا يفكرون في التخلص منه .

ودبروا مؤامرة لقتله في بيته .

فأمره الله أن يترك مكة ويهاجر إلى المدينة ، ففعل .

وفي نفس الليلة التي حددها الكفار لقتله ترك بيته وأهله

وأصحابه ، وسار قاصداً إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق .

وهجم الكفار على بيت الرسول ، ولكنهم لم يجدوه .

فجن جنونهم ، وخرجوا يبحثون عنه .

بحثوا عنه في السهول ،

بحثوا عنه في الجبال ،

بحثوا عنه في الكهوف ،

بحثوا عنه في كل مكان .

ولكن الله نجاه ووصل إلى المدينة بأمان .

وصل الرسول إلى المدينة ، ومعه صديقه أبو بكر .

واستقبلهما أهل المدينة بالفرح وهم يغنون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

هذا هو يوم الهجرة .

يجب أن نذكره دائماً ونحتفل به .

يجب أن نذكره ونذكر معه جهاد النبي وأصحابه .

يجب أن نذكر الاضطهاد الذي تحملوه ، والأموال التي تركوها ، والأهل والأولاد الذين هجروهم .

يجب أن نذكر أن الأذى لم يؤثر فيهم ، وأن العدوان لم يضعفهم ، وأن فراق الأهل والأولاد لم يغير عزيمتهم .

إنهم كانوا يعملون بعقيدة ثابتة وإيمان قوي ليجعلوا حياتهم وحياة أولادهم أسعد وأفضل .

عاشوراء

أول شهر في السنة الهجرية هو شهر المحرم .

كان العرب يحرمون القتال فيه ؛ ولذلك سموه المحرم .

وفي العاشر من هذا الشهر نحتفل بيوم عاشوراء .

فنصنع طعاماً مخصوصاً ، وندعو الله أن ينصر الحق ، ويزيد الخير ..

وفي هذا اليوم يحتفل كثير من المسلمين بذكرى الإمام الحسين بن علي .

كان أنصار أبيه في العراق قد دعوه إلى الحضور ليقودهم في المطالبة بإقامة العدل وإحقاق الحق . فأخذ أهله وأولاده وسافر

بهم إلى هناك . وعلى الحدود تعرض له جنود يزيد بن معاوية وأرغموه على القتال . فقاتل حتى مات .

مولد النبي

بعد المحرم يأتي شهر صفر ،

وبعده شهر ربيع الأول .

وفي هذا الشهر نحتفل بمولد النبي .

فتنور المآذن في الليل ،

وتقام الاحتفالات الدينية ،

وتظهر العرائس واللعب في الدكاكين ،

وتطوف المواكب في القرى ،

ويستمع المسلمون إلى تلاوة القرآن ، وإلى قصة الرسول عليه السلام .

فيذكرون كيف كان قائدهم مثالاً للصدق ، والأمانة ، والعفة ، والجهاد في سبيل العقيدة والرأي .

ليلتان مباركتان

وتمر الأشهر واحداً بعد واحد :

شهر ربيع الآخر ،

فشهر جمادي الأول ،

فشهر جمادي الآخرة ،

حتى يأتي شهر رجب .

وفي ليلة السابع والعشرين من رجب يحتفل المسلمون بليلة مباركة ، هي ليلة الإسراء .

فيوسعون على أنفسهم ، وعلى عيالهم ،

ويشكرون الله على ما أنعم به عليهم ، ويحمدونه على ما كرم به نبيهم وقائدهم :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

وبعد رجب يأتي شعبان .

وفيه يحتفل المسلمون بليلة أخرى ، هي ليلة النصف من شعبان .

إنها أيضاً ليلة مباركة ،

يجتمع فيها المسلمون في المساجد والجوامع ، ويتجهون بقلوبهم إلى الله ،

يصلون ويبتهلون ،

ويطلبون العفو والرحمة والمغفرة .

إنها ليلة تذكر بضعف المخلوق أمام الخالق .

العيد الصغير

ثم يجيء شهر رمضان ،

شهر الصوم والعبادة ،

شهر الصبر وتربية العزيمة ،

شهر البر والعطف والرحمة ،

شهر الزكاة والصدقات .

في هذا الشهر يصوم المسلمون عن كل ما يغضب الله ، ويتلون القرآن ويفكرون فيما أمرهم به ،

ويتبادلون الزيارات ،

ويتصدقون على الفقراء .

ليلة القدر

وفي هذا الشهر يحتفل المسلمون بليلة القدر .

فيقضون الليل في الصلاة ،

ويدعون الله أن يحقق مطالبهم .

فليلة القدر خير من ألف شهر ،

تنزل الملائكة والروح فيها ،

بإذن ربهم من كل أمر ،

سلام هي حتى مطلع الفجر .

عيد الفطر

وعندما ينتهي رمضان يأتي شوال بالعيد ، عيد الفطر أو العيد الصغير .

وفيه يتبادل المسلمون التهاني ،

ويزور بعضهم بعضاً

فيجب أن نذكره دائماً ،

يجب أن نذكر معه فقراءنا بالبر والإحسان ، ويجب أن نذكر

معه أهلنا وأصدقاءنا وجيراننا وأهل بلدنا .

يجب أن نذكرهم بالمودة والرحمة والأخوة ؛ فديننا أمرنا بذلك .

وبعده شوال يأتي شهر ذي القعدة .

وفي شهر ذي القعدة يستعد الحجاج لحج بيت الله .

فيجهزون ملابسهم ،

ويحصلون على الإذن بالسفر ،

ويحصنون أنفسهم من الأمراض ،

ويحجزون أماكنهم للسفر .

وبعضهم يسافر بالطائرة ،

وبعضهم يسافر بالباخرة .

وعند السفر يخرج أهلهم وأصدقاؤهم لوداعهم ، يسألونهم الدعوات .

العيد الكبير

آخر شهر في السنة هو شهر ذي الحجة .

فيه يجتمع المسلمون من كل الدنيا .

يجتمعون كلهم في مكة ،

ويقفون على جبل عرفات ،

لا فرق بين عربي وأعجمي ،

لا فرق بين غني وفقير ،

لا فرق بين عظيم وحقير .

كلهم متساوون أمام الله ،

وكلهم يدعون الله أن يغفر لهم ، وأن ينشر الأمن والسلام على المسلمين .

وبعد وقفة عرفات بيوم .

يجيء العيد الكبير أو عيد الأضحى .

ويحتفل المسلمون بهذا العيد في الدنيا كلها .

فيذبحون الأضاحي ، ويذكرون سيدنا إبراهيم .

أراد الله أن يمتحن إيمان إبراهيم ،

فطلب منه أن يذبح إبنه قرباناً لله .

فاستشار إبراهيم إبنه فقال له :

« يا أبت إفعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين » .

ولما رفع إبراهيم يده ليذبح إبنه أرسل الله له كبشاً عظيماً افتدى به إسماعيل .

فلنحتفل جميعاً بهذا العيد .

لنذكر آبائنا وأمهاتنا ،

ولنعمل على كسب حبهم ورضاهم ،

لنذكر فقراءنا وضعافنا ،

ولنعمل على مساعدتهم والعطف عليهم .

لنذكر أهلنا وأصدقاءنا ،

ولنعمل على مودتهم .

ولندخل السرور على صغارنا وكبارنا .

هذه أعيادنا ومواسمنا الدينية .

وكل شهر يمر يذكرنا بيوم من أيام الإسلام .

ولكل يوم شأن عظيم في الإسلام .

التاريخ الهجري

الهجرة هي هجرة النبي من مكة إلى يثرب التي سُمِّيَت من ثم المدينة . وقد هاجر مع النبي أتباعه فَسَمُّوا بالمهاجرين . ومنها بدء التاريخ الإسلامي أو الهجري . وأوله ١٥ أو ١٦ تموز سنة ٦٢٢ .

الأنصار هم رجال المدينة الذين قبلوا النبي بعد هجرته من مكة وناصروه على أعدائه .

أشهر السنة الهجرية أو القمرية .

١ محرّم	٣٠ يوماً
٢ صفر	٢٩ يوماً
٣ ربيع الأول	٣٠ يوماً
٤ ربيع الثاني	٢٩ يوماً
٥ جمادي الأولى	٣٠ يوماً
٦ جمادي الآخرة	٢٩ يوماً
٧ رجب	٣٠ يوماً
شعبان	٢٩ يوماً
٩ رمضان	٣٠ يوماً
١٠ شوال	٢٩ يوماً

١١ ذو القعدة	٣٠ يوماً
١٢ ذو الحجة	٢٩ يوماً

الخلفاء الراشدون

أبو بكر الصديق	٦٣٢ ـ ٦٣٤ م
عُمَر بن الخطاب	٦٣٤ ـ ٦٤٤ م
عثمان بن عفان	٦٤٤ ـ ٦٥٦ م
علي بن أبي طالب	٦٥٦ ـ ٦٦١ م

الخلفاء الأمويون ٦٦٠ ـ ٧٥٠

معاوية بن أبي سفيان	٦٦٠ ـ ٦٨٠ م
يزيد بن معاوية	٦٨٠ ـ ٦٨٣ م
مروان بن الحكم	٦٨٣ ـ ٦٨٥ م
عبد الملك بن مروان	٦٨٥ ـ ٧٠٥ م
الوليد بن عبد الملك	٧٠٥ ـ ٧١٥ م
سليمان بن عبد الملك .	٧١٥ ـ ٧١٧ م
عُمَر بن عبد العزيز	٧١٧ ـ ٧٢٠ م
يزيد الثاني بن عبد الملك	٧٢٠ ـ ٧٢٤ م

هشام بن عبد الملك	٧٢٤ ـ ٧٤٣ م
الوليد الثاني بن يزيد الثاني	٧٤٣ م
يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك	٧٤٤ م
إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	٧٤٤ م
مروان الثاني بن محمد بن مروان	٧٤٤ ـ ٧٥٠ م

ولما قضى العباسيون على بني أمية في الشرق وانتزعوا منهم الخلافة وأعملوا فيهم السيف نجا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وهرب إلى الأندلس فأقام فيها الدولة الأموية بين ٧٥٦ و ١٠٣١ بعد أن جعلوا قرطبة عاصمة لهم . وعددهم ستة عشرة . أشهرهم عبد الرحمن الأول الملقب بالداخل (٧٥٦ ـ ٧٨٨) عبد الرحمن الثالث الناصر (٩١٢ ـ ٩٦١) اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين وهو من أكبر ملوك القرون الوسطى .

الخلفاء العباسيون ٧٥٠ ـ ١٢٥٨

أبو العباس السفاح	٧٥٠ م
أبو جعفر المنصور	٧٥٤ م
المهدي بن المنصور	٧٧٥ م
الهادي بن المهدي	٧٨٥ م

هارون الرشيد بن الهادي	٧٨٦ م
الأمين بن الرشيد	٨٠٩ م
المأمون بن الرشيد	٨١٣ م
المعتصم بن الرشيد	٨٣٣ م
الواثق	٨٤٢ م
المتوكل	٨٤٧ م
المنتصر	٨٦١ م
المستعين	٨٦٢ م
المعتز	٨٦٥ م
المهتدي	٨٦٩ م
المعتمد	٨٧٠ م
المعتضد	٨٩٢ م
المكتفي	٩٠٠ م
المقتدر	٩٠٨ م
القاهر	٩٣٢ م
الراضي	٩٣٤ م
المتقي	٩٤٠ م
المستكفي	٩٤٤ م
المطيع	٩٤٦ م
الطائع	٩٧٤ م
القادر	٩٩١ م

القائم	١٠٣١ م
المقتدي	١٠٧٥ م
المستظهر	١٠٩٤ م
المسترشد	١١١٨ م
الراشد	١١٣٥ م
المقتفي	١١٣٦ م
المستنجد	١١٤٦ م
المستضيء	١١٧٠ م
الناصر	١١٨٠ م
الظاهر	١٢٢٥ م
المستنصر	١٢٢٦ م
المستعصم	١٢٤٢ م

وهو آخر الخلفاء العباسيين قتله هولاكو .

الدينار والدرهم

الدينار لفظة يونانيّة لاتينيّة معربة تدلّ على نقد من ذهب ضربه الملك أو الأمير . وكان الدينار البيزنطي يصل عرب الحجاز قبل الاسلام ومن بعده وبه يتعاملون .

ثم عمد معاوية الخليفة الأموي إلى ضرب دينار عربي ،

على ما ذكر المقريزي ، لكن قطعة واحدة من ضربه لم تصل إلينا . وضرب عبد الملك بن مروان في سنة ٧٦ هـ . أول دينار وصل إلينا وهو يقلّد الدينار البيزنطي في صوره وقطعه ووزنه . ثم عمد إلى حذف الصور واكتفى بالكتابة . وفي دينار محفوظ منه نُقش على الوجه في المركز : « الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد . » وفي الطوق المحيط بالوجه : « بسم الله ضُرب هذا الدينر في سنة سبع وسبعين » .

ووزن الدينار العربي مثقال كما عند البيزنطي أي ٤,٢٦٥ غرام بتفاوت يسير بين الدنانير المحفوظة . وعيار الذهب فيه مرتفع غالباً ، بقدر ما كانت تنجح طرق تصفية الذهب . فمنه ما وُجد بعيار ٢١ من ٢٤ ضُرب في ١٠٤ هـ . ومنه ما وُجد باسم الرشيد بعيار ٢٣,٥ . وقطره قريب من عشرين مليمتراً .

وضرب العرب أيضاً إلى جانب الدنانير أنصافاً وأثلاثاً وأرباعاً من الدينار . وكانوا في معاملاتهم يزنون الدنانير ولا يأخذون بعددها تحسباً من الغش في ثقلها ، وينقدونها : والنقد صنعة النقّاد الذي كان يعرف من لون الدينار ورنّته ومن حكّة عيار الذهب فيه . وكانت عشرة دنانير تكفي العائلة المتوسّطة الحال في الشهر الواحد أيام العباسيين .

الدرهم نقد من فضة . وكانت الدراهم ترد على العرب قبل

الإسلام من بلاد العجم والعراق الواقع آنئذ تحت الحكم العجمي .

ووزن الدرهم العربي سبعة أعشار الدينار أي ٢,٩٨٥ غرام . وكانت قيمة الذهب في بدء الاسلام ١٤ مثلاً من قيمة الفضة ، ثم تغيّرت النسبة مع الأيام دون أن تستقرّ . ويسمي العرب النقد الذهبي عيناً والنقد الفضي ورقاً .

اليوم أول الشهر

فجن جنونهم وخرجوا يبحثون عنه

ويستمع المسلمون إلى قصة الرسول

ويتصدقون على الفقراء

ويقفون على جبل عرفات

سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
١ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)

سلسلة مختارات إسلامية

تأملات في الإسلام

دار الفكر اللبناني

سلسلة
مختارات
إسلامية

تأملات في الإسلام

دار الفكر اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

صدق الله العظيم

على الله فليتوكل المؤمنون

الاسلام : « أن يسلم لله قلبك »، « الوحيد »: « أياك نعبد واياك نستعين »، اسلام الوجه لله ، وذلك يقتضي التوكل على الله كجزء لا يتجزأ من الاسلام .

ويتلون التوكل بحسب درجاته ويأخذ اسما تبعا لدرجته فيكون : توكلا ، ويكون « تسليما » ويكون « تفويضا ».

والتوكل بداية هذا المقام الروحي والتسليم واسطة ، والتفويض نهاية ان كان للثقة في الله نهاية ومع ذلك فان كلمة « التوكل »، تطلق على كل درجاته ، وتستعمل في كل انواعه .
وعلى هذا الوضع يامر سبحانه وتعالى به جاعلا منه صفة لا تنفك عن الايمان قائلا :

« وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » ويأمر سبحانه به امرا مطلقا كل مؤمن فيقول :
وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

واذا توكل الانسان على الله سبحانه فان ثمرة ذلك امران :
الامر الاول هو : حب الله له ، يقول سبحانه :
« ان الله يحب المتوكلين » .

والامر الثاني هو كفاية الله له ، يقول سبحانه :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

لقد سئل يحيي بن معاذ ـ وهو من ائمة الصوفية ـ : متى يكون الرجل متوكلا ؟

فقال : اذا رضي بالله تعالى وكيلا .

ويتحدث القرآن الكريم عن بعض الظروف التي ظهر فيها ان المؤمنين الصادقين هم الذين يتخذون الله وكيلا ، يقول سبحانه وتعالى عن المؤمنين في غزوة احد :

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم : فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

ماذا كانت النتيجة ، انها ما عبر الله سبحانه عنها بقوله :

« فانقلبو بنعمة من الله وفضل ، لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

من هم هؤلاء ؟ انهم :

الذين استجابوا الله والرسول من بعد ما اصابهم القرح » ما

هي قصتهم ! ان مشركي مكة لما أصابوا ما اصابوا من المسلمين يوم أحد أخذوا في العودة إلى مكة فلما استمروا في سيرهم ندموا : لِمَ لم يجهزوا على أهل المدينة ويجعلوها الفيصل ، وكان من كلامهم :

لا محمدا قتلتم ، ولا الكواعب اردفتم بئسما صنعتم ، ارجعوا .

وأرادوا العودة الى المدينة .

ولكن أبا سفيان لم ينسى يوم بدر ، ولم ينس ان الفئة القليلة يوم بدر غلبت ثلاثة امثالها مع وفرة العدة في الكثرة : فأحب اولا ان يعجم عود المسلمين ، وكان من المصادفات ان مر به ركب من عبد القيس ، فقال : اين تريدون ؟ ، قالوا نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذ وافيتمونا ، قالوا : نعم ، قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا المسير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بحمراء الاسد ، فاخبروه بالذي قال ابو سفيان واصحابه فقالوا ـ النبي وصحبه ـ حسبنا الله ونعم الوكيل .

قالوا : ذلك واستعدوا مباشرة للقتال من جديد : من كان مجروحا ضمد جرحه من جديد ، ومن كان قد كل سيفه احده ،

ومن كان امره متفرقا في نفسه او ماله اصبح امره جميعا . .
.واستعدوا لخوض المعركة بكل ما يملكون من وسائل وكان ابو سفيان ينتظر نتيجة الرسالة وما تحدثه من صدى :

ورجع واحد من وفد عبد القيس يقول لابي سفيان :
لقد رأيتهم كالاسد الموتورة عازمة على الاخذ بالثأر .

ولما سمع أبو سفيان ذلك أخذ في العودة إلى مكة طلباً للسلامة .

والتوكل اذن والمتوكلون يتخذون الاسباب ويستعدون كاكمل ما يكون الاستعداد وادق ما يكون الاستعداد .

ومن اجل ذلك يقول الامام التشيري ـ من ائمة الصوفية ـ:

واعلم ان التوكل محله القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى ، فان تعسر شيء فبتقديره ، وان اتفق شيء فبتيسيره .

التقدير من قبل الله تعالى : اذا آمن الانسان بذلك ـ ولا بد ان يؤمن به ـ فهو متوكل .

والان نسير مع السيرة النبوية الشريفة بعد غزوة احد لنصل الى غزوة الاحزاب فنرى الحق تبارك وتعالى يقول :

« ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم الا ايمانا وتسليما » .

لقد زادتهم رؤ ية الاحزاب ـ الجيوش الجرارة التي اتت لتهدم المدينة وتقتل من فيها ـ ايمانا وتسليما .

ماذا فعلوا ، لقد سهروا ليلا ، واقاموا نهارا من وراء الخندق يرقبون حركات العدو ويستعدون لكل شأن من شئونه ، لقد لبسوا دروعهم ، وتسلحوا بسيوفهم واقواسهم وسهامهم لقد احكموا كل امر من امور الحرب بحسب طاقتهم . . . ولكن الامر ، فيما يسلمون به ، الله كله : اليه يرجع الامر كله . . وما زادهم الا ايمانا وتسليما ، ايمانا قلبها وتسليما قلبيا . وان من الملاحظات التي لا تخفى على قارئى القرآن ان آية الاحزاب هذه يسبقها مباشرة قوله تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » .

ولقد تابع المؤمنون الرسول ﷺ في توكله وأتبعوه مسلمين في استعداده وتأهبه ، لقد اتخذوه أسوة .

ويقول الامام سهل بن عبد الله ـ من ائمة التصوف ـ هذه الكلمات الجميلة حقا ، الصادقة حقا :

التوكل حال النبي ﷺ ، والكسب سنته ، فمن بقى على حاله ، فلا يتركن سنته .

اما كيف عرف سهل نفسه التوكل ؟

فانه قال :

التوكل : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .

وهي كلمة نفيسة : الاسترسال مع الله على ما يريد في كل ما اراد سبحانه : في الجهاد في الضرب في الارض طلبا للمعرفة والعلم .

انه الاسترسال مع الله على ما يريد وهذا يقتضي ان يسكن الانسان الى النتائج بعد ان يكون قد اتخذ الاسباب بقدر طاقته .
ويقتضي امرا آهخر هو :
الابتعاد عن كل مالا يريد سبحانه :

وهذا التعريف لسهل رضي الله عنه يتناسق مع تعريف الامام حمدون القصار ـ من كبار الصوفية . حيث سئل عن التوكل فقال :

التوكل هو الاعتصام بالله تعالى . انه الاعتصام بالله تعالى في اتباع اوامره ، وهو الاعتصام بالله تعالى في اجتناب نواهيه ، وهو الاعتصام بالله تعالى في الحركة ، وهو الاعتصام بالله في النتائج اي السكون اليه في كل ذلك مع السكينة فيما يتعلق بالنتائج .

وقصة ثالثة يقصها القرآن الكريم : قصة رجل مؤمن صادق الايمان وقف ناصحا في وجه الطغيان والجبروت يدعو الى الله ويبشر بالتعاليم الصادقة وينذر ويهدد بعقاب في اسلوب قوي لا يخشى فيه لومة لائم : تلك هي قصة مؤمن آل فرعون الذي بعد ان نصح وبشر وانذر قال :

فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ».

وكانت النتيجة ما قصة الله تعالى بقوله :

« فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعـون سوء العذاب .

ومن كل ما تقدم ننتهي كما بأنا بأن التوكل جزء لا يتجزأ من الايمان والصورة المثلى جزء لا يتجزأ من الايمان والصورة المثلى فيه هي صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان امام المتوكلين وكان امام المناضلين ومن بعده صورة أبي بكر رضي الله عنه والصحابة الاجلاء الذين كانوا متوكلين وكانوا مناضلين في الحرب وفي التجارة وفي الزراعة .

وبعد فيقول الله تعالى : « ان الله يحب المتوكلين ».
ويقول سبحانه :

« وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا »■

الاسلام والعلم

بدأت الحضارة الاوربية الحديثة حينما اتجهت اوربا ـ في العلم ـ الى منهج التجربة والملاحظة والاستقراء ، وحدد هذا المنهج دائرة العلم في العرف الاوربي : انه المادة يراها او نلمسها او نتذوقها . . او نفترضها ، وفي هذه الحالة يبقى الافتراض

مظنونا الى أن تثبته التجربة او تنفيه ، والعلم اذن ـ فيما يرى الاوربيون ـ هو هـذه القواعـد والقوانـين التي هي نتيجة الاستقراء ، ودائرة العلم اذن : الكون المادي سماواته وارضه وما بين السماء والارض .

ما موقف الاسلام من هذا المجال المادي ؟

ان اسلافنا رضوان الله عليهم يطلقون على علم الطبيعة : « علم الكشف عن سنن الله الكونية » ، وهي تسمية جميلة ودقيقة ، انهم يعتبرون كل كشف عن قانون في الطبيعة انما هو كشف عن سنة من سنن الله في الكون ، والكون كله سنن من سنن الله وكلما كشفنا عن سنة من سنن الله فيه وجهنا الكشف نحو مجهولات لا بد من كشفها ، وكلما اتسعت دائرة الانسان في العلم المادي كان اكثر تقديرا لكثرة المجهولات اي اكثر اعترافا بجهله .

ان العلم ـ وهذا لا يحتاج الى استدلال ـ لا يسير سيرا عشوائيا ، وانما يسير تبعا لقوانين ثابتة متطورة وكل شيء فيه مقدر تقديرا دقيقا : انه اسباب ونتائج ، علل ومعلولات . . انه قوانين . .

ولقد حثنا الاسلام على الاخذ في اكتشاف مجاهيل الكون ، وبين الله سبحانه وتعالى انه سخر هذا الكون للانسان ، ويمتن الله سبحانه على الانسان بان جعل له الارض ذلولا ليجوب في

مناكبها : يجوبها طلبا للرزق ، ويجوبها لينظر آثار السابقين وماذا كانت نتيجة ما صنعوا وما كسبت ايديهم ، ويجوبها للعظة والاعتبار ، وفي هذا الجانب من التسخير ياخذ البحث عن الاثار زاوية ثانية ، وتتبقى منه زوايا اخرى كثيرة .

والله سبحانه يسمى علم التاريخ : العلم بايام الله في الشدة والرخاء ، في البأساء والضراء ، في الهزيمة والنصر . والعلم بأسباب ذلك كله لنستفيد منه .

ويمتن الله علينا في هذا الجانب ـ جانب تذليل الارض ـ بان ذلل لنا البحار والانهار لنستفيد منها في الغذاء ونستخرج منها حليا للزينة ، ولتجري الفلك فيها : تسير باسم الله مجريها ومرساها شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا .

ويمتن علينا سبحانه بان سخر لنا الشمس والقمر والليل والنهار ، والنجوم والكواكب يقول تعالى :

وتسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره ، وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار .

ويقول سبحانه :

الم تر أن الله سخر لكم ما في الارض .

ويقول تعالى :

وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه .

وهذا الامتنان منه سبحانه يعني انه ينبغي علينا ان نستجيب لهذا التوجيه الالهي فنستفيد من كل ذلك ، من السماء : كواكبها ، واقمارها ، ونجومها ، ومن الارض بحارها وانهارها وجبالها ووديانها وسهولها ، ونستفيد مما بين السماء والارض : الجو والسحب والرياح . .

وهذه الاستجابة معناها العمل الدائب للوصول الى ما احبه الله منه : الكشف عن سنته واستخدام قوانينه بالوسائل والاسباب الطبيعية .

على ان امرا اخر كان من اكبر العوامل في تووجيه المسلمين نحو الكشف عن سنن الله الكونية : هو هذه الدعوة الملحة الى العلم : آيات من القرآن الكريم آمرة وباعثة وناصحة بالاتجاه نحو العلم واحاديث نبوية شريفة في فضل العلم والحث عليه والامر به . وكان اثر ذلك اندفاعا من المسلمين نحو البحث في زوايا العالم وخفاياه ، فكان هؤلاء الافذاذ في كل مجال امثال ، جابر بن حيان ، والكندي وابن الهيثم ، والرازي ، وابن النفيس وعشرات غيرهم في مجال سنن الله الكونية .

واستخدم هؤلاء منهج الاستقراء ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية ان تسير في طريقها دون عوائق لكان

المسلمون هم الذين غزوا الفضاء ، وكانوا هم الذين وصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب .

والمسلمون بتخلفهم هذا في العلم بسنن الله الكونية انما ينحرفون عن الخط الاسلامي الصريح ، وينحرفون عن خدمة الوطن ، فهم بهذا التخلف آثمون دينيا واثمون وطنية . وهذا المنهج الذي نهض بأوربا هو منهج اسلامي : وضع المسلمون ـ متابعين للتوجيه الالهي ـ مبادئه وارسوا قواعده ، وجاء الغربيون فتتلمذوا على المسلمين فيه ، وساروا على قواعده ، فكانت الحضارة الاوربية التي اسس المنهج التجريبي فيها « روجيه بيكون » .

من اين استفاد « روجروجيه بيكون » منهجه ؟ من هو الملهم له ؟

يقول الكاتب الانجليزي الاستاذ : « بريفولت » في كتابه النفيس : « بناء الانسانية » ليس « روجيه بيكون » ولا « لفرانسيس بيكون » الذي جاء بعده الحق في ان ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن « روجيه بيكون » الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى أوربا المسيحية ، وهو نفسه لم يمل قط من التصريح ، بأن تعلم معاصريه في اوربا اللغة العربية ، وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

ويقول في مكان اخر من كتابه : ولقد كان العلم اهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث .

ويقول ايضا :

ولم يكن العلم العربي وحده هو الذي اعاد الى اوربا الحياة ، بل ان مؤثرات كثيرة من الحضارة الاسلامية بعثت باكورة اشعتها الى الحياة الاوربية .

ويستفيض المؤلف فيما يتعلق بما للعرب ، وبما للمنهج العربي من أثر فيما يتعلق بالحضارة الحديثة .

لا اريد ان الليل في سرد نصوصه ، وهي كثيرة كلها تثبت ان هذا المنهج التجريبي ، انما هو المنهج الذي قامت عليه الحضارة العربية ، وان اوربا ، انما اخذته من العرب ، ولم تبتدعه ابتداعا ، ولم تكتشفه اكتشافا .

هذا فيما يتعلق بالمنهج .

اما فيما يتعلق بالموضوع ، فان المؤلف نفسه الذي الف هذا الكتاب ، الذي تحدثنا عن بعض آرائه يقول في صراحة ، لا لبس فيها : « ان العلم الاوربي ، مدين للعلم الاسلامي العربي في كثير من موضوعاته » من هذا نرى انه ليس مدينا في المنهج فحسب ، وانما في الموضوعات أيضا .

امة واحدة

الاسرة البشرية التي استخلفها الله في الارض ترجع في اصل نشأتها الى مبدأ واحد وتدين في وجودها الى خالق واحد وهذه الوحدة في الخلق والخالق هي الرابطة التي تجمع بين الناس على اختلاف السنتهم والوانهم وتباين بيئاتهم وتباعد اوطانهم . هذه الوحدة في الشعور والمشاعر هي هدف الرسالات السماوية جاءت كلها تدعو اليها وتعمق مجرى الايمان بها وتهتف بالبشرية ان يلتفوا حول رايتها « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » .

غير ان قوى البشر تميل بكثير من الناس من الجادة فتفرقهم طرائف ، وتمزقهم شيعا واحزابا وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا .

ولا يشك احد في ان الجماعة التي تؤمن بالوحدة وتسير على هديها وتترسم خطاها وتصل الى تحقيقها املا وعملا هذه الامة تعيش قوية الاركان متينة النبيان شامخة الذرى يلين لها العصا وتذلل امامها العقبات وتدنو العصى منها الغايات البعيدة وتهابها الجماعات الاخرى وتخطب ودها الامم .

واذا عاشت الجماعة لم تستشعر معنى الوحدة فضلت عن

طريقها ولم تعمل لايجادها بين صفوفها هانت على نفسها وكانت على عدوها اهون . وتناثر عقدها وتفرق شملها . ووهنت قوتها وفتحت الثغرات بينها للدخلاء والمستغلين ولا حياة لها في مجتمع لا يعترف بغير القوة سلاحا .

من أجل هذا جاء الاسلام بعمق معنى الوحدة في نفوس اتباعه . ويدعو الناس جميعاً إلى كلمة سواء في آله واحد هو الله سبحانه وتعالى « والهكم آله واحد لا إله إلا هو » وطوى مشاعرهم كلها في شعور واحد هو الأخوة : « إنما المؤمنون أخوة » وجمع مناهجهم في منهج واحد هو البر « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وشهدهم إليه بميثاق واحد هو الايمان .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » واتاح لهم الفرص المتكافئة على قدم المساواة « أن اكرمكم عند الله اتقاكم » ووجه جهودهم الى هدف واحد هو التمكين للحق والعدل ومقاومة الباطل والظلم « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ».

ولقد رعى النبي ﷺ هذا المنهج التربوي في الوحدة فاستحث الهمم اليها بقوله يد الله مع الجماعة وصور قوتها واثرها بقوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وحذر من الخروج عليها بمثل قوله « انما يأكل الذئب من الغنم القاصية » وحكم

بقتل الخارج عليها بقوله من جاء يفرق امر هذه الآمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان .

في ظل هذه الوحدة الطاهرة التي اجتمعت عليها القبائل وانصهرت في بوتقتها الاحساب والانساب والالوان واللغات حمل العرب مشغل الهداية فاناروا الطريق وحطموا الاغلال وانطلقوا الى ميادين العلم والاقتصاد والعمران وسائر الميادين فاتوا بالاعاجيب .

ولقد جدت للجماعة الاسلامية والأمة العربية أحداث مختلفة انفرط بعدها عقدهم وتقلص ظلهم وتداعي الغاصبون على دولتهم فانقفقصوا أطرافها وتحكموا في أمرها واقتسموا أوطانها ومكنوا لأنفسهم فيها وأثاروا الحقد في نفوس أبنائها وبعثوا العصبيات بين رجالها واختلفت دول وقامت إمارات ونصبوا حكاماً فاختلفوا أهواء وتصارعوا أهدافاً ونسوا ماضيهم زمناً وعاشوا في فرقة وحلاف .

ولكن إذن الله لهذه الأمة أن تنهض من عثرتها وأن تقوم من كبوتها فتلاقي الأحرار واجتمع المخلصون فتحررت الأرض وتقلص ظل الاستعمار ونهضت الامة ولكن الاستعمار يعلم علم اليقين قوة العرب والمسلمين اذا اتحدت كلمتهم وتوحدت قلوبهم ومشوا صفا واحدا يبنون مستقبل امتهم كما كان اباؤهم من قبل .

لم ينس الاستعمار ان في كل وحدة للصف وتجمع للقوم نهاية لاطماعه فكلما لاحت بشريات الوحدة مشى اعداء الامة بالوقيعة والنميمة بين ابنائها حتى لا تعود الى الوجود ايام كايام صلاح الدين فهو يحاربنا اليوم بمنطق الوحدة فاتحد الاعداء حولنا وقاتلونا بسلاحنا .

واليوم صيحة الحق والوحدة تعلو تعلن بعث امة . هي في اشد الحاجة الى وحدتها الاولى امام عدو شرس لن ترده عن اطماعه الا وحدة اصيلة استمدت قوتها من السماء ورسخت اصولها ثابتة لتؤتى اكلها كل حين باذن ربها فقام اتحاد الجمهوريات العربية نواة لوحدة اشمل واتحاد اكمل .

ومن حسن الطالع ان يستمد الاتحاد من روح الله قوته ومن تأييد الله نصرته فيعلن في دستوره ان الشريعة الاسلامية مصدر التشريع فيه . وبذلك ياخذ الاتحاد من المقومات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والتشريعية اساسا لانطلاقة تحقق النصر المبين .

واذا كانت وحدة الامة العربية شهدت اول ايامها بظهور دعوة الاسلام فوحدت بشعائرها قلوب المؤمنين في وحدة تامة في كل ما فرضه الله فانطلق ابناؤها يعلنون بالحق كلمة الله وينشرون في الارض نور الحق ويقيمون في الدنيا صرح العدل . فاذا بها تشهد اليوم على نفس الطريق وحدة الامة العربية وحدة مؤمنة بعقيدتها

متمسكة بدينها مستهدية هدى ربها . فالدين مقوم اساسي في صرح هذه الوحدة بجانب المقومات المادية الاخرى التي تبنى عليها صرحها القوي والتي يحرص عليها الاسلام ولا يعارضه .

فليبذل كل مواطن عربي على هذه الارض الطيبة غاية جهده لتقوى اركان هذه الوحدة وليتسع نطاقها حتى تشمل الامة العربية كلها ولنسر جميعا صفا واحدا لنحقق اول اهدافنا واعز امالنا وهو النصر على عدو الله وعدونا وليطرح ابناء الامة العربية خلافاتهم وليوحدوا صفوفهم وليجمعوا رأيهم حتى يستحقوا خطاب ربهم لهم « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون »□

الايمان

ان الايمان لازم للجماعة لانه العقيدة التي تعطيه الفوة التي ينبعث بها ويتابع مسيرة التقدم والرفعة .

والايمان يجب ان تتوفر فيه خصلتان :

احداهما : ان يكون ايمانا بمبادىء سامية رفيعة ، حتى تستطيع ان ترفعه بمكانتها . فمن يتابع غرضا عاليا ترتفع همته بقدر علو هذا الهدف ورفعته . ويعلو في انسانيته حتى يبلغ مكانة هذا الهدف ومرتبته . ومن يتابع غرضا دنيئا ينحدر الى مستواه ويقف جهده عند بلوغه . فيقف منحصرا عند حدود الانانية والاشباع الذاتي بدلا من العلو الى مدارج الانسانية وادراك القيم المعنوية .

ثانيا ـ ان يكون الشعور بالمبدأ قويا في القلب . فبقدر اليقين والايمان بالمبدأ بقدر ما يكون الانفعال به والتقدم بسببه . والايمان بمبدأ لا يصلح كمقوم اجتماعي الا اذا كان « قيمة شعبية » والقيمة هي الشيء العزيز الغالي الذي يضحي الانسان في سبيله بكل ما عداه . فلا يصبح أن نقول أن عقيدة معينة قد أصبحت « قيمة شعبية أو اجتماعية » إلا إذا وصل الأمر إلى الاستعداد التام للفناء في سبيل الدفاع عن هذه القيمة وتضحية الروح والمال في سبيلها .

اما اذا قلنا ان لهذا الامر قيمة اجتماعية ، ولم يكن لدى الناس استعداد للتضحية التامة في سبيله فاننا في الواقع نقول بالستنا ما ليس فى قلوبنا .

والقيمة الاجتماعية هي اعز واعلى « المقومات الاجتماعية » والمقومات الاجتماعية هي العناصر المختلفة التي تجعل لمجتمع معين مرتبة معينة بين الجماعات .

فالجماعة تقيم او تقوم ـ اي تحسب قيمتها ـ حسب عناصر مختلفة كمقدار ما تحوز الجماعة من المال والثروة ، ومن الثقافة ، ومن المبادىء والاخلاق ، ومن الامكانيات العديدة التي تسندها عناصر تاريخية وجغرافية ولغوية وغير ذلك . فهذه العناصر هي التي تعطي للمجتمع درجته ورتبته . واغلى هذه العناصر واثمنها

هو عنصر « القيمة الشعبية » اي المبدأ او العقيدة التي تحيا بها نفوس الجماعة .

وقد اهتم الاسلام بأن يجعل للجماعة الاسلامية « قيمة » عليا هي الايمان بالله تعالى وحده ، وبالتالي تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه وهي أعلى القيم لأن « الله المثل الأعلى » ومن المعلوم أن المبادىء تتدرج صعوداً من اعتناق العدوانية والاجرامية ، بأن يكون الانسان عدواً لنفسه والجماعة وذلك كدأب دولة كالتتر أيام جانكيز خان حينما رفعت على الناس راية التخريب والتدمير . ثم إلى الأنانية والانحصارية والعصبية ، وذلك كدأب الدولة الاستعمارية والدول التي رفعت شعار العنصرية كألمانيا النازية وايطاليا الفاشيستية . ثم إلى الانسانية واستهداف المقاصد المعنوية المجردة وأسماها ما هو مستمد من أسماء الله الحسنى باعتباره العدل الحق العليم الرحيم . فكل هذه أهداف لو تحلى بها الانسان سما في مقاصده .

كما اعتنى الاسلام بأن تظل هذه القيمة حية مشبوبة مستعرة في القلوب ، وذلك بالعبادات . فبعضها يومي كالصلاة ، أو أسبوعي كالجمعة أو سنوى كالصوم والزكاة أو عمرى كالحج وبذلك قام الاسلام على هذه الأركان الخمسة التي تظل بها حمية العقيدة قوية مشتعلة في القلوب ثم ربط أحكام الدنيا بالعقيدة عن طريق هذه العبادات . بأن جعل لأمور الدنيا أوصافاً من

أمور الأخرة فيكون البيع أو الزواج أو غيرهما فرضاً أو حلالاً أو حراماً أو مكروهاً أو مندوباً بسبب هذا الربط بين الدنيا والآخرة .

والعلم ألزم للجماعة من الايمان . لأن الايمان يأتي عن طريق العلم . قال الامام البخاري رضي الله عنه « العلم قبل القول » « النطق بالشهادة » والعمل « بمقتضاها » لقول الله تعالى . ﴿ فاعلم انه لا إله إلا الله . فبدأ بالعلم ﴾ .

فاذا علمت الجماعة سبب العقيدة وسبب الاقتناع بها ، تمسكت بها اشد التمسك وصارت « قيمة اجتماعية » تغنى في سبيلها .

وغاياته .

ثم ياتي بعد ذلك دور اخر لازم للعلم .

فان العلم هو الذي يجعل العقيدة قابلة للتطبيق ويحيلها من الشعار المجرد الى التنفيذ الملزم .

وبدون هذا التطبيق يظل المبدأ اعلانا ولافتة تصلح للهتافات والخطب الرنانة فحسب . ولا يفيد الناس منها شيئا .

ونضرب لذلك مثالان :

احدهما من التطبيق الاشتراكي ، فانه من المقرر ان الاشتراكية التي لا تصحبها خطة هي اشتراكية خيالية وانها لا

تصبح ذات قيمة عملية الا اذا وضعت لها خطة عملية . وان لينين لم يفلح في ارساء قواعد النظام البلشفي الا بعد ان وضع السياسة الاقتصادية الجديدة « ن ي ب » فعند ذلك تبدو مساندة العلم للمبدأ ويتيسر تطبيقه ، بوضع تشريعات الثورة والخطة العملية الناجحة اقتصاديا واجتماعيا لتيسير تطبيق مبادئها .

وثانيا من التطبيق الدستوري عموما . فان النص في الدستور على الحريات يقتضي المبادرة الى مساندة هـذه النصوص بالتشريعات المكملة للدستور ، وذلك كما لاحظ المؤتمر القومي في جلسته الاخيرة . فلا بد للعون العلمي من ان يدرك المبدأ ويسنده . وكذلك فان النص على هيمنة الشريعة الاسلامية على النظام القانوني واستمراره منها يقتضي ان يبذل علماء الدين والقانون والاقتصاد والاجتماع جهودهم المتضافرة المتحالفة لتيسير تطبيق هذا النص . وهذا يتطلب منهم مجهودا شاقا مخلصا بالعرق والدم . لانه بقدر ما فرطنا في حق هذه الشريعة وتخلفنا عن تغذيتها بالجهود المتصلة بقدر ما يجب ان تعوض هذا التاخير بالجهد الصادق المخلص .

وان الذي رزقنا بمالك وابى حنيفة والشافعي وابن حنبل في صدر الاسلام لقادر على ان يرزقنا الان بمن يقومون بحق الله وحق الامة ويحيلون هذا النص القرآني الذي نرجو من الله صدوره ـ الى تطبيق عملي ممكن التنفيذ .

العبادات علاج للقلق

العبادة ، لغة الطاعة او الفعل الذي يقصد به تعظيم الغير . وقد كلف الله المسلم بعبادات معينة تشمل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج . وفي كل عبادة منها يتحقق معنى الطاعة لله وتعظيمه تعالى والتقرب اليه . . ولما كان الله هو خالقنا . فانه لا ينبغي التوجه بالعبادة الى ما سواه عملا بقوله تعالى « وقضى ربك الا نعبدوا الله الا اياه » وتتضمن كل عبادة من تلك العبادات ايضا التزام ا الانسان باوامر الله ونواهيه . وهذا يعني من ناحية اخرى مخالفة الانسان لاهوائه وشهواته التي يميل اليها بطبعه كل الميل . والتي من شانها ان تنحرف به الى الاضرار بنفسه او بالمجتمع . والى هذا المعنى يشير الجرجاني في تعريفة للعبادة بقوله « فعل المكاف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه » .

ومن هنا يمكن القول بان من اهم اهداف العبادات في الاسلام على اختلاف صورها تهذيب الفرد اخلاقيا . وتربية المجتمع التربية المثلى لانها تمد افراد المجتمع بطاقات روحية خلاقة لا حصر لها تعينهم على انجاز ما هو نافع من الاعمال وتحول بينهم وبين مسالك الشر واسباب الانحرافات .

وثمة ارتباط وثيق بين العبادات والايمان ، فهي بالنسبة

للمؤمن المظهر العملي لايمانه المستقر في قلبه المسيطر على شعوره ووجدانه ولعلك تدرك هنا عمق المعنى في قوله تعالى « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر ». وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام « انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني » امره بعد التوحيد بالعبودية . لان التوحيد اصل والعبودية فرع . وان شئت قلت : العبودية هي ثمرة التوحيد .

ومن هنا اعتبر علماء الاسلام عقائد الايمان اصولا ، والعبادات وسائر احكام الشريعة العملية فروعا تنبنى على تلك الاصول .

ومما تجدر اليه الاشارة هنا ان الايمان يزيد قوة وفاعلية في نفس الانسان اذا واظب على العبادات .

وهذا امر تحكم به خبرة لانسان ومن الملاحظ ان الانسان يتصرف دائما وفق ما يعتقد . فاذا عمل بما يعتقد قويت عقيدته وصار اكثر حماسا لها واستعدادا للتضحية في سبيلها وكذلك الامر في مجال الدين فهو اذا ادى عباداته الدينية مدركا الحكمة منها تقوى ايمانه . وهذا يفسر لك ذكر العمل في القران مقترنا بالايمان في مثل قوله تعالى « وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات » وقوله تعالى « الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ».

وكما يكمل الايمان بالطاعات فانه ينقص بالمعاصي لان الانسان اذا ترك العمل بمعتقده ضعف هذا المعتقد في نفسه بالتدريج واذا به في النهاية يتحلل منه ، ولا يعود ينعكس على سلوكه ولناخذ لذلك مثلا الذي يتكاسل عن اداء الصلاة فهو أولَ الامر يؤديها وهو لا يعقل منها شيئا فتثقل بذلك على نفسه واذا به يؤديها مرة . ويغفل عنها اخرى ثم يتوقف تماما عن ادائها وقد يصاحب ذلك كله ايمان من نوع ما ولكنه ايمان ضعيف لا فائدة منه واخطر مرحلة يصل اليها هذا الغافل عدم الاعتقاد بفرضية الله لها فيتركها عمدا ، عندئذ ينخلع تماما من الايمان وتأمل جيدا قوله تعالى « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » وقول الرسول ﷺ « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ».

ومن الملاحظ بعد ذلك ان عبادات الاسلام ميسورة الاداء ، فالله تعالى لا يريد ان يشق علينا او يكلفنا بما لا يطاق . وهي لا تعوق الانسان عن القيام بواجبات حياته في المجتمع وما تحفل به من اعباء .

ومحاله دلالة على سهولة عبادات الاسلام وسائر تكاليفه ان الاعرابي كان يجيء احيانا الى الرسول ﷺ فيعلمه احكام الاسلام في مجلس واحد ، فيقول الرسول ﷺ . بعد ان يعاهده الاعرابي على العمل بها لا يزيد عليها ولا ينقص منها شيئا « افلح ان صدق ».

وهذا يفسر لنا انتشار الاسلام انتشارا واسعا . لان عقيدته من ناحية تتميز بالوضوح . ولان عباداته من ناحية اخرى سهلة الاداء .

ومن سمات عصرنا المميزة له شيوع القلق الذي يمزق النفوس نتيجة انصراف كثير من الناس عن عقائد الدين وعباداته ومعاملاته الى الاخذ ب بفلسفات مادية . تقوم كل شيء بمعيار المادة وحدها . واضرار ذلك شديدة لان الانسان اذا لم بر لحياته وقع في صراع نفسي مؤلم يفقده طعم الحياة .

ونحن لو نظرنا الى القلق الذي يعاني منه انسان العصر لوجدنا انه في اغلب الاحيان نتيجة شعوره بالانحراف عن قيم ثابتة يراها محققة لانسانيته ، وبعبارة اخرى هو نتيجة الصراع بين ميوله .وعواطفه ونزواته وبين مبادىء الاخلاق او الاوضاع الاجتماعية المتعارف عليها انسانيا . وكلما راى الانسان نفسه يسير بعيدا عن طريق الصواب والحق كلما زاد صراعه النفسي الداخلي واشتدت عليه الامة . ومهما برر لنفسه وللاخرين مواقفه وتصرفاته فانه يظل يعلم عن نفسه ما لا يعلمه عنه الغير . وهو انه منحرف عن الجادة القويمة .

وما اعمق المعنى في قول ابن عطاء الله السكندري لمريده في الحكم . « الناس يمدحونك لما يظنونه فيك ، فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها »

وفي الحقيقة ان القلق مرحلة يجب ان يتجاوزها الانسان الى الايمان ، وبهذا ينجو من الضياع يتحقق بالاستقرار النفسي ويستشعر معنى السعادة .

وليس علاج القلق في ممارسة الحرية التي تدعوا اليها بعض المذاهب العبثية المعاصرة . وهي حرية الانسان في صنع قيمة ومعاييره وحريته في رفض كل وضع اجتماعي لان مثل هذه الحرية وهمية يؤذي الى تردي الانسان في هوة العدم وتجعله عبدا لشهواته واهوائه .

لقد اراد الاسلام لنا عن طريق العبادات أن نتخلص من كل قلق ممكن ومن كل استسلام لشهواتنا وضعف نفوسنا ونزواتنا . فيتحقق لنا الاستقرار النفسي .

ولنتأمل فيما يقوله الامام فخر الدين الرازي عن اهمية العبادات في علاج القلق « واعلم ان العبادة والعبودية مقام عال شريف ويدل عليه ايات الاولى : قوله تعالى في اخر سورة الحجر « ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » .

والاستدلال بها من وجهين .

احدهما انه قال « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » فامر محمدا عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على العبادة الى ان يأتيه الموت

ومعناه انه لا يجوز له الاخلال بالعبادة في شيء من الاوقات وذلك يدل على غاية جلالة امر العبادة وثانيهما انه قال « ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون » ثم انه تعالى امره باربعة اشياء التسبيح وهو قوله « فسبح » والتحميد . وهو قوله « بحمد ربك » والسجود ، وهو قوله « وكن من الساجدين » والعبادة وهو قوله « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

وهذا يدل على ان العبادة تزيل ضيق القلب وتفيد انشراح الصدر وما زاك الا لان العبادة توجب الرجوع من الخلق الى الحق وذلك يوجب زوال ضيق القلب » .

عبادات الاسلام اذن علاج حاسم لازمات النفس خصوصا في هذا العصر .

ولكن هل يكفي ان نعلم احكامها وحكمة تشريعها من الكتب ليتحقق لنا شفاء النفس .

جوابنا على هذا ان العبادات لا تتحقق فائدتها الا بالممارسة العملية وهي أشبه شيء بالدواء لا يكفي أن تعلم تركيبة علماً نظريا مجردا . وانما لا بد من تناوله بانتظام ليتحقق الشفاء .

ومن هنا وجب على المسلم ان يمارس العبادات ممارسة حقيقية لا شكلية وعندئذ فقط يمكنه ادراك جدواها واسرارها ادراكا حقيقيا .

الحياة . . والموت

ولما كنت شديد الايمان بان الموت هو العتبة المفضية الى الحياة الباقية وبما انه لم يعد لي اي مطمع في هذه الدنيا ، فالله شهيد على انني ما توسلت الى الله وانا في صميم محنتي بين الحياة والموت ان يبقيني حيا ، وانما فوضت امري اليه ، وقلت له : انا عبدك الراضي بقضائك ، وانت تعلم ما لا اعلم ، ولست اعرف اين الخير ، فابقيني حيا اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كان الموت خيرا لي .

وشاءت ارادة الله ان اظل على قيد الحياة عاجزا وكما قلت في مقالي السابق فلست فقط راضيا بقضاء الله بل انني شاكر ومسبح بحمده اناء الليل واطراف النهار ، فما دمنا احياء فهذا دليل على ان الله يريدنا كذلك لغاية يعرفها هو .

عودة الوعي :

ومع عودة الوعي الي ، وما دمت قد بقيت على قيد الحياة ، اجابة مشكلاتها ، واؤدي دوري في تحمل نصيب كل كائن حي من مسئولياتها فقد اصبحت تواقا للشفاء بعد ان من الله عليّ بطلائعه ، والعودة الى الكلام والحركة والوقوف والمشي ، لا من اجل نفسي ولكن من اجل الاخرين من شباب الجيل مزعزعي

الايمان وضيعيفي الثقة بالله ، والافما حاجتي للحركة والنشاط ، في مرحلة الفكر والتأمل .

ارتداد شاب

اعرف شابا من المتصلبين بي كان متدينا ، لا يدع الصلاة فلما اصابني ما اصابني ، ترك ذلك كله وانتقل من اقصى اليمين الى الشمال وراح يجدف قائلا : كيف يحدث ؟ . . ما حدث ؟ . . وقد كنت « يقصدني انا » من عباد الله الشاكرين رافعي لواء الايمان والتوحيد ، ثم ينكبك من دون السقة والمجرمين والكافرين بهذه النكبة ؟ . . .

وطبعا لم يكن لديّ القدرة لاناقشه وارده الى الجادة .

فالمرض والموت والحوادث والمصائب هي من لزوميات الحياة ، ولم يقطع الله على نفسه عهدا ، الا يصيب اولياءه بسوء ، بل على العكس من ذلك ، نبهنا الله الى ان هذه الدنيا ، دار ابتلاء وامتحان واشاء في القرآن الكريم الى ان المؤمنين ليسوا بمنجاة من المصائب ، بل ان آية ايمانهم ان يصبروا على قضاء الله .

ولنبونكم بشيء من الخوف والجرع . ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة . واولئك هم المهتدون » .

فانت ترى ان المصائب والكوارث والنكبات في هذه الحياة الدنيا ليست وقفا على الاشرار ولكنها تحل على الاخسار على سبيل الابتلاء والامتحان ليميز الله الخبيث من الطيب .

ولقد عشت طول عمري اردد هذه الاية واعلمها للناس فكان لا مناص ان يختبرني الله ويمتحنني ، وتقول لي شريكة حياتي واكبر نعم الله علي ، ان لساني لم يكف عن حمد الله حتى تعطل فيما تعطل من جوارحي وغرقت في الغيبوبة ، وبمجرد ان افقت عدت الى تكرار الحمد ، وانا اقص ذلك لانه من باب التحدث بنعمة الله ، فليس في الدنيا كلها اعظم من نعمة ان يكون العبد عبدا شكورا ، بحمد الله في السراء والضراء .

مناجاة ودعاء

فانت تعلم يا ربي من امري انني بهداية منك وتوفيق من عبادك الشاكرين وراضي بكل قضائك حلوة ومرة ، ولو ظللت على حالتي التي انا عليها ، فانا ادرك ما فيها من نعم ، ولن يتغير شعوري ، فالايمان والرضا يجريان مني مجرى الدم ، ولكني عشت طول عمري مجاهدا في سبيلك ، ولست اريد ان يكون ما أصابني إلا سبيلاً لتعزيز الايمان بك ، وطريقاً لتأكيد الدعوة إليك ، فسامحني يا رب إذا كنت بعقلي القاصر وإدراكي المحدود الذي هو بدوره نعمة منك ، أن أتطفل على قدسك وأن أسألك الشفاء من أجل أمثال هذا الشاب العزيز الذي تزعزع إيمانه

لمرضى ، فنحن في عصر غلب فيه الشك ، وتفشت الدعوة إلى المادية والإلحاد .

آية من آياتك

اني اسألك يا ربي ، ان تتدرني على الوقوف من جديد ، على الحركة على المشي ، على الكلام ، لا لانني انا شخصيا في حاجة اليها ، ولكن لاخفف الحمل على من حولي من الاحباب والاصدقاء وليزدادوا ايمانا على ايمانهم .

فما اكثر ما يهزونني من الاعماق عندما يقسمون بك انك ستشفيني وتعيدني كما كنت ، وعبثا اقول لهم ان ما انا فيه هو نعمة من النعم .

ولكي اكون احد اياتك لضعاف النفوس ومزعزعي الايمان ، ان يروني صحيحا سليما بعد المرض ، قادرا بعد العجز .

واني اعوذ بك واستغفرك يا رب ، اذا كان فيما سبق من قول من زلل او خطأ ، فانت اعرف بعبادك مني ، وما يصلحهم او يفسدهم فما كان الكافر والملحد بالذين يعتبرون او يتعظون بالايات ، فما اكثر آياتك التي تغص بها الحياة ، ومع ذلك فالذين في قلوبهم مرض عنها معرضون ، ذلك ان الهداية منك « انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدى من يشاء » .

واعود لما بدأت به من انني راض ، راض بقضائك متمثل لمشيئتك وهي خير كلها .

والله اكبر ولله الحمد

حكمة الله في خلقه

خلق الله جميع المخلوقات بقدرته ، ونظم خلقها بحكمته ، سبحانه لا شريك له بيده الامر كله له واليه وحده تصير الامور .

ومع ان الجميع تشرف بشرف الصنعة للصانع الاكبر ، والقادر الاعظم فقد اقتضت حكمته تعالى . ان يفضل بعض هذه المخلوقات على بعض فضل مكة ، فجعلها ام القرى ، وشرفها ببيت الله الحرام ، فجعلها قبلة للمسلمين جميعا يتجهون اليه مصلين . وحاجين ومعتمرين ، ويبتغون فضلا من الله ورضوانا وانبثق منها نور الهداية ، بارسال رسول من اهلها ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

وميز المسجد الحرام . فضاعف ثواب الصلاة فيه ، وجعل الصلاة في المسجد تفضل على الصلاة في غير المسجد .

وتفضل سبحانه وتعالى فاعظم ثواب الاعمال في ساعة السحر ، واجر الحسنات يوم الجمعة وفضل بعض الناس على بعض في كثير من نعمه . في المال ، والصحة ، والبين ، فالسعيد منهم من شكر النعمة ، وادى حق الله والناس فيها ،

حتى كان من الذين قال الله فيهم « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ، وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ».

والشقى من كفر بنعمة الله ، وغرته الحياة الدنيا ، وابتغى فيما آتاه الله الدنيا وزينتها ، ونسى نصيبه من الاخرة ، حتى كان من الذين قال الله فيهم « فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ، وما له في الآخرة من خلاق ».

وفضل بعض الانبياء على سائر الانبياء فاختص محمدا ﷺ بالشفاعة العظمى ، وجعلت له الارض مسجدا وطهورا وكانت رسالته للناس كافة ، وجعل امته خير الامم وجعلها امة وسطا شهيدة على الناس ، وهو عليه السلام شهيد على امته .

وفضل شهر رمضان على سائر الشهور . فانزل فيه القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وتم فيه الفتح الاعظم فتح مكة ، وانتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى التي كانت الحد الفاصل بين الحق والباطل ، وجعله شهر الصيام ، شهر البر والجود والاحسان : ووقاية من الشرور والاثام وموسما لتربية الفضائل ومكارم الاخلاق .

وقد جاء في خطبة للرسول عليه السلام في اخر يوم من شعبان « انه شهر الصوم والصبر وثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، وشهر اوله رحمة ، واوسطه مغفرة ،

وآخره عتق من النار » وفي هذا الشهر العظيم المبارك ليلة خير من الف شهر ، هي ليلة القدر والشرف والمكانة الرفيعة ، نزل فيها الدستور الدائم الخالد الذي نظم مسيرة الحياة ، وهي ليلة السلام ، والتجلي الاعظم على الصائمين القائمين الراكعين الساجدين تنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل الامين تحيي في المسلمين الصائمين جهادهم ، وتنشر السلام والرحمة وتدخل كل البيوت الا بيوتا فاجرة عابسة .

وكان الرسول عليه السلام يجد في التماسها في الوتر في العشر الاواخر من رمضان .

وقد اقتضت حكمته تعالى ان يخفى هذه الليلة ولا يحددها ليجتهد الناس في الطاعة ويطلبوها في اكثر من ليلة .

وللعلماء اقوال في تحديدها ، واصح هذه الليلة ولا يحددها ليجتهد الناس في الطاعة ويطلبوها في اكثر من ليلة . وللعلماء اقوال في تحديدها ، واصح هذه الاقوال انها ليلة السابع والعشرين . فقد روى أن الرسول عليه السلام قال : « من كان منكم متجرياً فليتحرها ليلة السابع والعشرين» وروى أيضاً عن أبي بن كعب انه قال :

« والله الذي لا اله الا هو ، انها لفى رمضان ، والله اني لا علم اي ليلة هي ، هي التي امرنا الرسول بقيامها ، ليلة سبع

وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع فيها ».

واحياء هذه الليلة ، بالتوبة والاستغفار والدعاء والعبادة مطلوب . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا . غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله قائلة يا رسول الله . ان ادركتني ليلة القدر ، ماذا اقول فيها قال . قولي :

« اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » فيا اخي المسلم . لا تعكر صفو هذه الليلة بصخب ، او عبث ، او ضجيج واتجه الى ربك في هذه الليلة المباركة ، خاشعا ، تائبا ، مستغفرا داعيا منضرعا ، ان يمنح ابناءناالمجاهدين المرابضين في ساحة المجد والشرف ، وشعوب الامة العربية والاسلامية ، القوة والسلام .

« يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ».

هذا دعاء خالد ماثور عن رسول الله ﷺ ، كان يقوله عند لقاء الاعداء .

فيا اهل الايمان ويا جنود الرحمن ، اجعلو هذا الدعاء شعاركم في كل وقت وقولوا دائما : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا

ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

الانسان والمستقبل

ان القرن العشرين ، الذي يرى تجمعات بشرية في صورة دول ضخمة الحجم تبسط كيانها على مساحات شاسعة مخططة ، اصبح يقدم كمثل اعلى . لطريقة النمو ، عملاقية الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، الدولتان المؤسستان لفصيلة العماليق التي دجلت في كنفها ـ منذ عهد قريب ـ الصين الشعبية ، وحيث تريد الدخول اوروبا الغربية .

يرى هذا القرن ، كنتيجة لهذا التكتل البشري السياسي الضخم ، تكتلا لحاجات وامكانيات على درجة غير معتادة ، تنشأ منه شبه اختصاصات تتخصص بها تلك الكتل ، بحيث تصبح كل واحدة ذات اختصاص في نوع من المشكلات العلمية او الصناعية او الاجتماعية ، حسب هوايتها ومزاجها وظروفها الخاصة .

ولا يبعد اننا سوف نرى ، الى آخر القرن ، كتلة تسيطر على مجال الفضاء واخرى على مجال الذرة ، واخرى على علم الكيميا او النبات او على مجال الفن .

وهكذا تحقق كل كتلة لنفسها مكان التبريز والصدارة في نوع

من انواع النشاط البشري وقد لا يرى المسلم يومئذ ، حظه في هذا التوزيع التاريخي للمسئوليات والاختصاصات العالمية ، الا اذا قرر ، منذ المرحلة الراهنة ، اي ياخذ على عاتقه مشكلة الانسان ، وفي النواحي او الناحية التي لا تضطر الى تدارك مسافات اصبحت ، في نواحي اخرى ، نضع بين العالم نواح اخرى ، تضع بين العالم بونا شاسعا لا يستطيع تداركه كما يبدو ذلك من ميدان الفضاء على سبيل المثال .

ولاننا اذا دققنا النظر في الاشياء نجدان المشكلات الجديرة لتكون من اختصاص المسلم موجودة ، لحسن الحظ ، وليست موجودة فحسب ، ولكنها تنمو في المجال النفسي بقدر ما يزيد التقدم التكنولوجي في توسيع الخرق الاخلاقي ، وتعميق القلق الذي يجتاح المجتمعات التي تنجز ذلك التقدم كما شاهدنا ذلك في الهزات الاجتماعية السياسية التي اعترت ، منذ سنتين ، ما يسمى « مجتمع الاستهلاك » .

بحيث اذا لم يخف على المسلم تخلفه ، تخلفا لا يقبل التدارك في بعض المجالات ، فانه يرى من ناحية اخرى تخلف المجتمعات المتقدمة في مجال الانسان ، تخلفا لاستدركه « العلوم الانسانية » المدروسة في جامعاتنا .

لا شك ان الانسان اصبح من الناحية « الموضوعية » مدروسا ، ومعلوما الى حد كبير ، من جوانبه الاقتصادية

والعضوية والانثربولوجية من ذوي الاختصاصات في هذه العلوم ، فانهم يعرفون ويقدرون متوسط الدخل السنوي من الدولارات الذي يلزمه لاقتناء الثلاجة ، او ما يتعاطاه من مخدر « ل س د » وما يستحق من وحدات حرارية في اليوم .

فان المسلم مسبوق في كل هذه المجالات ، كشأنه في كل ما يتعلق بالتنقية ، لكن هناك ، في هذا القرن العشرين وجهات من مشكلة الانسان زهد فيها العلم الحديث ، بل احتقرتها حضارة الكم .

وانسان هذه الحضارة قد تورط في الوضع المناقض للانسانية ، الذي اسسه هو في العالم على درجة لا تسوغ له القيام ببعث القيم الانسانية اليوم .

فهو متورط في عالم الاشياء الذي صنعه بعقله ويده ، تورطا لا يسوغ له القيام بمهمة تخليص الانسانية من ورطتها في الشيئية .

وهذا المجال ، الذي يخص الانسان من جوانبه الكيفية ، هو بالذات الذي يبدو مجالا لاختصاص جديد قد يكون اختصاص المسلم لانهُ ، في نقطة البدء ، غير متورط في عالم الاشياء المطبوع بطابع المادية في سلوك طبقة البرجوازية الكبيرة والصغيرة ، وفي تفكير الجناح الآخر من المجتمع المتمدن .

ولكن هذا الشرط اللازم بالنسبة لمهمة المسلم ليس بكاف

وحده ، فلا يكفى تجزىء الكثيرون ، لكي يدخل في عداد « جيجر التاريخ » ان يكون فحسب طليقا ، بل يجب ان تكون وجهته وحركته في مجال العمل المعزى اليه .

ولا يمكن للمسلم المتملص من جاذبية الاشياء ، ان يستوفي شروط مهمته الا باستيقاظ ضميره الى الظروف الاجتماعية ـ التاريخية التي يمر بها العالم اليوم .

فهذا العالم تسكنه ، انسانية متحضرة فقدت انسانيتها ، فاصبحت تصوغ مشكلة الانسان بمنطق الاشياء ، فتقدر مصيره بالثلاجة ومتوسط الدخل السنوي .

ومن طنجة الى جاكرتا تسكنه انسانية متخلفة ، ولكنها متحررة بحكم تخلفها من ربقة الاشياء .

فاصبحت هذه الثنائية مصدر كل الاسباب لعدم التوازن المتفشي في ارجائه ، ولكل معطيات مشكلة الانسان .

ومن طبيعة الوضع الراهن ان الحل للمشكلة لا يمكن ان يكون سوى ارجاع التوازن المفقود او المنعدم ، بوضع ثقل حضارة جديدة في احدى كفتي التاريخ ، حضارة ترفع الانسان المتخلف للمستوى الاجتماعي الذي يتمتع به انسان حضارة الاشياء اليوم ، وترفع هذا الاخير الى المستوى الاخلاقي الذي تفرضه الانسانية .

فلكي يعالج المسلم المرض العالمي ، من الزاوية التي تهم اختصاصه ، يجب ان يقدم لهذا المريض ما يشفيه من فقره الروحي ، ولذلك المريض ما يشفيه من التدهور الاجتماعي .

ولكن ، ومن كلا الجانبين ، لا يجوز ان تصوغ المشكلة بالطريقة المثالية ، كأي قصة ، ولكن بالطريقة العلمية على انها مشكلة القرن ، مشكلة الساعة .

وعلى هذا الاساس فقط قد يكون المسلم جديرا بحلها بطريقة فعالة ، اذ يكون ايمانه باختصاصه في هذه المهمة قائما على حقيقة يؤمن بها عقله .

وعندما يتم هذا الشرط في نفسه ، سيجد فعلا انه الاول في مجال من التطور العلمي لم يسبقه اليه احد .

وسيرى ان المستقبل ليس تحت نفوذ الصاروخ ، والذرة والثلاجة وانما هو تحت نفوذ غير انساني متجدد .

آيات الأحكام

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ مَسْئُولًا . وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ

الْجِبَالَ طُولا . كُلُّ ذَلِكَ كان سيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهَا .

الآيات : ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ من سورة الاسراء

الملكات مسئولية

السمع ، والبصر ، والفؤاد ـ وهو القلب ـ هي مراكز الحياة الانسانية في الانسان ، وحلقات اتصاله بالوجود وبالناس ، اخذا واعطاء . . فاذا فقد الانسان بعضا منها ، فاته شيء كثير مما كان يمكم أن يحصله من العلم والمعرفة وانقطع عنه مورد عذب كان يغذيه ويرويه .

وفي قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » دعوة إلى ألا يقدم الانسان على أمر من الأمور حتى يتبين موارده ومصادره . . فهذا هو شأن الراشدين من الناس ، وتلك هي سبيل الأنبياء ، والحكماء والعلماء : « قل هذه سبيلي : أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني » .

وهذا يعني أن يعمل الانسان جاهداً لتحصيل كل ما يمكن أن يبلغه جدهه ، وتعينه عليه ملكاته ، من العلم والمعرفة . . فإذا عرف الانسان هذه الحقيقة ، وانعقدت نيته على العمل لها ، وجد بين يديه الأدوات التي يوجهها إلى العمل ، والتي يتوسل بها إلى ما يطلب من علم ومعرفة ، وهذا ما يجده في قوله تعالى :

« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » . . فهذه هي أدوات التحصيل للعلم والمعرفة .

ثم أن الانسان مسؤول عن تلك الجوارح ، فإن هو عطلها ، أو وجهها إلى وجوه الشر والفساد ، كان مسؤولاً عنها ، محاسباً على تفريطه أو إفراطه فيها .

وقوله تعالى : « ولا تمش في الأرض مرحاً انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » هو الميزان الذي تنضبط عليه معاملة الانسان مع جوارحه ، ومع ما تمده به من أسباب السمو العقلي والنفسي ، فقد يحصل الانسان من العلم والمعرفة قدراً يرى به من نفسه أنه قد بلغ غاية لم يبلغها أقرانه ومعاشروه ، فيركبه الغرور ، فيتطاول على الناس تيهاً ، في زينته . . وهذا كفر بنعمة الله . ولو كان صاحب هذا العلم المزهو به ، على شيء من العلم الصحيح ، لعلم أنه لم يؤت من العلم إلّا قليلاً ، وأنه بعلمه هذا قطرة في بحر ، أو ذرة في سفح جبل ولن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً . . ان الأرض لا تكاد تحس بوجوده عليها ، وأن الجبال لا تكاد ترى له شخصاً عند قدميها ! !

تعقبه دوراً ، دورا ، أو طوراً وطورا ، أو مرحلة مرحلة . تحدث عنه حينما لم يكن شيئاً مذكوراً « هل أتي على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » ثم أورد في آية واحدة ، كل ما

يصيب الانسان منذ يرى النور ، حتى يوارى التراب : « فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم في علقة ثم من مضغة فحلقة ، وغير فحلقة ، لنبين لكم ونقر في الأرحام ، ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » ونكر هذه الأطوار ، هو في واقع الأمر ، ودعوة لعقل الانسان وقلبه ، للتأمل فيها ، والتأمل بذرة التفكير المقدسة والتفكير سبيل البحث والاستقرار ، المهد ، والبحث هو أبو العلم ، والعلم هو شقيق المعرفة الأرشد ، العلم وسيلته العقل والحواس ، والمعرفة سبيلها كل ذلك والوجدان أيضاً .

ولم يتحدث كتاب عن ضعف الانسان وقوته ، كما تحدث القرآن ، والغريب الذي قد تخطئه بعض العيون وهي تقرأ هذا الكتاب ، ان الله تعالى حينما يتحدث في كتابه المنزل على نبيه المرسل ، عن ضعف الانسان يبدو لك انه تعالى يتحدث عن قوة الانسان التي تواجه في ثبات كل عوادي الزمن ، ومواطن الفتنة والفتنة والغواية والهلاك ، وحينما يتحدث عز وعلا عن قوة الانسان ، يكشف عن ضعفه المنبعث من غروره واستكباره ، ونسيانه لاصله : « اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » على ان الذي تفرد به القرآن الكريم ، من بين كتب السماء ، وكتب البشر ، هو قصة خلق آدم ، وأمر الملائكة ان يسجدوا له ، بعد خلقه

مباشرة ، مع التصريح بأنه خلق من طين او طين لازب او من صلصال ، او حما مسنون . وان الملائكة ، خلقوا من نور ، وان الشيطان ، عدو الانسان ، خلق من نار . وقصة خلق آدم ، وما جرى يبين الله تبارك ، وبين الملائكة ، وابليس ، ليست مجرد حكاية بصدد الخلق ، ولا تقرير هذه الحقائق الالهية ، عن الملائكة وآدم ، وابليس ، انما هي من العقيدة الاسلامية ، اصل من الاصول ، انبتت عليه احكام هذا الدين الذي وضع فوق أعلى اعلامه ، واسمى راياته : « ولقد كرمنا بنى آدم » .

وقد يحسن أن نعلم بادىء ذي بدء ، ان الملائكة وصفوا في القرآن بانهم « لا يعصون الله ما امرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون » فهم مخلوقات معصومة من الخطأ ، تعيش في طاعة الله وتحيا لعبادته ، فلما قضت إرادة الله ، أن يكون له خليفة في الأرض ، كان الملائكة أحق بهذه الخلافة من مخلوق جديد ، خلق بعد خلقهم ، وجمع في خلقه أمرين ، يبدوان لغير الخالق متنافرين فقد خلقه الله بيده . وخلقه من طين . فهو بالأولى ، قد ظفر بكل تكريم ، وهو بالثانية ، جدير بالتشكك في صلاحيته لخلافة الله في الأرض .

والخلافة هذه ، بذاتها ، معنى من المعاني التي لم تشر اليه ، ولم تقرره عقيدة اخرى ، وهي بداية من بدايات العقيدة الاسلامية . فالانسان الذي خلقه الله بيده من طين ، هو الامين على كل ما فرضه الله ، للحياة في الارض ، من قوانين

واحكام ، اي ما قال عنه القرآن الكريم « سنة الله في خلقه ».

ولم يرو كتاب الله تعالى ، فيما رواه ، من انباء الغيب اي الماضي ، ان الملائكة خرجوا عن طاعة الله ، ولو بالاستفسار عن شيء فرضه ، الا في مشهد واحد. ذلك حينما انبأهم الخالق « بأنه جاعل في الارض خليفة » وعرفوا ان الله قد اختار لهذه الرسالة العظمى آدم ، فقالوا باذنه : « اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ولا حاجة بنا لاضاعة الوقت او الجهد في تعرف كيف استنتج الملائكة ان (آدم) سيكون مفسدا وسافكا للدماء ، وهو غيب - أي مستقبل - والغيب علمه عند الله وحده ، فاما ان يكون الله قد اعلمهم بخصائص هذا المخلوق الجديد وصفاته ، وانه على غير شاكلتهم ، غير معصوم من المعصية والخطأ ، وانه لا قبل له بمداومة العبادة الأمر الذي ظفروا به ، وإما أن يكونوا قد استشفوا من المادة التي خلق منها ، ومن انه خلق من الأرض ، ليعيش فيها ، فلا يشارك الملائكة ما خصهم الله به ، من رسالات ، ولا يرتفع الى العالم الذي يخلقون فيه ، انه ضعيف ، وان ضعفه يفضى الى الفساد والجريمة ، وعلى كل حال ، قد استنتج « ابليس هذا كله ، وما يفطن اليه ابليس ، يمكن ان يهتدي اليه الملائكة ، وقد ظهر هذا كله من قوله تعالى : « واذا قال ربك للملائكة اني خلق بشرا من صلصال من ضما مسنون ، فاذا سويته ونفحت فيه من

روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، الا أبليس ابى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين ، قال لم اكن اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون »، وفي موضع آخر قال الله تعالى : « ما منعك الا تسجد اذ امرتك ، قال انا خير منه خلقتني من نار ، وخلقه من طين »، واحتجاج الملائكة والشيطان معا له ما يبرره ، لانه اعتراض قائم على المعايير غير الالهية فحكمه الله قد خفيت عنهم جميعا ، ولكنه سبحانه لم يلبث حتى اطلعهم على هذه الحكمة فقد قال تعالى : « وعلم مدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يآدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ، واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ».

وفي هذه الايات ، خلاصة ما فرضه الاسلام للانسان من تكريم واعزاز واعلاء للشأن ، وزبدة حكمته في خلق الانسان ، وما أعد له في هذه الارض ، من رسالة التعليم والتعليم ، والابداع والتعمير ، وتحول من الضعف الى القوة ومن الجهل الى الدراية . ومن الخوف الى الشجاعة ، وهذه تحولات ممتنعة على الملائكة بحكم كونهم قد بلغوا مرتبة الكمال ، واعفاهم الله ، من عناء المحاولة والبحث .

فالانسان ، على الرغم من تعرضه للمعصية واتيان الذنوب ، قابل للانتفاع باخطائه ، والارتفاع فوق قصوره ، اي أنه قابل للعلم ، وراغب فيه ، وهو بهذه الميزة ، احق بالتقديم ، واولى ، بالرعاية . فالناقص الراغب في الكمال ، افضل من الكامل ، الذي لا يطمح في المزيد . والانسان الذي تتعثر خطاه ، والذي يشقى برذائله ، فيقتل أهله وأعداءه معاً ، ويدمر ما بناه ، ويهدم ما خلقه ، هو بلا شك أرقى من النحل والنمل ، اللذين يعيشان في خلاياهما ، يسودهما نظام لم يهتد اليه اعظم المشرعين ، والى استقرار وتعاون ، لم تسمع بهما اقوى الدول . ولكن النحل والنمل ، بقيا على حالهما القرون بعد القرون ، لا يهبطان عن كمالهما قيد شعرة ، ولا يتجاوزانه ، مقدار انمله ، اما الانسان فقد خرج من الكهف الى اعماق السماء ، واغوار الماء ، وعلم عن نفسه والافاق والاكوان ، ما جعله سيد هذه الارض بحق .

واذا كان ابليس قد نجح في غواية آدم وزوجه ، فطرد آدم وحواء من الجنة ، ولكنهما لم يطردا من رحمة الله بل ان خالقهما عز وعلا قال : « اهبطا منها جميعا ، بعضكم لبعض عدو فاما يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » . فالانسان بقى مغمورا برعاية الله ، مشمولا بعنايته ، ذلك لانه قادر على ان يقف بعد التعثر ، ويستقيم على السبيل ، بعد الاضطراب ،

ويثوب إلى الحق بعد الانجذاب للباطل وخلاصة هذا في قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .
فالانسان بمواهبه وملكاته ، مهيأ لأن يحلق في السماء ، ويبدع الروائع ، ويعلو فوق الفواجع ، الا ان حرصه على بقاء الفرد وبقاء الجنس ، اي حاجته الى الطعام والتناسل ، يهبطان الى اسفل سافلين ، مالم ترفعه عقدته ، وتحرره مثله ، ويعلو به طموحه . وهو بين هذا وذلك (الانسان) الذي حقق في هذه الارض ، ما كان الملائكة عاجزين عن اقامته فيها ، اذ لا طمع عندهم ولا صراع بينهم ولا علم يلتمسونه ولا جهالة يشكون منها ، وانما ثبات لا يتغير ودوام لا يحول . واذا كانت الملائكة قد فطرت على الطاعة والانقياد ، فان عقل الانسان وجد للعلم واستشراف للحقيقة ، وفهمه للمعرفة الذي لا يشبع ، وفضوله الذي لا يهدأ ، واجتهاده الذي لا ينقطع قادر على ان يصل به الى الطاعة ، وان يحسن العبادة ، مجتهدا ساعيا ، متحملا في اجتهاده ، الالام والاوجاع ، فيفتر عزمه حينا ، ولكنه لا يلبث حتى يبدأ من جديد ، سعيه ، ويصل ما انقطع من جهده . وقد اهتدى الانسان فعلا بعقله الى استحقاقه دون غيره ، وقد اختير للخلافة ، بالنهوض بامانة هذه الخلافة : قال الله تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فابين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .

وما الامانة ، الا حرية الانسان ، اي حرية ارادته ، في الاختيار بين السبل ، والمفاضلة بين الامور ، وهي حرية رفضتها النباتات والجمادات ، بلسان الحال ، اي بسبب عجزهم عن التطور الذاتي ، فذهب الانسان ، سن هذه الارض بحق ، سخرت له الانهار والبحار ، والسموات والارض وما بينهما .

الاسلام وللناس

ماذا يريد الاسلام للناس في ايامنا هذه ، وهل في وسعه ـ وسط المشكلات ا المتفاقمة ، والازمات المتلاحقة ، ان يقيم لهم بناء يبين لهم اساليب العيش والتفكير ، في مجالات السياسة والاقتصاد ، والادارة والعلم . وعلى الرغم من ان اجابة هذا التساؤ ل ، تحد ، ليس باليسير ، فان محاولة الرد عليه ، جديرة ـ بان يبذل في سبيلها جهد . واذا تصورنا ان هذا البناء يتكون من لجنات اساسية ، وانها لا تزيد عن عشر ففي الوسع ان نقول :

ركن الزاوية ، او حجزها ـ في هذا البناء ـ هو ان رب المسلمين ، هو رب العالمين ، فهو رب الناس كافة : رب اليهود والمسيحيين ، والمشركين والكفار ، والوثنيين وآكلي لحوم البشر يشملهم جميعا برعايته ، ويفتح لهم ابواب الهداية اي التقدم والتحرر والقوة ، يغفر لهم ذنوبهم ، الا الشرك لانه يقفل في وجوههم ابواب العلم والتفكير ، ويرميهم في احضان الجهالة والاوهام . وان كان الله رب المسلمين ، الا انه لا يحابيهم ، ولا

يعطيهم فوق ما يستحقون ، ولا ينصرهم على اعدائهم ولو كانوا كفارا ، الا اذا عرفوا سنن هذا الكون ، وكشفوها ، وعملوا بما تقضي ، وتحلوا بالاخلاق التي يامر بها : الشجاعة عند المعركة والثبات وقت المحنة والاستعداد لكل شيء .

واللبنة الثانية : ان الانسانية كلها ، قديمها وحديثها ، في المشارق والمغارب ، من نحب ومن نكره أمة واحدة ، والتفاضل بين أبنائها ، كالتفاضل بين شعوبها وأممها لا بالحسب ولا بالنسب وإنما بالعمل الصالح : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

واللبنة الثالثة : لقد ضم الله رسالات السماء بكتاب قرر مبدأين يحلقان من اعلى عليين على رموس البشر :

الاول : الانبياء جميعا اسرة واحدة ، يدعون الى دين واحد : آمن الرسول بما انزل اليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين احد من رسله » فابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، هم انبياء المسلم ، يحبهم ويوقرهم .

الثاني : ان مصير الانسان ، بين يديه ، لا يقيده الا سنن الكون وقوانينه ، التي ان اهتدى اليها الانسان ادار هذا الكون ، وانتفع منه وبه : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فلا عذر للانسان ، ان لم يفرض سلطانه ، على هذا

الكون بسمائه ومائه ، وبحاره وانهاره ، وطاقاته وثرواته ، وسبله ونجاجه ، واعماقه وامواجه .

اللبنة الرابعة : ان الحاكم المسلم ، ينتخب دائما ولا يعين ، ينتخبه الناس احرارا طلقاء . فالحكم لا يورث في الاسلام ابدا . والاسلام يعبر عن الانتخاب بلفظ ارق وادق ، هو « البيعة » فالحكم تفويض من الشعب وتوكيل . وهذا يستتبع حق من بايع في المراقبة والمحاسبة ، وانزال العقاب اذ يقول الحديث الشريف : اذا رايتم الظالم ولم تاخذوا على يديه يوشك ان يعمكم الله بعذاب » .

اللبنة الخامسة : الشورى بين الحاكم ، واهل الرأي ، فريضة تكاد تبلغ مبلغ العبادات لزوما وقدسية . على الحاكم ان يلتمسها غير مقصر ، وعلى ائمة الشعب وقادته ، ان يبذلوها وان ينصحوا للحاكم ، ولو كلفتهم الحياة والرزق « فالدين النصيحة » .

اللبنة السادسة : وليتم التناصح بين الحاكم والمحكوم ، او الراعي والرعية ، لا بد من اقامة راي عام ، تشيط حساس ، شجاع يقظ رافض للظلم ، كاره للفساد ، قادر على رفع الصوت ، يتصدره العلماء والائمة ، ولكنه جيش لجب ، يضم الناس جميعا و لبناء هذا الراي الساهر الشاهر لسلاحه قال الله تعالى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » وقال

تعالى في وصف المؤنين : والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون » كما قال الرسول عليه السلام : « اذا لم تستطع امتي ان تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها » اي اصبح ميئوسا منها .

اللبنة السابعة : ان المصدر الوحيد عند المسلمين للمال ، هو العمل ، فالمال لا يلد مالا ولذلك فالفائد مهما قلت هي ربا يعاقب عليه ويرفض والمال اصلا مال الله ، والناس مستخلفون فيه فهو وديعة بين ايديهم وملكيته وظيفة :

« آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

اللبنة الثامنة : ان الغاية في الشرع الاسلامي هي تحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم فحيث توجد مصلحة الناس فثم شرع الله . ومن هنا يكون للحاكم اذا قضت الضرورة ان يخطط لكل نشاط الرعية ، ويوجه كما يكون له ان يسعد ويؤمم .

اللبنة التاسعة ـ المسلمون ماموروں رجالا ونساء ، بطلب العلم من المهد الى اللحد ، وعلم ساعة ـ عندهم كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام خير من عبادة ستين سنة . ومداد العلماء خير ـ كما قال ايضا ـ من دماء الشهداء .

اللبنة العاشرة : المدخل لكل هذا البناء ، عقيدة ترهف الضمير الانساني ، وتجعله رقيبا للفرد والجماعة في السر والعلن ، في السراء والضراء ، في الضعف والقوة .■

العلمانية

يروى تشرشل في مذكراته ، انه اجتمع مع روزفلت رئيس الولايات المتحدة ولتفيسنوف ، سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن ليضعوا اعلان الامم المتحدة الذي نشر في اول يناير سنة ١٩٤٢ ، فاعترض السفير السوفيتي على عبارة « الحرية الدينية » التي وردت في المشروع فانبرى له روزفلت والقى محاضرة طويلة : عن الموت والنشور ، والبعث والحساب ، والجنة والنار ، فاغرقه في بحر طام من العلم اللاهوتي ، فلم ير السفير بداً من أن يسحب معارضته نجاة بنفسه من موجة أخرى من التلقين الديني . ويقول تشرشل أنه مازح روزفلت قائلاً له : لقد كنت مشفقاً عليك من نتائج انتخابات الدورة الثانية لرياستك ، أما الآن فلا خوف عليك ، ولو لم يعد الأمريكون انتخابك . فسيكون البريطانيون سعداء إذا قبلت أن تعين كبيراً للأساقفة في بلادهم . فبلاغتك في الوعظ ، وعلمك بالدين يؤهلانك لذلك وهذه القصة الصغيرة على طرافتها ، تتضمن من المعاني ما يحسن سوقه للذين يؤمنون (بعلمانية الدولة) . فماذا تكون هذه العلمانية أولاً !

والعلمانية اصطلاح حديث يقصد به ما ليس دينيا او كهنوتيا ، ولعله مشتق من لفظ (العالم) وترجع اصول العلمانية ، الى ردود الفعل ، لثورة مارتن لوثر في سنة ١٥٢٠

على البابا ، وانتقاده العنيف اياه لبيع صكوك الغفران للعصاة والخاطئين من المسيحيين مقابل مال كثير يدفع للبابا ، فيضمن لهم دخول الجنة ، ولسخط لوثر على عبادة القديسيين ودعوته الى العمل بالكتاب المقدس وحده ، ولم تلق هذه الدعوة اول الامر استجابة ذات شأن ولكن لما اخذ اتباع لوثر يكثرون سلطت عليهم الكنيسة والامراء الذين انحازوا لها ما يصفه جوستاف لوبون بقوله ، ابيد الشيوخ والنساء والاطفال ، وصار رئيس برلمان (اكس) البارون (دويين) مثالاً يحتذى لقتله في عشرة ايام ثلاثة آلاف شخص وتدمير ثلاث مدن ، واثنتين وعشرين قرية . فهل كفت الدول ـ لا سيما في غرب اوروبا ـ حقا عن النشاط الديني ، وغسلت يديها منه ؟ـ يهمنا في الاجابة على هذا السؤال ، الجانب الخارجي من نشاط الدول (العلمانية) فالثابت من تاريخ الاستعمار الاوروبي الغربي في اسيا وافريقيا ، ان هذه الدول اتخذت من الدين وسيلة لتبرير استعمارها ولنهب ارزاق اهل المستعمرات ، وحرمانهم من ثقافتهم الوطنية ، ومن نفض نير الاستعمار عن اعناقهم . واذا اردنا ان نضرب الامثلة على زيف هذه (العلمانية) وكذبها ، تزاحمت بين ايدينا الامثلة ، حتى لا ندري ايها ناخذ وايها ندع ، ولكن احسب ان ما جرى في الجزائر ، فضلا عن اتصاله بنا ، لوقوعها في محيطنا العربي والاسلامي ، فهو نموذج صارخ لعلمانية الغرب ، وسننقل المثل التالي من كتاب الكاتبين الفرنسيين كوليت

وفرانسيس جانسون المعنون « الجزائر خارج القانون » قالا :

« لعل العبث بالدين الاسلامي كان هو المجال المفضل لدى القائد (روفيجو) ليعيث فيه فسادا واستهتارا ، فقد وقف هذا القائد الفاجر ونادى بين قومه بانه يلزمه اجمل مسجد في مدينة الجزائر ليجعل منه معبدا لاله المسيحيين ، وطلب من اعوانه اعداد ذلك في اقرب وقت ممكن واشار لهم الى جامع القشاوة لانه كما قال اجمل جوامع الجزائر طرازا وحدد يوم ١٨ من ديسمبر سنة ١٨٣٢ لانجاز هذا العمل وفي الموعد المحدد ، تقدمت بطاريات الجيش تزحف الى المسجد فاذا بداخله اربعة آلاف مسلم اعتصموا به خلف المتاريس فاندفعت نحوهم القوة العسكرية ودحرتهم بالسناكي . . » ثم وضع في هذه الكاتدرائية منبر كان يعرف في الجزائر بأنه (منبر الرسول) وهو آية في النقش العربي ، وعلى هذا المنبر وقف الحاكم (موجو) يقول : ان آخر ايام الاسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما ، لن يكون للجزائر اله غير المسيح ».

وهو بطبيعة الحال غير المسيح الذي يؤمن به المسلمون ، كما امرهم بذلك دينهم ، ولا هو المسيح الناصري الذي قال للناس ، احبوا اعدائكم ، باركو لاعينكم . . . الخ » ونحمد الله اذ اعفى الجنرال ديجول ، بلاده فرنسا ، موطن الثورة ، والانسانية من هذه الوصمة الكاذبة فلنر ، في الجانب الاخر ،

كيف حقق الاسلام ، كل ما عقد على (العلمانية) من آمال لم تتحقق لافي داخل الدول ولا خارجها .

اولا ـ ليس في الاسلام هيئة ولا طبقة تحترف صناعة الدين ، او تستأثر بشرح احكامه ، فكل مسلم مدعو لقراءة الدين والتفقه فيه ، وله الحرية في ان يفهم ما يشاء ، مادام يفهم لنفسه وله ان يستعين بمن هم ارسخ منه قدما في اللغة ، واقدر منه لثقافتهم وعلمهم لياخذوا بيده ، فليست تلاوة القرآن حكرا لاحد ، ولا هي ممنوعة من احد . بل انها مستحبة كلما تيسرت للانسان . والانسان يصلي وحده بلا رقيب ولا موجه واذا اجتمع المسلمون ، تقدم احدهم فامهم ما دام يعرف اصول الصلاة ، ولو كان اشعث اغبر لا يؤ به له .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت : قد اتصلت بالقرآن ، بعد ان التحق الرسول بربه ، افهام العلماء ، والائمة فيما لم تكن من اياته نص في معنى واحد وكثرت الاراء والمذاهب في النظريات والعمليات ، لا على انها دين يلزم وانما هي آراء وافهام » .

ثانيا ـ عبادة المسلمين وصلاتهم جائزة في كل شبر من كل ارض فالله تعالى قال : « فاينما تولوا فثم وجه الله » وقال الرسول عليه افضل السلام « .. وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا » .

ثالثا ـ ونبى المسلمين ورسول الله اليهم ، بشر مثلهم ، يأكل الطعام ، ويمشي في الاسواق ، وكان له كل نشاط الادميين ، فتزوج وانجب ، وصام وافطر وحارب وسالم وعاهد ، وعرف اليتم والثكل ، ماتت له زوجات وبنات وبنون واكد القرآن والحديث بشريته ووصفه القرآن ، بانه عبد يأكل كما يأكل العبد ، ويجلس كما يجلس العبد » ففي القرآن « سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » وفيه « قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله »، وفي الحديث « لست ملكا ولا جبارا ، انما انا ابن امرأة تأكل القديد في مكة ، والرسل جميعا ـ عند الاسلام ـ ليسوا الا مبلغين لرسالات الله ووظيفتهم الارشاد والتعليم عن طريق الوحي ، وفي علماء المسلمين من يقول ان الرسول ﷺ . يجوز عليه من الخطأ والصواب فيما عدا ما خصه الله به ـ ما يجوز على اي فرد من البشر .

رابعا ـ الاصل في الاشياء الاباحة ولا تحريم الأ بأمر الله ، في نص من القرآن او نص من الحديث قطعي الورود فالاباحة والتحريم من حقوق الله وحده ، ولا يشاركه في ذلك شريك من رسول او خليفة ، او هيئة او جماعة او طنقة او فئة . وبالتالي لا يوجد من يغفر الذنوب الا الله ، وكل مسئول عن عمله لا تنفع احدا عند الله قرابة حتى للرسول الكريم فقد قال عليه السلام « يا معشر قريش اشتروا انفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا » وقال لو سرقت فاطمة ـ بنته رضي الله عنها ـ لقطعت يدها .

ـ واخيرا يساوى الاسلام بين رسل الله جميعا ، واديانهم « آمن الرسول بما انزل ا اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ؟

وقد أمر الاسلام المسلمين ، ان يعاشروا اهل الكتاب بالحسنى وان ياكلوا طعامهم ، ويتزوجوا نساءهم كما امرهم « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ».

وقد نشأ من كل ذلك جو من حرية الرأي اتاح للمسلمين واخوانهم من اهل الكتاب والاخاء الانساني ، والتعاون الاخوي مسيحين ويهود ، ان يتعاونوا في انشاء حضارة انسانية ، بقي التسامح ، وكراهية القسر والعنف ، طابعها المميز حتى في ادوار انحلالها ، وقد روى مصطفى كامل في كتابه الشهير « المسألة الشرقية » انه لما فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح السلطان التركي ، وانتخب المسيحيون الروم بطريركا قال له السلطان محمد : كن بطريركا لليونان والله يحميك ، وفي كل الاحوال والظروف اعتمد على مساعدتي وتمتع بكل الامتيازات التي كانت لاسلافك من قبل »

فهل علمانية كائنة ما كانت قادرة على ان تحقق هذا او شيئا قريبا منه ؟■

الناس

لم يجتمع في نص ادبي . في كتب السماء المنزلة ، اوكتب البشر الخالدة لفظ الجلالة ، اسم الله العظيم ، مع لفظ (الناس)، كما اجتمع في السورة الثانيـة من القرآن الكريم : قل اعوذ برب (الناس)، ملك (الناس) اله (الناس)، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور (الناس) من الجنـة و(الناس) فالقرآن الكريم هو كتاب الناس ، كما هو كتاب الانسان .

ورد فيه لفظ (الناس) مائتين واربعين مرة على ما يقول معجم المجمع اللغوي ، في حين ورد فيه لفظ (الانسان) خمسا وستين مرة . وهذا الفارق بين العددين ، يكشف في يسر ، عن نظرة الاسلام الى الانسان « الفرد »،

والناس « الجماعة ». فمع شدة احتفال القران بالانسان ، وتكريمه ، فان الناس ، مجتمعين ، يتقدمون على (الانسان) الواحد .

وقد انشعبت المذاهب الحديثة الى شعبتين : شعبة تؤمن بالفرد ، وتجعله ركن الزاوية في المجتمع الانساني وتغار عليه من لمس الحرير ، ومن مر النسيم . تدعه حرا في ماله ، يجمعه كيف يشاء ، وينفقه كيف أراد ، وفي رأيه يقول ما يحب ، وفي نشاطه

كله يوجهه بلا قيد ولا حد ، ويقيمون مبدأهم على ان نشاط الافراد الطليق ، هو ضمان التقدم ، وان التنافس بين الافراد ، هو الذي يضع الحدود المانعة من الشرور .

وشعبة ، تخاف من النشاط الفردي وتعتبره سبيلا الى استكثار المال الحلال والحرام ، والاستزادة من السلطة بالطريق المشروع وغير المشروع ، وان ضحية حرية الافراد : الفقراء والضعفاء ، ولذلك فالضمان ان تكون الجماعة ، هي الهدف ، نقيمها ، ونجعل كلمتها هي العليا ، ونضحي بالفرد في سبيلها : حريته وماله ورأيه . لانه سيخرج من هذا البناء الجديد حرية حقيقية ، لانها ستكسو العاري ، وتطعم الجائع ، وتعلم الفقير ، وتجعل للرأي قيمة .

اما الاسلام ، فلم يجد صعوبة في ان يوفق بين المذهبين ، وان يجمع بين الحسنيين ، فالانسان كله حرام على المسلمين : ماله ودمه وعرضه ، لا يقتل ، ولا يحبس ، ولا يسجن ، ولا يؤخذ منه درهم او دينار ، الا بحقه وبحقه ، يعني بامر الشارع الاكبر الله ، كما بينه في القرآن سنة الرسول ، وكما قرر الحاكم استهداء بالقرآن والسنة واجماع فقهاء المسلمين والضمان الذي لا يجعل الفرد ، غولاً يتضخم ، ويثرى ، فلا يقوى حاكم على ردعه ، ولا حكم على تقويمه وصده ، أن تكون مصلحة المسلمين ، أي مصلحة الجماعة ، هي هدف كل كلمة وحرف وكل حركة

وسكون ، وكل درهم يكتسب وكل قرش يتفق . فالجماعة أولاً والمسلم من بعد ذلك .

قال رسول الله يوما لبعض اصحابه فاربوا وسددوا ، فلن ينجو احد بعمله . فقال اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام : ولا انت ؟ فقال ولا أنا ، الا ان يتغمدني الله برحمته ورضوانه .

ومعنى ذلك ان الرسول دعا المسلمين الى ان يلتزموا احكام الدين لان كل انسان سيحاسب بعمله ، ولن يفلت من التوبة عند الاحسان ، ومن العقوبة عند الاساءة فسأله المسلمون ، حتى أنت ، فقال حتى انا . وهذا هو الحاكم الاعلى الموحي اليه مباشرة من الله . وقد حدث أن المسلمين اسروا في احدى الغاوات ابا العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ ، وافلت ابو العاصى من الاسر ، ولاذ بمنزل السيدة زينب في المدينة فاستجار بها ، فأجارته ـ فلما كانت صلاة الفجر ، صرخت زينت من صفة النساء ، أيها الناس أني قد أجرت أبا العاصي من الربيع » ودهش الرسول لأنه لم يسمع عن فرار أبي العاصي من الأسر ولا ملجؤه إلى ابنته فقال بأعلى صوته ليسمع جميع المسلمين ،أما والذي نفسي محمد بيده ، ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، وقد نفى الرسول علمه بأن أعلنته ابنته ، حتى لا يظن ظان ، انه اتفق معها على أن تورط

المسلمين ، تحرصاً من الرسول وابنة الرسول ، ثم ترك لهم أن ينفذوا في زوج ابنته ما سينفذونه في سائر الأسرى ، يخضونه برعاية وواضح من القصة ان إبن العاص كان حتى هذه الحادثة على دين آبائه لم يدخل الاسلام وأن زوجته تركته وتركت مكة ، وهاجرت إلى المدينة حيث رسول الله ، والدها الكريم .

ففي دولة الاسلام ، القانون يسرى على الحاكم قبل المحكوم ، ويقيد القوي ، قبل الضعيف ، ويعلو على الدولة ، ولا تعلو عليه ، فليس القانون ، وسيلة الحاكم ، وانما الحاكم خادمه المطيع ، يلتزمه ، وينزل على مقتضاه ، ولا يغيره على هواه ، فرسول الله ، لا يملك ان يعدل نصا من نصوص القرآن . اذ احرجته حادثة ، او ضيقت عليه الخناق ازمة قل ما يكون لي ان ابغله من تلقاه نفسي ، سورة يونس .

وفي ظل القانون الاسلامي يمارس غير المسلمين ، دياناتهم وعبادتهم ومذهبهم علنا ،، لا يتوارون ، ولا يتقون غضب الجماعة ، بل ان عمر أادب مشرفا على معبد يهودي ، لانه اهمل المعبد ، وتركه حتى طمره التراب ، فخلعه ثوبه ، واخذ يزيح عنه التراب بكفيه ، واحتذى حذوه من كان معه من الصحابة الاجلاء .

وقد نص القرآن في اكثر من موضع على شأن الجماعة ، وعلى علو مقامها ففي سورة الانفال قال تعالى : « هو الذي ايدك

بنصره وبالمؤمنين » فجاء تأييد المؤمنين للرسول ، بعد نصر الله ، لا يفصل بينهما فاصل ، وفي سورة آل عمران : « شهد الله انه لا اله الا هو ، والملائكة واولوا العلم » فسلك شهادته سبحانه وتعالى وشهادة العلماء من ابناء ادم في نظم واحد ، وفي آل عمران ايضا : « أولئك جزاؤ هم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » ومرة اخرى ينتظم غضب الله ، وغضب الناس ، سباق واحد ، وكان القران يقول ان شهادة العلماء ، من قبل الانسان ، فرع من شهادة الله عز وعلا ، وان غضب الناس اجمعين منّ غضب الله . . هذه هي الجماعة عند القرآن والاسلام . فهو بحق دين الناس بقدر ما هو دين الانسان .

الممتحنات

« سورة الممتحنات »

نزلت بعد عقد هدنة الحديبية ، في اواخر السنة السادسة للهجرة .

قبلها في ذي القعدة ، كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) قد خرج من دار هجرته في نحو الف من اصحابه المهاجرين والانصار ساعين الى البيت الحرام معتمرين ، لا يريدون قتالا .

: وفي مرحلة من الطريق ، جاءهم الخبر بأن قريشا قد سمعت بمسيرهم الى مكة ، فعبأت الرجال والخيل والسلاح ،

وخرجوا يترصدون لركب المصطفى في « ذي طوى » ليصدوه عن المسجد الحرام ، وقد تعاهدوا على الا يدعوه يدخل مكة عليهم ابدا .

ولم يرجع المصطفى (عليه الصلاة والسلام) بل سلك بمن معه طريقا غير الطريق التي اخذتها قريش ، حتى نزلوا بالحديبية ـ من اسفل مكة ، فلمحتهم خيل قريش وكانت لهم بمرصد . وجاءت قريش متوعدة بقتال .
: وتتابعت النذر : ليرجعن محمد باصحابه من حيث جاءوا ، او فلتكن الحرب !

واذ لم يجد مع المؤمنين وعيد ولا نذير ، لم تر قريش مفرا من المفاوضة على هدنة لعشر سنين ، وندبت « سهيل بن عمرو » ممثلا لها في التفاوض مع محمد « عليه الصلاة والسلام) على شروط الصلح ، واولها ان يرجع عامة هذا عن مكة ، فوالله لا تتحدث العرب انه دخلها على قريش عنوة ابدا .

وقد أقر المصطفى من شروط ذلك الصلح بالحديبية ، ما يرسخ اقرار الاسلام لحرية العقيدة والارادة .

: : :

: كان من شروط الهدنة :

« انه من محمدا من قريش بغير اذن وليه ، رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ».

وكيف يكره احدا على البقاء معه ؟ . . واي خير يرجى من مكره على البقاء حيث لا يريد ؟

اما الذين ياتونه من قريش ويرددهم ، فليكن الامر فيهم محنة ابتلاء : يثبت فيها على عقيدته من يؤمن بها ولو بذل حياته فداء له ، ويخرج منها من لا طاقة له على احتمال الفتنة ، والصبر على البلاء .

: وكان من شروطها كذلك : « أنه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده ، دخل فيه . ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم ، دخل فيه ».

الاختيار اذن متروك للقوم ، آمنين من ان يضاروا بهذا الاختيار .

: : :

: ثم لم تم الاتفاق على شروط الهدنة وآن ان تكتب ، دعا المصطفى (عليه الصلاة والسلام) ابن عمه « على ابن ابي طالب » (رضي الله عنه) وبدأ يملي عليه ما اقر الطرفان من عقد الحديبية ، قال :

اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ». . . .

فاعترض سهيل بن عمرو قائلا : « لا اعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ».

فقال (عليه الصلاة والسلام) لعلي :

اكتب : « باسمك اللهم .

هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . . .
وكتبها « علي »

وللمرة الثانية ، اعترض سهيل قائلا :

« لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ، ولكن اكتب اسمك
واسم ابيك : « محمد بن عبد الله » .
قال (عليه الصلاة والسلام)

انا رسول الله ، وانا محمد ابن عبد الله .

ثم قال لعلي بن ابي طالب :
امح « رسول الله » .

وكان « علي » هو الذي توقف هذه المرة ، وقد شق عليه ان
يمحو كلمة « رسول الله » ، وان امره (عليه الصلاة والسلام)
بمحوها .

قال رضي الله عنه ، معتذرا :
« لا والله لا امحوك ابداً » .

فاخذ المصطفى الصحيفة ، فمحا الكلمة التي اعترض عليها
ممثل قريش ، سهيل بن عمرو . . ثم مضى يملي ، حتى تمت

كتابة عقد الهدنة ، واشهد عليه رجالا من المسلمين ومن المشركين .

: : :

● قبل أن يجفف مداد وثيقة الهدنة ، بدأت محنة الابتلاء :

جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يوسف في الحديد ، قد انفلت من قريش الى رسول الله (ﷺ) وهم المسلمون بأن يمنعوه من ابيه الذي قام اليه فضرب وجهه وقال للمصطفى (عليه الصلاة والسلام) :

ـ قد لجت القضية بيني وبينك قبل ان ياتيك هذا

واندفع يجره وهو يصرخ باعلى صوته :

ـ يا معشر المسلمين ،أأرد الى المشركين يفتنوني في ديني ؟

فلم يملك المسلمون ان يمنعوه ، ورسول الله (عليه الصلاة والسلام) يقول :

« يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، واعطيناهم على ذلك عهد الله ، وانا لا نغدر بهم ».

وقال مثل ذلك ، لأبي بصير عتبة بن اسيد ، وآخرين ممن خرجوا من قريش ، بغير اذن اوليائهم .

: ثم كان هؤلاء المستضعفون هم الذين تمردوا على طاغوت الوثنية الباغية .

نزل ابو بصير قرب « ذي المروة » واجتمع اليه نحو سبعين رجلا ممن اكرهوا على العودة الى قريش ، فقطعوا طريقها الى الشام ، وبلغ بها الخوف منهم ان كتبت الى محمد (ﷺ) ، ترجوه ان يؤويهم فلا حاجة لها فيهم !

واواهم المصطفى (عليه الصلاة والسلام) . . .

: : :

: لكن الوضع بالنسبة الى النساء كان مختلفا : نص الحديبية عام ، لم يستثنهن من الشرط ، فهل تعاد مؤمنة الى زوج مشرك ؟ قد تتمسك قريش بعموم نص الهدنة .

وقد يكون من المهاجرات الى المسلمين ، من خرجت من قريش لاي سبب غير الاسلام ، كان تتخلص من زوج مشرك لا تحبه ، او تلحق بذي رحم لها بين المسلمين .

: وبدا الموقف معقدا حين جاءت نساء مهاجرات ، وشرط الحديبية قائم .

وحسم القرآن الموقف بآية الممتحنة : يمتحنهن الرسول ليعلم ايمانهن بأن يسألهن فيم جئن ، ويكتفى منهن بشهادة الاسلام دون تعرض لنواياهن ، فالامر فيها مفوض الى الله تعالى « هو اعلم بايمانهن » .

واباحت الآية للمؤمنين الزواج ممن فرق الاسلام بينهن وبين الكفار على أن يدفعوا لهن ما تكلفوا من نفقة وصداق .

: وكما لم يحل الاسلام ارجاع مؤمنة لكافر ، لم يحل للمؤمنين ان يمسكوا بعصم الكوافر ، لفساد الزوجية بين اثنين احدهما كافر والآخر مؤمن .

: مع تسوية عادلة للجانب المالي : فيسترد الذين فرق الاسلام بينهم وبين نسائهم ما تكلفوا من صداقهن ونفقتهن ، على وجه المساواة بين الطرفين .
« ذلكم حكم الله يحكم بينكم . والله عليم حكيم »
صدق الله العظيم

أبو لهب وأبو طالب

كلاهما من اعمام محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام . ومات كلاهما ، على دين آبائه .

وما ابعد الفرق بينهما ، رغم القربى والشرك ! احدهما ذهب بلعنة الله ورسوله والمؤمنين ، ولصقت به الكنية الرهيبة : « ابو لهب » تبت يداه .

والاخر شرف في تاريخ الاسلام بان ارخت السيرة النبوية بعام وفاته ووفاة السيدة خديجة ام المؤمنين الاولى ، فسمته عام الحزن .

بلغ رسول الله ﷺ رسالة ربه ، وانذر عشيرته الاقربيين كما امر ، ثم ترك لكل منهم ان يختار لنفسه الطريق .

وقد اقام عمه « حمزة بن عبد المطلب ، على الشرك زمنا ، لم يكرهه المصطفى على دينه ، حتى آمن من تلقاء نفسه .

واختار « عبد العزى بن عبد المطلب » دين آبائه ، ثم مضى على غلوائه يؤذي المسلمين ويحرض على اذاهم . والقى بكل ثقله في الفتنة والاضطهاد ، فما عرف الناس هاشميا اشد عداوة للاسلام واقسى على المسلمين وطأة ، من عبد العزى ابي لهب . وقد بلغ من ضراوة عدوانه ، ان كان يحض تجار مكة على ان يغالوا في السعر على اصحاب محمد ، في محنة الحصار والمقاطعة ، حتى لا ينالوا منهم شيئاً . يرجع التجار إلى أبي لهب فيؤدي لهم ثمن البضاعة مضاعفاً ويرجع أصحاب محمد إلى عيالهم وليس بأيديهم ما يدفعون به عنهم قسوة الجوع والبرد .

وحقت اللعنة على أبي لهب ، بما صد عن سبيل الله وما قاتل المؤمنين وأخرجهم من ديارهم وظاهر على إخراجهم .

وفيه ، وفي أمرأته أم جميل بنت حرب ، نزلت سورة المسد :

« تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وأمرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد » .

على النقيض تماما ، كان موقف اخيه : ابي طالب بن عبد المطلب .

بقي على دين آبائه ، لكنه ابي ان يخذل ابن اخيه او يقبل عليه مساومة من قريش . وظل الى اخر لحظة من عمره ، يمنعه من بغى طواغيت قومه ويحميه من اذاهم ، ما وسعه الجهد .

وقد طالت مفاوضاتهم معه وطالت المساومة ، ليكف ابن اخيه عن دعوته او يخلى بينهم وبينه ، فما استجاب .

جاءوا اول الامر فقالوا :

ـ يا أبا أبا طالب ، ان ابن اخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا ويسفه احلامنا وضلل اباءنا . فاما أن تكفه عنا واما ان تخلى بيننا وبينه ، فانك على ما نحن عليه من خلافة .

فترفق بهم أبو طالب وردهم ردا جميلا ، عساه ان يكف اذاهم عن ابن اخيه .

واذ مضى المصطفى على تبليغ رسالته ، عاودوا الكلام مع عمه فقالوا :

ـ يا أبا طالب ، ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب الهتنا ، حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين .

ولم يهن عليه خذلان ابن اخيه . لكنه خاف عليه من شر قومه ، وعظم عليه فراقهم فقال للمصطفى :

ـ يا ابن اخي ، ان قومك قد جاؤ ني فقالوا لي ما قالوا ، فأبق علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الامر ما لا اطيق .

فظن عليه الصلاة والسلام ان عمه يوشك ان يخذله . او انه قد ضعف عن نصرته . فقال له :

« يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ، ما تركته » .

وقام ينصرف ، وقد استعبر باكيا لم يملك دمعة من فرط حزنه على فراق عمه الذي كفله صبيا ورعاه شابا ، وكان له على إختلاف الدين والدا وصديقا وراعيا .

لكن عمه لم يلبث ان ناداه :
ـ أقبل يا ابن اخي .
فلما اقبل عليه ، قال له :

ـ اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت ، فوالله لا اسلمك لشيء ابدا . .

: واذا ايقنت قريش الا سبيل الى خذلان ابي طالب ابن اخيه ، تعلق رجاؤ ها بان تساومه ، ولدا بولد ! مشوا اليه بعمارة

بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فقالوا له :

ـ يا ابا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، انهد فتى في قريش واجمله فخذه ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك . واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم ، فنقتله ، فانما هو رجل برجل .

رد أبو طالب وقد ادرك ان قومه اضاعوا رشدهم :

ـ والله لبئس ما تسومونني ! اتعطونني ابنكم اغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله مالا يكون ابدا .

: ثم كان هو الذي دعا بنى عبد المطلب وآل هاشم ، ليمنعوا محمد ابن عبد الله ويقوموا دونه .

انهكتم قريش بحلف المقاطعة المشئوم ، وابوا مع ذلك ان

● ● ●

أنهكتهم قريش بحلف المقاطعة المشئوم ، وأبوا مع ذلك أن يخذلوه أو يسلموه .

وحين اشتكى أبو طالب في مرض الموت ، خيل لقريش انها تستطيع أن تنال في منه في وهن مرضه ما لم تنله في صحته من خذلان إبن أخيه . جاءه وفد من طواغييها فقالوا :

ـ يا أبا طالب ، انك منا حيث علمت ، وقد حضرك ما ترى ، وتخوفنا عليك . وقد علمت الذي بيننا وبين إبن أخيك ، فأدعه فخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه .

وبعث أبو طالب إلى المصطفى فجاءه وسمع من القوم ما أرادوا أن يقولوه ، ورد عليهم بأن ليس بينه وبينهم إلا كلمة واحدة ، لا إله إلا الله . فانصرفوا يائسين وهم يقولون : اجعل الإلهة إلهاً واحداً ؟ ان هذا لشيء عجاب !

وقال أبو طالب : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً .

فتلهف المصطفى على إسلام عمه ، وجعل يدعوه : « أي عم فأنت فقلها ، استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » .

ورد عمه : يا إبن أخي ، والله لولا مخافة أن تظن قريش أني انما قلتها جزعاً من الموت ، لقلتها ، لا أقولها إلاّ لأسرك بها !

في الخبر ، أن « العباس بن عبد المطلب » نظر إلى أخيه أبي طالب يحرك شفتيه ، قبل أن يلفظ آخر أنفاسه ، فأصغى إليه بأذنه ثم قال للمصطفى عليه الصلاة والسلام : يا إبن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي سألته أن يقولها .

فرد عليه الصلاة والسلام : لم أسمع !

ومات أبو طالب ، ومن قبله ماتت أم المؤمنين الأولى .

وكتب إبن هشام في [السيرة النبوية] من روايـة إبن اسحاق ، يؤرخ لعام الحزن ، قبل الهجرة بثلاث سنوات :

« ثم أن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكاً في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صديق على الاسلام ، وبهلك عمه أبي طالب ، وكان عضداً وحرزاً في أمره ، وناصراً على قومه . . فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تطمع به في حياة أبو طالب . . وكان يقول : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » .

نور الكلمة !

في ليلة القدر ، نزلت الكلمة الاولى من الوحي ، فنسخت بنورها ليل الجاهلية البشرية ، ويدأ بهذه الكلمة عصر الانسان .

: : :

في الليل ، كان « محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي » قد انسحب من زحام المجتمع المكي ، الى غار حراء يلتمس في العتمة الداجية شعاعا من الهدى ، وينشد في خلوته راحة اليقين ، كما لون عادته منذ ان انكر الاوثان التي تكدست في حرم البيت العتيق .

وخرج مع الفجر من غار حراء ، مبعوثا بختام الرسالات .

واخذ ﷺ طريقه الى بيته في جوار الحرم ، ليتلو في الناس الكلمة التي وجهت تاريخ الانسانية على مسار الزمان .

: : :

خرج من الغار ونور الكلمة ملء قلبه ومسمعه :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق » وما كان بقارىء ،

ولا كان من قبل يدري ما الكتاب وما الايمان . . ولطالما اجهدته حيرة التفكير في امره وامر قومه :

يراهم على سفه وضلال ، ولكن ، من سواهم من اصحاب الملل الاخرى ، على حق وهدى ؟

المجوسية ؟

وهل تفترق عن وثنية العرب ، وان لهب نارها ليسطع من معابد المجوس ، فيغشى ابصارهم ويعمى بصائرهم ، فينكفئون على وجوههم لها عابدين . .

اليهودية ؟

ان في يثرب وما حولها من شمال الحجاز ، عصابات من يهود ، يزعمون انهم اهل كتاب ، وانهم ليعيثون في الارض فسادا ، ويستنزفون كل خيرها ، يؤمنون بقاءهم فيها بايقاد نار

الفتنة وسعير الحرب ، بين اهلها العرب : الاوس والخزرج .
وقد طرأوا على المنطقة فارين من نقمة الرومان الساحقة ، مطاردين بلعنة خبثهم المدمر ، وأكلهم الربا ، وقتلهم الأنبياء .

النصرانية ؟

انه ليعلم ان فيها قسيسين اتقياء ورهبانا ورعين بررة ، فما بال اتباعها ، فيما يصل الى الحجاز من انباء نجران والحيرة والحبشة ومصر ، قد مزقتهم التفرقة المذهبية ، فبعضهم لبعض عدو ، وكل طائفة اخرى بالاكفر . .
وتجلى نور الكلمة :

اقرأ باسم ربك الذي خلق »

فعرف ربه الخالق ، واهتدى بعد طول قلق وحيرة . .

« خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ».

الكلمة موجهة الى الانسان نورا وهدى ، وبينات من الفرقان .

وهل سواه من يقرأ ويقي .

هو وحده ، دون سائر الكائنات في ارض أو سماء ، الذي

يختص بالقراءة ويعرف القلم ، ويتعلم ما لم يكن يعلم .

وهذه هي آية الانسان ، بها اكرمه الخالق .

وبها يتميز ، لا عن عامة الكائنات فحسب ، بل عن عموم جنسه في الحيوان على اختلاف انواعه وفصائله ، وتفاوت رتبتها .

كل البهم والدواب والحشرات تشترك معه في حيوانيته النامية الاكلة للقوت المحتاجة الى النوم والمأوى .

وكلها على الاطلاق : من ذكر وانثى ، وبقاء نوعها ، مثله ، بالتزاوج والتوالد . . هو وحده ، هذا الانسان ، القارىء المفكر المتعلم ، الناطق الواعي المبين !

: : :

ومن ليلة القدر

الى عصر القمر وعصور تاتي بعده ، تظل هذه هي آية الانسان وجوهر انسانيته الناطقة ، اذا تعطلت فيه بجهل وغفلة ، او ضلال وعمى بصيرة ، مسخت انسانيته وهبط الى دونية الدواب العجماء ، بل هو شر منها واضل :

ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »

« لهم قلوب لا فقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان

لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون ».

لان الدواب لم تتهيأ لها القدرة على القراءة والفقه والوعي ، ولا هي بحيث يمكن ان تعرف العلم فتسأل عن تعطيله بالغفلة والجهل .

وللانعام قلوب واعين وآذان لكنها فيها اجهزة عضوية فحسب اما في الانسان ، فهي وسائل فقه وبصر وقراءة وعلم ، ونطق وتمييز . .

: : :

من غار حراء تجلى نور الكلمة في غشية الجاهلية والعصر كله عصر بداوة . .

وبها استهلت آيات « تاب » ومعجزة النبي الامي المبعوث بختام رسالات الدين ، والقوم اميون لا يدرون ما الكتاب وما الايمان .

وعلى نور الكلمة ، بدأ عصر هذا الانسان الذي اقتحم بالعلم غيابة الفضاء ، وحقق آية انسانيته فيما سخر له الخالق : كل ما في السموات وما في الارض .
وصدقت آيات الله فينا :

« هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ».

اصر الكهنوتية

من تحرير القرآن الكريم لعقيدة الانسان ، ابطال الكهنوتية التي تسلطت على العقيدة الدينية بالقهر والتحكم ، بما اخذت من صفة الوساطة بين العبد وخالقه ، وما ادعت من حقوق الهية تمنح بها صكوك الغفران ، او تصدر قرار التكفير والحرمان .

وفي كتاب الاسلام لا وسيطيين العبد وخالقه ، وهو سبحانه « الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ».

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ».

كما ليس لاحد ان يوزع بطاقات محجوزة لدخول جنة او نار ، او يحدد لمخلوق مكانه من الدار الاخرة فالله تعالى هو الذي يدري وحده اين يضع رحمته .

يقول سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام :

« فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ».

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل سبيله وهو اعلم بالمهتدين .

ولعل عداء بعض المذاهب المحدثة للدين ، انما نشأ اصلا بسبب ما انتحلته الكهنوتية في الناس من سلطة الهية بررت باسم الدين البغى والاستغلال ، وهادنت الرجعية والفساد والطغيان ، واستنزفت اموال المؤمنين الكادحين ثمنا للمغفرة او فدية من غضب الله .

وهو داء ابتليت به البشرية من قديم ، وزاده عبدة المال من احبار يهود ضراوة نبه اليها كتاب الاسلام ليرفع عن المؤمنين اصر الكهنوتية والاغلال ، ويكشف عن بصيرتهم الغطاء فترى ما وراء الاقنعة من شر وباطل :

يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ومن عجب ان حركة الاصلاح الديني التي دعا اليها « مارتن لوثر » تاثرت بمبادىء الاسلام في ابطال سلطة الكهنوتية والغاء صكوك الغفران .

ثم يكون من بيننا من يمارس في امة الاسلام هذا الحق المزعوم ، فيدعى لنفسه وصاية على الجنة والنار ، وينتحل من سلطة الغفران والحرمان ، ما استاثر به الله سبحانه ، لم يعطه احدا من رسله فضلا عن ان يعطيه غيرهم ، وما يدري احد موضعه من رضوان الله او غضبه :

فينا كتاب الاسلام ، يؤكد عقد الامر كله بمشيئة الله وحده ، سبحانه : « يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ».

ويفسح امام عباده الامل في عفوه ، دون وساطة او وكالة ، ويحميهم من القنوط من رحمته مهما يسرفوا على انفسهم : « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ».

فينا كتاب الاسلام ، نتلو من آياته المحكمات كلمات الله لرسوله المصطفى :

« فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر ».

« وكذب به قومك وهو الحق ، قل لست عليكم بوكيل ».

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ، وما انا عليكم بحفيظ ».

« اتبع ما اوحى اليك من ربك الا اله الا هو ، واعرض من المشركين . ولو شاء الله ما اشركوا ، وما جعلناك عليهم حفيظا

وما انت عليهم بوكيل ».

فهل كان على الرسول الا البلاغ ؟

كرامة القلم
وايمان الكاتب

ذكر الله عباده بنعمه القلم التي جعلها احدى آياته في قوله تعالى « اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » واقسم به تعالى في قوله « ن . والقلم وما يسطرون ».

ولا يذكر الله الا بنعمة جديدة انعم بها على الانسان ولا يقسم الله عز وجل الا بامر خطير ، له في حياة عباده ابلغ الاثار . فاذا نحرى الكاتب الصدق فيه تخط يمينه جرت مع القلم آثار العلم ونفحات الايمان . فعظمت الفائدة ، وتحققت رسالة القلم في نفع العباد ، وهدايتهم الى طريق الهدى والرشاد .

وما تخطه الاقلام انما هو صورة لما تنفث صدور اصحابها مما كن في اعماقها ، وما انطبعت عليه سجاياهم وذلك مصداق القول المأثور ان الاسلوب هو الرجل .

حتى ا الالفاظ المختارة والعبارات المؤلفة تبدو فيها طوابع اصحابها واخلاقهم ، ولهذا كان الكبار الكتاب طرائقهم في الكتابة ، واساليبهم المتميزة في التعبير .

ومعنى ذلك ان نوازع النفس تجد سبيلها الى المداد الذي يجري على القراطيس ، ليعكس عليها اثار العالميات ونوازع النفوس ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وهنالك مقياس من اهم المقاييس عند النقاد يقدرون على اساسه صناعة الادب وصناع الكلام ، وهذا هو مقياس « الصدق » في التعبير عن المشاعر والعواطف والانفعالات التي يحسها الكاتبون ، ويصدقون في التعبير عن انفسهم ومشاعرهم .

ومن هنا تستشعر الاقلام حاجتها الى ايمان اصحابها بما يكتبون وصدقهم في التعبير عن ذلك الايمان ، لان لذلك اثره في تصديق الناس لما يكتب الكاتب ، وفي تقبلهم لما يقول ، وذلك يؤدي الى الثقة به ، والى سمو منزلته ، وارتفاع قدره بين الناس .

والايمان هو سلامة الاعتقاد ، واطمئنان القلب الى ما تكشف له من اسباب الايمان . ومعنى ذلك ان الرأي هو الذي يمثل عقيدة صاحبه وان هذه العقيدة هي التي تنسج الرأي وتوجهه وتجليه ، وهي التي تمنحه بعد ذلك صفة الثبات والاستقرار .

اما الرأي الذي لا يرفده اعتقاد ولا بعضده ايمان ، فلا يوصف الا بانه شقشقة لسان ، وتنسيق الفاظ ، وتزوير كلام ، ولا يستساغ وصفه بالرأي ، لانه فقد صلته باليقين في نفس صاحبه ، قبل ان يفقد اليقين في نفوس الناس .

وقد يكون لفقد اليقين علامات منها انك ترى في احاديث اللسان او القلم التي تنبع من القلب ، ولم تنبعث من اعتقاد ان القول يهدم في اخره ما حاول أن يبنى في اوله ، وينقض في حديث لاحق ما اراد ان يبرم في حديث سابق ، لانه لا عبرة عند صاحبه بحقيقة يتحراها ، او اعتقاد يدفع الى القول ، ويشد نواحيه بعضها الى بعض .

ومن علامات ذلك ايضا ان يختلف منطق القول عن منطق العمل ، لانه لا قيمة للايمان من غير العمل الذي يدل عليه ويؤكده ، فكأن الكاتب حينئذ يحاول ان يدون ما يعجب الناس او ما يظن انه يعجبهم ، من غير ان ينبع ذلك الاعجاب من ذاته . وهذا هو السر في ان اكثر ما يقرأ الناس وما يسمعون لا يقع من قلوبهم الموقع الذي يلائم بلاغة العبارة وفصاحة الاسلوب ، لان ذلك لم يجاوز حدود الصناعة التي تدرب عليها الكاتبون او المتكلمون . وذلك شعبة من النفاق الذي كرهه الله عز وجل ، وكبر عنده مقتا ، فقد كان الرجل يجيء الى النبي ﷺ ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، وما فعل ، وكان يقول قاتلت ولم يقاتل ، وطعنت ، ولم يطعن ، وصبرت ، ولم يصبر ، فانزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » !

ان نظرة واحدة الى كثير من الكتابات توقفنا على أن الكتابة ـ

وهي صناعة شريفة ـ اصبحت حرفة ممتهنة ووسيلة الى كسب الخير ودفع الضر وستر النفاق بقدرة اصحاب هذه الصناعة الشريفة على التقلب بين المبادىء والتنقل بين الموارد :

عندئذ يصبح القلم اداة للكذب والتمويه فيحيد عن الغاية المرجوة ويتنكب الطريق السوى .

ولذلك كان الصالحون يتحاشون كثرة الكلام إلّا إذا كان صادرا عن طبع وإيمان ، لأنهم لا يريدون به إلا وجه الله ، ولا يعنيهم أحد سواه .

نظرات اسلامية

ليلة القدر

١ ـ لم سميت هذه الليلة ليلة القدر اختلف اهل العلم في تعليل تسميتها بذلك : فقال بعضهم ان القدر معناه التقدير وما يمضيه الله من الاحكام الخاصة باحوال العباد . واحداث الكائنات ، فهذه الليلة ليلة تقدير الامور والاحكام ، روى عطاء عن عباس ان الله يقدر في هذه الليلة كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماته الى مثلها في السنة الثانية : وليس المقصود ان الله ينشىء تقدير الامور والاحكام في تلك الليلة انشاء بل المقصود ان الله يظهر الملائكة على ذلك في اللوح ال المحفوظ ليعلموا عالم الدنيا بمقتضى تسخيرهم في تصريفه وانفاذه .

اما بدء تقدير امور الخلق واحكامهم فقد كان سابقا في الازل من قبل ايجاد الخلق بخمسين الف سنة ـ كما وردت بذلك بعض الاحاديث : والتقدير بخمسين الف سنة ليس جدا لكنه ـ في نظرنا ـ تعبير عن طول المدة المتعاظم الوجود في باطن الازل .

وقال « الزهري » المراد بالقدر : الشرف والعظم ، ماخوذ من قولهم لفلان في عشيرته قدر ، اي مكانة وشرف فهذه الليلة ذات قدر وشرف بين الليالي .

قال ابو بكر الوراق : انما سميت ليلة القدر : لانه انزل فيها كتاب ذو قدر ، على لسان ملك ذي قدر ، على امة ذات قدر .

والقدر ـ فيما ذهب اليه « الزهري » اما ان يكون راجعا الى صاحب العبادة فيها فيكون عمله بالعبادة فيها سببا لزيادة شرفه وقدره بمزيد رضوان الله عليه : واما ان يكون راجعا الى العبادة نفسها . بزيادة الاجر والثواب على فعلها .

في هذه الليلة خاصة دون سائر الليالي . الحاصلة في سير الزمان وهذا في نظرنا الاقرب لما تدل النصوص الاتية ـ

وقد اخفى الله تعيين ليلة القدر هذه ـ ليجتهد الطالب في العبادة بطلبها فيتسع له ليالي العبادة وتزداد له اسباب الطاعة كما اخفى لمثل هذا السبب كثيرا من مواطن الخير والابتلاء فاخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا في الكل ، واخفى غضبه في المعصية

ليحرزوا عن الكل ، واخفى وليه في الناس ليعظموا الكل ، واخفى الصلاة الوسطى ليحافظ المكلفون على سائر الصلوات . فكذلك اخفى تعيين ليلة القدر ليعظم المسلمون كل ليالي رمضان باحيائها واجتناب المجازفة في تصرفاتهم فيها .

٢ ـ موضوع ليلة القدر من ليالي العام .

اولا : اختلف اهل العلم فيما اذا كانت ليلة القدر باقية للمسلمين مع امتداد الزمان في كل عام ـ ام انها وجدت مرة واحدة لسبب نزول القران وانقطعت فهي لا تكرر .

فذهب الخليل بن احمد ـ الى القول بأن فضلها انما كان لفضل نزول القرآن فيها ، ثم انقطعت بانقطاع تكرر نزول القرآن في مثلها من الليالي .

وذهب جمهور العلماء الى انها باقية متكررة بتكرر الاعوام ، ثم اختلف هؤلاء ثانيا ، في تعيين موضعها من الزمان فروى عن « ابن مسعود » انها موجودة بغير تعيين على مدار السنة : وقال : من يقم الحول يصبها .

وذهب الجمهور الى انها مختصة بشهر رمضان « بدليل قوله تعالى » شهر رمضان الذي انزل فيه القران « مع قوله انا انزلناه في ليلة القدر فتعين ان تكون ليلة القدر التي انزل فيها القران هي من شهر رمضان : وهو الظاهر الذي يصعب العدول عن المصير اليه .

ثم ان هؤلاء ـ ايضا ـ اختلفوا في اقوالهم اختلافا ثالثا .

وقال ابن رزين : ليلة القدر هي الليلة الاولى من رمضان : ولعل حجته في ذلك ـ مما استطعنا استخلاصه من كلام المحتجين له ـ ان رمضان افضل الشهور وان ليلته افضل الليالي لما روى وهب بن منيه : ان صحف « ابراهيم » انزلت عليه في اليوم الاول من رمضان : وهو ـ كما ترى ـ دليل لا يغنى :

وقال الحسن « ـ رضي الله عنه انها ليلة السابع عشر من رمضان لان صبيحتها كانت غزوة بدر .

قال تعالى :

انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر

« صدق الله العظيم »

وعن انس ـ رضي الله عنه ـ انها ليلة التاسع عشر : ويحكى عن علي وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ وقال محمد بن اسحق : « هي الليلة الحادية والعشرين » .

وعن ابن عباس ليلة الثالث والعشرين . .

وعن ابن مسعود هي ليلة الرابع والعشرين .

وقال ابو زر الغفازي هي ليلة الخامس والعشرين .

وقال ابي بن كعب وجماعة من الصحافة : هي ليلة السابع والعشرين ـ وهو القول الذي استقرت على العمل به عامة المسلمين اليوم .

ولعل اقرب الاقوال الى مرجاة العبد في فضل الله ـ غير ما ذكرنا من الاقوال هو مانبه اليه « ابن كثير » من انها ـ ليلة القدر ـ حاصلة في كل ايام رمضان مستشهدا لذلك بما رواه سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر مرفوعا . قال : سئل رسول الله ـ ﷺ وانا اسمع عن ليلة القدر ، فقال : « هي في كل ايام رمضان قال « ابن كثير » اسناد رجاله ثقات ، غير انه نقل عن ابي « داود » القول بوقفه : ونقل عن ابي حنيفة ما يوافق هذا القول : وقوله : انها ترتجى في كل شهر رمضان .

٣ ـ عظم ليلة القدر .

تعظيم ليلة القدر . هل هو مستمد من نزول القران فيها . نقول نعم ولكن كيف يكون القران معظما بانزاله فيها ـ ولا عظمة لها الا بسبب احتوائها على هذا الانزال ، هذا ما لم ينتبه لذكره العلماء والذي يظهر لي في كشف هذا الاستدراك ، ان الله من اجل عظمة القران اضفى على هذه الليلة تعظيما خاصا بها من لدنه فلم تكن عظمتها مستمدة من القران بحكم المجاورة بينهما

في الزمان : وبهذا الايضاح يمكننا ان نتصور : ان ليلة القدر معظمة بانزال القرآن فيها والقران معظم بنزوله فيها : واحد الامرين ليس متوقفا على الاخر : مرة اخرى نقول لان عظمة القران قائمة بذاته استقلالا وعظمة ليلة القدر قائمة بها استقلالها ـ وان كانت اعطيت هذه العظمة من الله اعظاما لجلال القران .

٤ ـ عناصر عظمة ليلة القدر وعظمة القران .

وقد عظم الله ليلة القدر هذه بوجوه من التعظيم .

الوجه الاول : اختيار صيغة الكلام التي دل بها الخطاب على انزال القران حيث قال « انا انزلناه في ليلة القدر » ففي هذه الدلالة النص على عظمة القران : لانه تعالى اضاف « الانزال » الى ذاته بصيغة الجمع الدالة على وصف المنزل بالعظمة . واذا كان المنزل عظيما . فالقران المنزل بفعله يكون عظيما بعظمته ثم انه تعالى لم يصرح باسم باسم القران ظاهرا بل اكتفى بذكر ضميره فقال « انا انزلناه » ـ اي القران : والاعتماد على تعريف الشيء بضميره ـ لا باسمه الظاهر دال على ان هذا الشيء قد بلغ غاية النباهة والشهرة ، والمعلومية العامة بحيث اذا ذكر ضميره ـ مع الاستغناء به عن الافصاح باسمه الظاهر انصرفت اليه الاذهان اذ لم يكن عندها ما هو اشد تقررا وشموخا غيره ثم ذكر انه اختص انزاله بليلة القدر فهذه اية شرف ليلة

القدر وعظمتها ـ اذا لو لم تكن كذلك لم تكن الاشارة الى تعظيم القران بنزوله فيها فائدة تقتضي النص على ذكرها . ووصفها بما سياتي بعد .

والمراد بانزال القران فيها . . هو ابتداء انزاله في ليلة القدر . وليس المراد انزال جميع القران : اذ من المعلوم ان القران نزل منجما بحسب الحوادث على مدى ثلاث وعشرين سنة قاله « الشعبي » .

ليلة القدر

وقال ابن عباس المراد : انزال القران كله من بيت « العزة » الى السماء الدنيا ولما كانت السماء الدنيا بناء مشتركا بيننا وبين الملائكة : اذ هي لهم مسكن ولنا سقف : جاز القول بنزوله الينا لقربه منا ـ كما تقول حضر الامير البلد ويكون قد حضر قريبا منها قربا كانه دخلها .

ورأى الشعبي عندنا احب واظهر . الوجه الثاني : انه كرر الحديث عن ليلة القدر بعبارة تفيد ان سير ابعادها في العظمة والشرف ، مما يوكل الى تصورات الاذهان في انطلاقها في اماد الرؤى . والخيال : فليس فضلها مما يعبر عنه بالالفاظ ذات المعاني المحدودة : قال « وما ادراك ماليلة القدر « اي ما ابعد الاسباب التي تمكن لخيالك وتصورك ادراك حقيقة فضل ليلة

القدر وعظمها فذلك ما يصعب دركه وزاد هذا المعنى بشيء من الايضاح بقوله « ليلة القدر خير من الف شهر ».

٥ ـ تفضيل فضل ليلة القدر .

اخبر القران ان ليلة القدر خير من الف شهر : معناه ان العبادة فيها اكثر ثوابا من العبادة في الف شهر ومعناه ايضا ـ ان ليلة القدر خير من الف شهر ليس فيها « ليلة قدر » لاننا لو افترضنا عكس ذلك ، لادى الكلام الى الحكم بتفضيل الشيء على نفسه في شروط متحدة ـ وهو ممتنع عقلا واختلف الناس في سبب عطاء الامة المحمدية هذه الليلة التي هي خير من الف شهر .

فقال « مجاهد » كان في الامم المتقدمة رجل يقول الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسى : فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله والمسلمون معه من ذلك : فانزل الله هذه الاية تنبيها على ان الله جعل له ولامته هذه الليلة خيرا من الف شهر ذلك العابد الذي استقللتم عبادتكم بالنسبة له .

وقال مالك : ارى رسول الله اعمار الناس فاستقصر اعمار امته : فخاف ان يبلغوا من الاعمال ما بلغته الامم الاخرى : فاعطاه الله ليلة القدر ـ وهي خير من الف شهر لسائر الامم وروى القاسم بن فضل « عن عيسى ابن مازن » قال قلت للحسن بن علي . عليه السلام ـ عمدت الى هذا الرجل فبايعت

له ـ يعني معاوية ـ فقال ان رسول الله ـ ﷺ ـ « رأى في منامه بني امية يطأون منبره واحداً بعد واحد ، وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة »

فشق ذلك عليه : فانزل الله تعالى : « انا وانزلناه في ليلة القدر » ـ الى قوله ـ خير من الف شهر » يعني زمان ملك بني « امية » : قال القاسم « فحسبنا ملك بني امية فاذا هو الف شهر » .

ولعل هذا الحديث مصنوع من دموع احباب السادة الاطهار من ال بيت المنفجعين على مظالمهم ، وماسيهم : ولا حلة له بالسورة .

الوجه الثالث : اخبر القران ان من فضائل هذه الليلة انه « يتنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر . والمراد : يتنزل الملائكة فوجا بعد فوج بعضهم نازلون . وبعضهم بعد استيفاء دورهم عائدون الى السماء : وانما يتنزلون لتحية اهل الارض في العيد السنوي الالهي لنزول القران العظيم والمراد بـ« الروح » ـ جبريل عليه السلام ـ لقوله تعالى في اية اخرى « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » : وانما خصص جبريل بالذكر بين عموم الملائكة في هذا المقام لخصوصية اتصاله بالقران فقد كان هو السفير الامين القوي المكين عند ذي العرش ـ كما وصفه القران بذلك الذي نزل به

على قلب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو اولى الذوات بالاعلام في حضور الاحتفال ب بعيد القران الذي سفر به بين السماء ، والارض ولعله ـ ايضا ليطمئن على هذا المنشور الالهي الاعظم الذي اصلح الدنيا في بكرة نزوله . ويرى ما يتجدد له على مر الزمان ونكوص نفوس المسلمين عنه ـ من احوال واحداث عطلت طريقه في الناس ـ وردت البصائر عن نور هدايته :

وخص القران نزول الملائكة بحصول الاذن لهم من الله بذلك ـ للتنبيه على أن الملائكة وهم لا يفعلون الا ما يؤذنون فيه ـ كانوا على شوق ومحبة للقاء المسلمين في هذا اليوم وانما كانوا يتطلعون للاذن المسوغ لافواجهم المتتالية ان نزل لتحية اهل القران في عيد القران : وهم ينزلون بذلك الاذن من اجل تنفيذ كل امر من امور القدر واحكامه التي اظهرهم الله عليها في تلك الليلة من خير او شر ـ كما قدمنا لك ـ في معنى القدر من كلام ابن « عباس » .

الوجه الرابع : ما وصفت به من قوله تعالى : « سلام هي حتى مطلع الفجر وذكر المفسرون في شرح تلك اللفظة اقوالا :

احدها بان ليلة القدر من ابتداء ليلها الى مطلع فجرها ظرف يفيض بالسلام من الملائكة على المؤمنين مع كثرتهم وترادف افواجهم واعلم ان سلام الملائكة على البشر المؤمنين ذو منفعة

عظيمة لهم . لان التقاء الارواح الطاهرة الطاهرة القوية كارواح الملائكة بارواح البشر يزيدها طهرا . وقوة ، ويشفى امراضها ، ونقائصها .

وثانيها : وصف الليلة ذاتها بانها سلام اي هي سالمة من نزول الشرور والافات فيها حيث تنزل فيها الملائكة بالخير والبركات وانواع السعادات على الناس . ولم ينزل فيها من تقدير المضار شيء .

وثالثها : هي سلام لا يستطيع الشيطان فيها سوءا : وغير ذلك : والذي نراه من عمل المفسرين في هذه اللفظة : انه يمكن تفسيرها بما يشمل اقوالهم المذكورة ـ لانها تفسيرات بمعان غير متضاربة فلا يمتنع الجمع بينها تحت لفظ يناسبها جميعا .

ثم ينتهي الاحتفال الالهي العظيم بالقران العظيم بطلوع فجر هذه الليلة العظيمة . مع ايات السلام وبنعمة السلام لعامة المسلمين .

وقل الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

الاسلام
. . والاقتصاد

الاقتصاد في عصرنا الراهن هو المحور الذي تدور حوله حياة الافراد والشعوب ، بل ان المثل العليا ـ التي تسود هذا العصر ان

تميزت بشيء فذلك انها ترتكز على مذاهب اقتصادية ومهما اختلفت في وسائلها فانهاتتحدفي غاياتها التي هي ـ اولا واخيرا ـ الرفاهية الاقتصادية .

ولقد اثبت النظام الاقتصادي في الاسلام انه يتصدر كل النظم الاقتصادية ، انه اعطى الحضارة العالمية كل مقوماتها واعظم النتائج الاقتصادية السليمة المربحة ، التي وطدت الثقة في نفوس المتعاملين والجماهير ، فهو أكثر النظم فائدة ورخاء وخيزاً للمجتمعات والشعوب ، يقول جاك اوستروى في كتابه « الاسلام امام التطور الاقتصادي » الذي نشر عام ١٩٦١ في باريس ـ ص ١١٢ ـ ان الاسلام يم يتمتع بامكانيات هائلة ، واذا ما وجد الطريق الصحيح امامه مفتوحا فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده ، لانه اقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد » .

واذا كانت جوافز الربح وحدها هي اساس كل المحركات للاقتصاد الغربي ، فان المحرك الاول للاقتصاد في الاسلام هو الرغبة الصادقة في نشر الرخاء بين الناس ، وفي ازدهار التقدم والحضارة في العالم .

والاقتصاد الاسلامي انساني النزعة ، نبيل الهدف في غاياته وجوهره ، يقود المجتمع الى التكامل والخير والايثار والمسئولية ، وتقرير الحقوق والالتزامات المتساوية بين الناس . . وتؤكد

نظرية الاسلام في الاقتصاد ان الرابطة بين المصلحة الفردية والجماعية وثيقة من حيث فطرتها ، فمن الواجد ان تسودهما المعاونة والموافقة لا الممايعة والمزاحمة ، ففي رفاهية الفرد رفاهية الجماعة ، والعكس بالعكس . وهذه الموازنة العادلة اساسها ان يكون بين ايثار الافراد واثرتهم تناسب سليم متزن . ومن ثم جمع نظام الاقتصاد في الاسلام شمل الامة كلها في نطاق نبيل من المحبة والاخاء والتعاون والعمل المثمر والحرية الفردية ، من اجل تقدم الانسان وتجدد الحضارة . .

حسبنا ان لا نجد في مذاهب الاقتصاد العالمية اية فلسفة خاصة تفوق نظرة الاسلام الى الامور الانسانية فلقد جاء باحكام نبيلة تعترف بالملكية الخاصة وتهذبها بفرض الزكاة وتحريم الفائدة الثابتة وتضع قواعد العدالة الاقتصادية التي تكفل السلام بين الافراد والطبقات والشعوب .

وإذا كانت النظرية الغربية تقول : « من كل وفقاً لمقدرته إلى كل وفقاً للعمل المنجز » ، وتقول النظرية الشرقية « من كل وفقاً لمقدرته إلى كل وفقاً لحاجته » ، فإن عمر بن الخطاب يقول : « والله ما من أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من المسلمين من أحد إلا وله في هذا المال نصيب ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى ، وقسمنا من رسول الله ، فالرجل وبلاؤه في الاسلام ، والرجل وقدمه في

الاسلام ، والرجل وغناؤه في الاسلام ، والرجل وحاجته » وهذا كلام واضح في إثبات المساواة الاقتصادية ، ثم في تحكيم الكفاية والمقدرة في نصيب الفرد من هذه المساواة ، ثم في الرجوع إلى مدى الحاجة البشرية المطلوب دفعها .

يقرر الاسلام منع الاحتكار وكنز الأفوال ، والاستغلال بدون عمل ، ويقرر أن يتداول المجتمع الثروة ولا تكون دولة بين الأغنياء ، ويجعل الدولة وبجوارها الجماعة ، مسؤولين عن توفير أسباب المعيشة لجميع رعاياها .

ولقد كان الناس في عصر الاستعمار يصفون تشريعات الاسلام بأنها تعوق المعاملات الاقتصادية ، ولا تسمح بتنظيم الشركات والمصارف ، ولم يمض جيل واحد حتى سمعنا أصحاب قوانين أخرى يصيحون بأن الرأسمالية نكبة على الانسانية ، وعائق من عوائق الحرية الكريمة والعمل النافع ، ثم سمعنا المعسكر الغربي يصف مذاهب المعسكر الشرقي الاقتصادية بأسوأ من هذه النعوت وأشد .

وإذا نادى آدم سميث في كتابه « ثروة الأمم » بأن الثروة مفهوم مادي خالص ، فإن سيسموندي (ـ ١٨٤٢ م) ينكر عليه ذلك ، أما الاسلام فيضع الثروة في خدمة الفرد والمجتمع والأمة ، وخدمة التقدم الانساني ، لنشر الرخاء ، وتوفير العمل وجعله حقاً لكل أحد ، وكفالة الدولة لجميع مرافق الأمة لخدمة .

الرعية ، في حرص شديد على العدالة والمساواة والتعاون والشعور بالمسؤولية ومساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته ، والايثار وحب الخير والاحسان والصدقة للفقير وتوقير الفقير للغني ، وشعور كل منهما بالحاجة للآخر وبأخوته ، كل ذلك مما يحرك الاقتصاد الاسلامي نحو غاياته النبيلة .

وحين حرم الاسلام الفائدة ، وجاء النظام الاقتصادي الغربي الذي أرست دعائمه بيوت المال اليهودية تقررها ، فقد شاهدنا النازية ، وكذلك المادية الشيوعية أول الأمر ، تحرمان نظام الفائدة الربوية ، التي يجعلها كثير من الاقتصاديين السبب الجوهري في الاضطراب الاقتصادي الراهن ، وقد قامت بنوك للادخار على أساس المشاركة في الربح التي هي الأساس الأول في الاقتصاد الاسلامي فلقيت نجاحاً كبيراً ، وسيقوم قريباً بنك اسلامي برأس مال تسهم فيه الدول الاسلامية تحقيقاً للنظرية الاقتصادية في الاسلام ، ونظام المشاركة لا الفائدة يكفل النهوض باقتصاديات العالم من أجل سد احتياجاته من الانتاج والمشروعات وتحقيق العمالة الكاملة ، مع ارتباط ذلك كله بالجانب الروحي والانساني الذي يوليه الاسلام الكريم كل عنايته .

إن السند الاسلامي للنظام الاقتصادي يقوم على فريضة الزكاة وما يتصل بها من مصارف مالية موجهة في الاسلام نحو

الخير والمصلحة العامة ، كالمصروفات وكفريضة الأرزاق التي كان الخليفة عمر إبن الخطاب يطبقها تطبيقاً تاماً شاملاً ، بالاضافة إلى ما في الفقه الاسلامي من ثروة تشريعية في جميع جوانب الاقتصاد ، وكأحكامه في الشركات والمضاربة والاجارة والبيوع والرهن والوقف والمواريث والهبة والوصية وسواها ، وقد فرض الاسلام على كل مسلم أن يجعل لله حقاً معلوماً في ماله « والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » (٢٤ و ٢٥ المعارج) .

ويطيب لبعض المتجاهلين أن يطعن في شريعة الزكاة في الاسلام ، هذه الشريعة المحتومة التي جعلها أبو بكر في مقدمة الأسباب التي حارب المرتدين من أجلها . . ويكفينا للرد على ذلك ما جاء في كتاب « اتجاه الاسلام » لجب نقلاً عن ماسينيون المستشرق الفرنسي المعروف : « يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة ، بمساهمة كل أفراد الشعب بالعشر في موارد الجماعة (الزكاة) ومبادىء الاسلام تبذل التبادل الغير المقيد ، كما تنادى بالعداء الأموال المصرفية (الربا) والضرائب الغير المباشرة على ضروريات الحياة ، في حين أنه شديد التمسك بحقوق الولد والزوج وبالملكية ورؤ وس الأموال التجارية ، فهو بذلك يقف موقفاً وسطاً بين البورجوازية والرأسمالية والشيوعية ، والاسلام كذلك كم قام بخدمات أخرى أداها للانسانية ، وله ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس

هناك مجتمع آخر مثل ما للاسلام من ماض كله نجاح في جمع كلمة الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات .

ان الاسلام يقف بين المذاهب الاقتصادية الكبرى الراهنة رسالة سماوية هادية فيها الخير للبشرية كافة ، ولم يكن الحاج عبد الكريم جرمانوس المستشرق المجري بأقل شعوراً بمسؤوليته حينها قال : « تأثرت أعمق التأثر ببساطة الاسلام وعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه . انه لا يوجد في تعاليم الاسلام كلمة واحدة ، أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلم أو يمنع زيادة حظه من النور والمعرفة والقوة » .

سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)

سلسلة مختارات إسلامية

من روائع الفن الإسلامي

(١)

دار الفكر اللبناني

سلسلة
مختارات
إسلامية

مِن رَوَائِع

الفنّ الإسلامي

(١)

دار الفكر اللبناني



مسجد الرسول في المدينة أبو المساجد

شرع الرسول في انشاء مسجده في المدينة لبضعة شهور من هجرته اليها ولم يستغرق انشاؤه وقتا طويلا ، فتم في نحو شهرين في العام الاول للهجرة ٦٢٢م ، ولم يكن هذا اول مسجد بناه الرسول ، فقد سبقه الى الوجود مسجد قباء الذي انشأه سعد بن خيثمة بناء على رأي الرسول وترسيمه ، وقد تم انشاء مسجد قباء واستعمل للصلاة فعلا بعيد انتقال الرسول من قباء الى منازل بني عدي بن النجار في وسط المدينة وقد افتتحه الرسول وصلى فيه مع صحابته ، وقد ورد ذكر هذا المسجد في القرآن الكريم في سورة التوبة .

استوحى الرسول الهيئة والخطة في بناء مسجده من روح الاسلام . فالاسلام دين سهل واضح ، وهو طريق بين العبد وخالقه . والمسجد ـ على هذا ـ مجرد مكان طاهر يلتقي فيه العبد بالخالق ، فهو مساحة نظيفة مستوية مطهرة يحيط بها سور وظيفته تعيين حدود ذلك المكان المطهر المخصص للصلاة ، ولم تكن هناك حاجة الى تغطية هذه المساحة بسقف ، فاكتفى بتسقيف

جزء منها ـ في مقدمتها ـ على نحو بسيط جدا : جذوع نخل نصبت صفين بموازاة الجدار الشمالي ، ثم غطى ما فوقها بعريش من خشب وسعف وغصون شجر . وفي الجهة المقابلة اقيم عريش مماثل . ولكن مساحة المسجد لم تكن صغيرة فكانت في اول الأمر ٧٠× ٦٣ ذراعا ، وكانت جذوع النخل في كل من العريشين صفين ، في كل صف ستة جذوع ، ثلاثة على اليمين وثلاثة على اليسار ، ثم وسع المسجد ايام الرسول ، فاضيف اليه ١٠ اذرع في العرض و٢٠ في الطول ، وزيدت جذوع النخل او الاساطين اثنين في العرض واضيف صف ثالث منها في كل من الشمال والجنوب عند العريشين ، اي ان المساحة الكلية للمسجد كانت في السنوات الاخيرة ومن حياة الرسول ٥٦٧٠ ذراعا مربعا اي ٣٢٨٠ر٨٦ مترا تقريبا .

وفي الركن الجنوبي الشرقي لصحن المسجد ابتنى الرسول حجراته التي عاش فيها ذلك الحين وقد ذهب بعض الاثريين الى ان هذه الغرف بنيت خارج الجامع ملاصقة لجداره ، ولكن من الثابت ان ابواب حجرات الرسول كانت داخل المسجد الى يسار الداخل من باب ابي بكر ، ثم ان الغرف لم تكن لها ابواب ، وانما اسدلت عليها ستر تحجب داخلها عن الخارج ، وهذا لا يكون الا اذا كانت الغرف داخل سور المسجد .

وهذه قصة بناء هذا المسجد المشرّف كما رواها محمد بن مسلم بن شهاب الزهري .

بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجده ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مربدا لتيبيس الزرع لسهل وسهيل ، وهما علامان يتيمان من الانصار ، وكانا في حجر اسعد بن زرارة .

ثامنهما رسول الله ﷺ فيه ، فقالا : بل نهبه لك . يا رسول الله فابى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير .

وكان جدارا ليس له سقف وقبلته الى بيت المقدس .

وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخرة مائة ذراع ، وفي الجانبين مثل ذلك او دونه ، وجعل اساسه قريبا من ثلاثة اذرع ، ثم بنوه باللبن . وكان رسول الله ﷺ يبني معهم ، وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول : اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة .

وجعل قبلته من اللبن ، وقيل من الحجارة ، وجعلها الى بيت المقدس .

- بني المسجد في العام الاول للهجرة (٦٢٢م) مقاييسه الاولى ٧٠ ذراعا طولا (١) في ٦٣ ذراعا عرضا . عريش القبلة - وهو بيت الصلاة - صفان من النخيل موازيان االجدار القبلة ، في كل صف ٦ جذوع نخل تقوم مقام الاساطين ، ٣ منها على اليمين و٣ على اليسار ، عريش الجدار المقابل للقبلة

(مقام اهل الصفة) مساو لعريش القبلة في الهيئة والمقاييس .

الزيادة في عهد الرسول :

زيد المسجد ١٠ اذرع في الشرق و٢٠ في الغرب .

وزيدت جذوع نخلة اي اساطينه واحدا في الشرق واثنين في الغرب .

جدده ابو بكر على نفس الهيئة . استبدل بجذوع النخل القديمة جذوعا جديدة سنة ١٢ هـ/ ٦٣٣م .

جدده عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ .

واستبدل بجذوع النخل اساطين من لبن ، وسقف العريشين بجريد ثم بخشب .

واوصى البناء بالا يحمر او يصفر ، حتى لا يفتتن الناس ، وزاد المسجد في الطول ، فقدم جدار القبلة ١٠ أذرع ، وكذلك مده من الناحية المقابلة ، فاصبح طول المسجد ١٣٠ ذراعا . ووسعه في العرض فاصبح ١٢٠ ذراعا .

جدد بناءه عثمان بن عفان تجديدا كاملا سنة ٢٩هـ/ ٦٤٩م وزاد فيه زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة اي المنحوتة ، وطلى الجدران بالقصَّة اي الجبس ، وجعل عمده من الحجارة بدل اللبن . صارت مقاييسه : ١٦٠×١٣٠ ذراعا . وزاد في

ارتفاع جدران المسجد ، وفتح نوافذ في اعلى الجدار قرب السقف على اليمين والشمال في بيت الصلاة .

اعاد بناءه الوليد بن عبد الملك فيما بين سنتي ٨٨ و٩١هـ/ ٧٠٦ و ٧٠٩م ، وتم ذلك على يد واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز .

اعيد البناء على نفس هيئة المسجد التي كان عليها ايام عثمان بن عفان ، ولم يزد المسجد الا في العرض ، فاصبح ١٦٥ ذراعا ، ولكن البناء زاد جمالا ومتانة .

اعاد بناءه وزاد فيه المهدي ثالث الخلفاء العباسيين سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٨م . فزاد المسجد من ناحية الشمال نحو ٦٥ ذراعا ، وزخرفت المجنبة الخلفية (المقابلة لبيت الصلاة) بالفسيفساء .

وقد احترق هذا المسجد سنة ٦٥٤هـ ١٢٥٦م فاعاد السلطان الظاهر بيبرس بناءه على نفس هيئته السابقة ، وقد تم العمل على ايدي معماريين وعرفاء وبنائين مصريين ارسلوا لهذا الغرض .

وقد رمم المسجد المكرم واعيد بناؤه اكثر من مرة خلال العصرين المملوكي والعثماني .

ـ ثم اعيد بناء مسجد رسول الله ﷺ وسلم للمرة الاخيرة . واخذ صورته الجميلة الحالية في ايامنا هذه .

وهذا البناء الجديد ـ الذي جعل مسجد الرسول ﷺ آية من آيات فن العمارة العالمية في القرن العشرين فقد صدر قرار التوسعة الجديدة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود في شعبان سنة ١٣٦٨ الموافق يونيو ١٩٤٩ ،

ووضع حجر الاساس في ربيع الاول ١٣٧٣/ نوفمبر ١٩٥٣ .

وتم البناء في الخامس من ربيع الاول ١٣٧٥/ ٢٣ اكتوبر ١٩٥٥ في عصر الملك سعود بن عبد العزيز .

اصبحت مساحة المسجد ١٦٣٢٦ مترا مربعا ، اي بزيادة ٦٠٢٤ مترا مربعا على مساحته الاصلية .

وارتفاع المئذنتين في الجو ٧٠ مترا .

وتكلف البناء فوق خمسين مليونا من الريالات السعودية .

وقد استخدمت في البناء ارفع المواد واغلاها من المرمر والرخام الملون وغير الملون والاخشاب النفيسة والمعادن الغالية .

المساجد الجامعة الاولى

وهي اربعة :

ـ مسجد البصرة ، اختطه عتبة بن غزوان سنة ١٤هـ/

٦٣٥م ، وكان مجرد مساحة مسقفة بالقصب يقوم سقفها على عمد من جذوع نخل وخشب ، ولم يكن له جدار بل احاط به خندق .

ـ مسجد الكوفة ، اختطه سعد بن ابي وقاص سنة ١٥هـ/٦٣٦م او ١٧هـ/٦٣٨م . وكان في اول امره ايضا مسجدا من قصب ، وقد احاط بسور من قصب ايضا . اعاد بناءه باللبن زياد بن ابيه سنة ٥١هـ/ ٦٧٠م .

ـ مسجد الفسطاط ، اختطه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م ، وكانت مقاييسه الاولى ٥٠×٣٠ ذراعا .

وقد قام سقف بيت صلاته على عمد من جذوع نخل مسقفة بالخشب ، ولم يكن له صحن متسع .

وقد وسع هذا المسجد واعيد بناؤه ١٦ مرة والمبنى الحالي للمسجد حديث ، بني في اوائل العشرينات والصلة قليلة بين هندسته الحالية وهندسته الاولى .

ـ مسجد عقبة بن نافع في القيروان ، وهو أبو مساجد الجناح الغربي لمملكة الاسلام . بناه عقبة بن نافع عندما اختط القيروان بين سنتي ٥٠ و٥٥هـ/ ٦٧٠ و ٦٧٥م .

وقد جدد بناء هذا المسجد خمس مرات ، حتى وصل ا صورته الثابتة

غار حراء مسجد قبل الاسلام

والناس ـ في العادة ـ يبدءون تاريخ المساجد من المسجد الحرام ، فهو اول بيت وضع للناس ، وهو قبلة ابراهيم ابي الانبياء المسلم الحنيف . وهو اول مسجد قام فيه رسول الله ﷺ .

ولكن غار حراء هو مسجد الاسلام الاول دون شك .

هنا صلى رسول الله وتحنث وعبد الله قبل ان يتنزل عليه الوحي .

وفي غار حراء نزلت الآيات الخمس الاولى من سورة العلق ، وهي اول ما انزل من قرآن .

وهو جدير بان يعد في المساجد وان سبق عصر المساجد .

المسجد الحرام اول بيت وضع للناس .

وعلى ٧ كيلومترات جنوب غرب غار حراء تقوم مكة ، وفي قلبها يقوم المسجد الحرام .

المسجد ، والكعبة في وسطه ، وشعائر الله الاخرى التي يلم بها الناس في الحج والعمرة انما هي قلب الحرم الملكي ، ارض الله الحرام ، وحدود هذا المسجد الاكبر تعينها اعلام الحرم المنصوبة على الطرق الى مكة من كل ناحية ؛ وهذه الاعلام .

في هذه المساحة تنتشر المساجد المكرمة كانها النجوم حول الكوكب الاعظم ، وهو المسجد الحرام . انه اقدم مساجد الاسلام ، وهو دون شك أوسع مساجد الدنيا ، ان يكن لم أوسع معبد ديني على الاطلاق ، في الحديث هنا عن صحنه الفسيح المحيط بالكعبة وبيوت صلاته المتعددة تحت البوائك المحيطة بالحرم . القبلة هنا في الكعبة المشرفة ، ذلك المبنى المكعب الجليل الذي يقوم خالداً تحت ستاره المخملي الأسود توشيه أُزُر من الآيات القرآنية .

هيئة الحرم الحالية ترجع الى ايام المماليك ثم الاتراك .

وقد كانت عناية سلاطين المماليك بالحرم عظيمة ، فمنذ ان اعاد بناء الكعبة والحرم السلطان الظاهر بيبرس الى ايام قلاوون ، لم يكف هؤلاء السلاطين عن العناية بالحرمين ، المكي والمدني . اخر مرة اعاد فيها المماليك بناء الحرم الملكي كله كانت سنة ٨٦٨/ ١٤٦٤ . وعندما دخلت الاراضي المقدسة في رعاية سلاطين آل عثمان انتقل اليهم امر رعاية الحرم ، ولم يضمروا في ذلك ، بدأ ذلك العمل الجليل السلطان سليم ، ولكن سليمان ٩٢٦ ـ ٩٧٣/ ١٥٢٠ ـ ١٥٦٥ وهو الذي اعاد بناء الكعبة والحرم واعطاهما الهيئة الباقية الى اليوم على وجه التقريب ، ومن حسن الحظ ان الحكومة السعودية حافظت على ذلك التصميم واضفت عليه ولا وثراء وفخامة .

هذا التصميم ـ او التخطيط ـ من عمل المهندس العثماني الاشهر سنان باشا . ولم يعش سنان ليرى تنفيذ مشروعه فقام به تلميذه محمد اغا بحسب هذا التخطيط اتسع الحرم حول الكعبة حتى اصبحت مقاييسه ٢٠٠×٢٠٠ متر= ٤٠٠٠٠ر٤٠ متر مربع على وجه التقريب ، نحو عشرة أفدنة واعيد انشاء البوائك المحيطة بالحرم ، فازيلت الاعمدة الرخامية القديمة ووضعت مكانها دعائم من الرخام عددها ٨٩٢ ، وبين هذه الدعاءات وضعوا اعمدة من الحجر الرملي لتحمل البوائك والسقف والقباب الصغيرة التي بنيت من الحجر ، وكانت قبل ذلك من الخشب .

وفي سنة ٩٤٤/ ١٥٨٦ بطنت جدران المسجد بالرخام الملون وجددت قنايله واضيفت ثريات في هيئة رؤ وس النخيل ، وبنيت للحرم بمآذن كبراها مستديرة على الطراز العثماني ذات ثلاث شرفات للآذان . تحت هذه المئذنة الكبرى ـ أنشأ السلطان سليمان مدرسة للفقه ، هي السليمانية التي ظلت تقوم بعملها زمناً طويلاً .

وفي سنة ١٠٣٩/ ١٦٢٩ جاء سيل عارم وهدم ركنين من اركان الكعبة ، فلم يعد هناك ما يمنع من ازالة البناء كله واعادته جديدا مع وضع الحجر الاسود في مكانه .

وقد قام بالامر مهندسون وعرفاء وبناءون اتوا من الآستانة

والقاهرة ، وعندما جاء دور وضع الحجر الاسود في مكانه ، فعل القضاة الاربعة والمهندسون واشراف مكة ما فعلته قريش عندما اعادت بناء الكعبة ايام النبي ﷺ وقبل بعثته : وضعوه في ثوب ورفعوه جميعا من الاطراف ، وقد حرص المعماريون على ان يستعملوا في البناء نفس احجار الكعبة ، لانه قيل ان بعضها يرجع الى ايام النبي ﷺ ، واحتفظوا بالقاعدة المبنية بحجارة من البازلت الاخضر ، لانهم قالوا ان تلك هي الحجارة التي بني بها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام البيت المكرم ، وهذه القاعدة هي المعروفة بالشاذروان وهي ملبسة بالرخام .

كذلك احتفظوا بالاعمدة الخشبية التي ترفع سقف الكعبة ، بعد ان عالجوا خللها ودهنوها بمزيج من الزعفران واللبان ، واعيد وضع الباب الصغير الذي كان السلطان سليمان قد صنعه للكعبة ، وكان مغطى بصفائح الذهب والفضة ، وصنع للكعبة ميزاب جديد من الذهب المزخرف بالمينا الزرقاء ، وبطنوا داخل الكعبة بالحرير الاحمر ، وغطوها من الخارج بالحرير الاسود ، وقد صنعت هذه الستر في مصر واتى بها الى مكة وفد من مصر ، كما كانت العادة الى حين قريب .

وقد ظل هذا البناء مكانه حتى اوائل القرن الثامن عشر ، فقام والي مصر والحجاز محمد علي باعادة بناء الحرم المكي كله ، وجدد اعمدته وحجارته ورخامه واصلح مآذنه ، وكان ذلك سنة ١٨٢١ .

اما تجديد مباني الحرم المكي كله وعمارته على الهيئة التي نراها اليوم فقد بدأت في فبراير ١٩٥٨ ايام الملك سعود بن عبد العزيز ، وقد اشرف عليها منذ البداية اخوه الملك فيصل بن عبد العزيز وكان اذ ذاك وليا للعهد ، وما زالت الاعمال مستمرة الى يومنا هذا ، وقد اخذ الحرم المكرم بهذه السارة الجديدة صورة فريدة في بابها من الجمال والرواء .

اصبحت مساحة المسجد الآن ٧٥٠٠٠ متر مربع بعد ان كانت ٣٠,٠٠٠ وبهذا اتسعت لحوالي نصف مليون مصل ، ويحيط بالحرم شارع عرضه ثلاثون مترا ، وانشئت ممرات المسعى من طابقين وجعل عرضه عشرين مترا وجعلت له ثمانية ابواب ، ونظم السير فيه في اتجاه واحد .

الحرم النبوي في المدينة :

اما ثاني المساجد الكبرى ، فمسجد الرسول ﷺ ،

لم يتجدد العناية بذلك المسجد المكرم بصورة جديرة بالذكر الا ايام المماليك ، فقد قاموا بتجديده مرة بعد مرة ، وكانت هناك ادارة مصرية خاصة بالحرمين الملكي والمدني . واخر من اعاد بناء المسجد النبوي كله من سلاطين مصر كان السلطان سيف الدين لاشين سنة ١٤٨١/٨٦٨ .

ثم تولى الامر سلاطين آل عثمان ابتداء من سليم الاول ، ثم

رممه وجدده سليمان القانوني عندما جدد الحرمين كليهما سنة ١٥٢٩/٩٤٠ ، ولا يزل جزء كبير من تجديد سليمان باقيا الى اليوم عند باب السلام في الواجهة الغربية للمسجد المكرم ؛ ويعتبر المنبر الذي اهداه سليمان لمسجد النبي ﷺ من آيات صنعه الحفر في الخشب عند المسلمين .

وقد اصلح الجامع مرة اخرى سنة ١٥٣٣/٩٩٤ ثم سنة ١٧١٥/١١٢٧ وفي سنة ١٧٨٢/١١٩٦ صنع للمسجد محراب جديد من المرمر الملون ورفعت فوق موضع المحراب قبة جميلة .

وقد اهدى سلاطين مصر وتركيا والهند وأمراؤ ها ونفر كبير من الاتقياء هدايا بديعة للمسجد المكرم ما زالت باقية في ذخائره الى اليوم ، ولعل اغلاها من ناحية القيمة المادية تلك الاهلة الذهبية المرصعة بالجواهر ، وفي داخل كل هلال نجم ذهبي مرصع ايضا ، وبين هذه الجواهر قطع من الماس تزن بضعة قراريط ولا تقدر بثمن ، وهذه الذخائر معلقة بداخل الروضة الشريفة وفي روضه السيدة فاطمة الزهراء .

ففي سنة ١٢٦٦ / ١٨٤٩ قام محمد علي والي مصر باعادة بناء المسجد كله وقام السلطان عبد الحميد الاول المتوفي سنة ١٢٧٧ / ١٨٦٠ - بتبطين المسجد كله بالرخام الوردي وكان هذا السلطان - الذي توفي في التاسعة والثلاثين من عمره - يسأل وهو على سرير الموت عما اذا كانت عمارة مسجد الرسول قد تمت ،

ويقال انهم عندما ابلغوه ان العمل قد تم قرت عينه وصعدت روحه الى بارئها . وبسبب الرخام الوردي الذي لبست به جدران المسجد اصبح يسمى كله الوردي .

وما زال مبنى الحرم النبوي المملوكي العثماني باقيا الى اليوم ، بالاضافة الى التوسعة العظيمة التي امر بعملها الملك عبد العزيز آل سعود في أيامنا هذه ، فقد اضافت هذه التوسعة للمسجد المكرم ابوابا جديدة تفضي الى بيت صلاة رائع يقوم على اعمدة فخمة من المرمر وكسيت الارضية كلها بالمرمر ، ويبلغ عدد هذه الاعمدة الجديدة ٢٣٢ عمودا ، وانشئت لهذه الزيادة كذلك واجهة بديعة عرفة بواجهة الملك عبد العزيز ، تزينها مئذنتان ارتفاع كل منهما ٧٥ مترا مربعا . وقد اضيفت الى المسجد بهذه الزيادة مساحة كبيرة ، فاصبح اتساعه يزيد عن ١٦٠,٠٠٠ متر مربع تتسع لما يزيد عن ٣٠٠٠٠٠ من المصلين .

مسجد قباء ، ومساجد أخرى

تحفل مكة والمدينة وما بينهما بالمساجد التاريخية ، وكل هذه المساجد جميلة بسيطة يزينها رواء من التقى والحب ومعظمها من بناء سلاطين المماليك والعثمانيين وامرائهم وبعض اهل الخير من اهل الحجاز . ويكاد ان يكون من العسير ان نتحقق من عمرها على مر الزمن ؛ فلناخذها كما هي ولنعتبرها كلها مساجد جليلة لانها تقوم في الارض المقدسة .

ولكن مسجد قباء ينفرد من بين هذه المساجد ، فنحن نعرف ان الرسول ﷺ بناه لاول وصوله الى قباء ضاحية المدينة التي تقع على ثلاثة كيلومترات جنوبها ، فهو اول مسجد بني في الاسلام ، ولابد ان المسجد رمم واعيد بناؤه مرارا قبل ان ياخذ صورته الحالية التي ترجع الى سلطان مصر الاشرف قايتباي في سنة ٨٨٨/ ١٥٨٠ ، فقد اعيد بناء هذا المسجد كله واضيف اليه محراب جديد من الرخام ، اما منبر الجامع فهو المنبر الذي كان قايتباي قد اهداه للحرم النبوي ، وقد نقل الى قباء عندما وضع في المسجد النبوي المنبر البديع اهداه له السلطان مراد .

ومئذنة المسجد ترجع الى العصر العثماني ، واغلب الظن انها عملت في ايام السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤٥/ ١٨٢٥ وكان الذي قام بها محمد علي والي مصر وعرفاء وبناءون من مصر ، وقد اكملت هذه العمارة ايام السلطان عبد المجيد .

اما المبنى الصغير داخل الصحن فيقال انه يعين موضع مبرك ناقة لرسول ﷺ .

وما زال المسجد يحتفظ بطابع البساطة الذي كان يميز مساجد الاسلام الاولى ، ونعتقد ان صورته الحالية هي نفسها التي كانت ايام جده عمر بن عبد العزيز ، وهو اول من جعل له مئذنة وبيت صلاة ذا اعمدة ورواقات .

مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط .

يعتبر جامع عمرو بن العاص في مصر رابع مسجد جامع اقيم في الاسلام ـ بعد مساجد المدينة والكوفة والبصرة ـ فقد اقيم سنة ٢١/٦٤٢ اربعة عشر قرنا الى ثمانية وعشرين عاما هجرية .

وقد انشأ فاتح مصر مسجده المنسوب اليه في الفسطاط بعد تمام فتح مصر على يديه ، وكان في اول امره مسجدا بالغ البساطة : مساحة طولها ٢٥ مترا وعرضها ١٥ مترا مغطاة بظلة من الخشب وسعف النخل قائمة على اعمدة من جذوع النخل .

وقد ازاله مسلمة بن مخلد ـ والي مصر لمعاوية بن ابي سفيان ـ واعاد الناقة من جديد سنة ٥٣/٦٧٢ ، فضاعف حجمه وجعل له سورا من ونر وترك جزءا كبيراً من الزيادة الجديدة صحناً مكشوفاً . وجعل للمسجد اربع مآذن في اركانه ، ويقال ان هذه كانت اقدم مآذن اقيمت في الاسلام .

ثم جدده عبد العزيز بن مروان سنة ٧٩/٦٩٨ .

ثم هدمه من اساسه واعاد بناءه كله قرة بن شريك سنة ٩٣/٧١٠ على ساعة واسعة ، وجعل له جدرانا عالية وسقفا من الخشب . وقرة هو الذي انشأ له المحراب المجوف ـ وهو اول محراب من نوعه في مصر ـ واضاف اليه منبرا خشبيا جميلا .

وفي سنة ١٣٣/٧٥٠ اتم الوالي العباسي صالح بن علي ؛ وهو عم ابي جعفر المنصور) عمل قرة واعطى الجامع صورته

التي بقي عليها بعد ذلك لقرون طويلة .

وفي سنة ٢١٢/٨٢٧ بلغ الجامع مساحته الحالية على يد عبده بن طاهر والي المامون ، وقد ثبت الجامع على تلك المساحة الى الآن وهي ١١٢,٥×١٢٠ مترا على وجه التقريب= ١٥,٠٠٠ متر) . وهذا المسجد الذي اتمه عبد الله بن طاهر هو الذي يعتبر الآن المسجد الاصلي الذي يجتهدون في المحافظة عليه .

واحترق جزء كبير من جامع عمرو ايام خمارويه بن احمد بن طولون فاعيد بناؤه ، واكمل محمد بن طفج الاخشيد عمل خمارويه .

ثم جدد المسجد مرات كثيرة ايام الفاطميين حتى بلغ ذروة جماله القديم ايام الخليفة المستنصر ، وذكر انه يقوم على ٤٠٠ عمود من الرخام ، وجدار المحراب كله مغطى بالرخام الابيض كتبت عليه آيات القرآن بخط جميل ، يضيئه بالليل من الداخل تنور (أي مصباح ضخم ، ثريا) اهداه اليه الخليفة الحاكم بامر الله ، وزنه سبعة قناطر من الفضة ، بالاضافة الى اكثر من ٧٠٠ قنديل ، وكان المسجد مفروشا بعشر طبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض ، وقال انه كان من اعمر المساجد بالناس والحركة ، ولا يقل الموجودون فيه ـ من الصباح الى صلاة العشاء ـ عن خمسة الآف شخص ، ما بين مصلين وشيوخ اساتذة وطلاب . علم وكتاب يحررون الصكوك والمبايعات للناس .

وقد احترق جانب من هذا المسجد سنة ٥٦٤/١١٦٨ عندما اشعل شاور النيران في الفسطاط فظلت مشتعلة فيها ٥٤ يوما . فلما جاء صلاح الدين الأيوبي أصلحه وجدده سنة ٥٦٨/١١٧٢ « وأعاد بناء صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمّه ورسم عليه

ثم اعاد تعميره الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦/١٢٨٨ ، وتوالت عليه اعمال الترميم حتى كان آخر من جدده من المماليك مراد بك سنة ١٢١٣/١٧٩٨ ، وقد ادخلت على المسجد بعد ذلك اصلاحات وترميمات كثيرة كان اخرها سنة ١٩٢٢ . وكانت نتيجة هذه العمليات الكثيرة ان اصبح ذلك المسجد الجليل اليوم من اقل المساجد الكبرى وحدة فنية واقلها انسجاما ، والمسجد الحالي هائل الحجم ، تحمل سقفه مئات الاعمدة وفي وسطه صحن مكشوف غير منتظم الهيئة تزينه قبة صغيرة .

قبة الصخرة

هذا مبنى مساجدي فريد في بابه في عالم الاسلام . وقد انشىء خاصة لتكريم وتخليد الصخرة واظهار موضع الصخرة التي عرج بمحمد ـ ﷺ ـ عندها الى السماء ، وحمايتها من الشمس والمطر وعدوان الايام .

امر عمر بن الخطاب بانشاء ظلة من الخشب فوق الصخرة حماية الصخرة ، لحمايتها في مكانها حتى جاء عبد الملك بن

مروان ورأى ان يستبدل بها عملا فنيا يتناسب مع ما للصخرة من مكانة في قلوب المسلمين .

شرع عبد الملك بن مروان في انشاء مبنى قبة الصخرة سنة ٦٨٨/٩٩ ـ ٦٨٩ ، وكان الفراغ من انشائه سنة ٧٢/ ٦٩١ ـ ٦٩٢ .

المبنى قاعة واسعة من ستة اضلاع ، ترتفع فوقها قبة نصف دائرية جميلة تقوم على هيكل من الخشب ، وهي مجصصة من الداخل والخارج ، وداخل مزين بنقوش بيزنطية بديعة ، وخارجها ملون بماء الذهب .

والصخرة تقوم داخل المبنى ، تحيط بها دائرة من البوائك ، تقوم على صفود مدببة ، مرفوعة على دعائم حجرية واعمدة من الرخام بالتوالي . وفوق الصفود ـ التي تدور حول الصخرة ـ يقوم جدار مستدير مرتفع مجصص ومزين بنقوش وزخارف بيزنطية الطابع ، وفوق هذه الجدار تقوم رقبة القبة مزينة بشماسات ذات زجاج ملوّن ، والفراغات بين الشماسات مغطاة بالزخارف . والقبة تقوم فوق ذلك كله ، فهي معتمدة على العقود التي ذكرناها ، لا على الجدار الخارجي . وتدور حول القبة ـ بين الأعمدة ـ طارة من الخشب الملبّس بالنحاس ، تحول بين الناس والصخرة .

وبين العقود والجدار الخارجي لمبنى القبة مطاف جميل يدور حول الصخرة جدار المبنى الخارجي مسدس الأضلاع كما قلنا ، كل ضلع منها محلى بعقود زخرفية عددها سبعة ، العقد الأوسط في أربعة منها فيه باب للدخول . والجدران الخارجية كلها ملبسة بالرخام إلى ارتفاع النوافذ ، ثم تغطى بعد ذلك بالفسيفساء ذات البريق الزجاجي والقاشاني التركي ، هذا القاشاني يرجع إلى سنة ١٥٥٤ ، أما القبة الحالية فقد رفعت في القرن الثاني عشر ، على نمط القبة القديمة بعد تجديد هيكلها الخشبي .

المسجد الاقصى

ترجع بدايات هذا المسجد المكرم الى عمر بن الخطاب الذي امر ببناء مسجد في الحرم القدسي غير بعيد من موضع الصخرة التي بنيت عليها القبة . وهناك من يقولون ان مسجد عمر اقيم في جزء من معبد روماني قديم ينسب الى هيورد وهدمه الامبراطور تيتوس .

ولكن الوليد بن عبد الملك كان اول من انشأ المسجد الاقصى في مكانه الحالي ، وكان ذلك في سنة ٩٧/ ٧١٥ و٧١٦ ، ولم يبق من مسجد الوليد هذا الا العقود القائمة على اعمدة من الرخام على يمين القبة الصغيرة عند المدخل ويسارها .

وقد تهدم معظم مسجد الوليد هذا في زلزال وقع سنة

١٣٠/٧٤٧ ٧٤٨ فاعاد بناءه الخليفة المنصور حوالي سنة ١٤٠ على الاغلب بعد ان اقتلع الذهب عن ابوابه لينفق عليه . ثم تهدم مرة اخرى ورفع الامر الى المهدى فقال : رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طوله زيدوا في عرضه وهكذا تلك انشاؤه بامر الخليفة المهدي العباسي (سنة ١٦٣/ ٧٤٧) الذي اعطى المسجد صورته وحجمه الحاليين ، ومن اسف ان معظم بناء المهدي تهدم في زلزال وقع في مطلع القرن الثالث فوزع الخليفة المامون بناءه على امراء الاطراف يبني كل منهم رواقا على نفقته ، وتولى بناء عبد الله بن طاهر بعد سنة ٢١٠هـ وقد زلزل هذا البناء ايضا سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م ولكن المقدسي الرحالة احتفظ لنا بجانب من وصفه قال : ان بيت صلاته كان يتكون من ستة وعشرين رواقا تشرع كلها من جدار القبلة الى الصحن ، اما ابواب المسجد فكانت سبعا اكبرها هو الاوسط وكان الباب الرئيسي ملبسا بالنحاس ، وكانت تتوسط الرواق الاوسط قبة لطيفة .

وأعيد بناء المسجد بعد زلزال سنة ١٠٣٣/٤٢٤ الذي ذكرناه ، وكان الذي بناه هو الخليفة الفاطمي الظاهر سنة ١٠٣٥/٤٢٦ ، وقد ذهب جزء كبير من بناء الخليفة الظاهر الفاطمي اثناء الحروب الصليبية وما اصاب القدس خلالها من احداث . ولكن بقي منه الهيكل العام المكون من سبعة اروقة عمودية على القبلة . وجوف بيت الصلاة الذي يتكون من ١١

صفاً ـ من العقود الموازية لجدار القبلة .

والرواق الاوسط ـ او المجاز الاعظم ـ ضعف بقية الاروقة في الاتساع ، وتقوم فوق البلاطة الاخيرة منه قبة صغيرة فوق المدخل مباشرة ، هناك قبة اخرى اكبر من هذه فوق البلاطة المؤدية الى المحراب .

وفي وسط الرواق الاوسط باتجاه القبلة يقوم مربع بديع يحمل القبة الكبرى مرفوعاً على اعمدة رخامية سامقة الارتفاع ، تعلوها عقود تقوم على ارجل ، يعدل ارتفاعها ارتفاع العمد ، والجدار الحامل للقبة فوق العقود مزين بنوافذ منبره على هيئة بوائك صغيرة . وهذا الارتفاع العظيم للسقف هو الذي حدا بالمعماري الى ان يربط الاعمدة باوتاد خشبية سميكة .

والمسجد الاقصى الحالي ، عمل معماري يجمع بين البساطة والجلال على صورة تندر في غيره من المساجد ، فان بناءه رغم ضخامته مبنى فالجدران الحاملة للقبة الكبرى لا تتميز بضخامة ، والقبة نفسها تقوم على هيكل خشبي . وزينة الجدران نفسها قليلة ، والقبلة بسيطة رغم زخارفها ولكن يضيف الى روائها ان الجدار ـ الى يمينها ويسارها الى ارتفاع المحراب ـ مغطى بالقاشاني المزخرف . وجزء كبير من فخامة الجامع يرجع الى سعة بيت الصلاة التي تملأ النفس روعة وبهجة . وهذه السنة هي التي جعلت المعماري يكتفي بتسقيفه بالخشب .

المسجد الجامع في القيروان

هذا ابو مساجد الجناح الغربي لمملكة الاسلام .

بدأ عقبة بن نافع بناء ذلك المسجد سنة ٥٠/ ٦٧٠ (وهو تاريخ احكام القيروان رابعة العواصم الاسلامية الاولى)، وفرغ منه ومن القيروان سنة ٥٥/ ٦٧٥ .

كان مكوناً من بيت صلاة مسقف بعريش يقوم على جمع النخل وصحن مكشوف في نفس حجمه . وقد حرص الذين جددوه على ان يحافظوا على هيئته الاولى .

وقد جدد المسجد وزيد فيه مراراً عديدة .

وتقدم قبة المسجد الكبيرة - التي تقوم فوق البلاطة المؤدية الى المحراب على ٣٢ عموداً جميلاً من الرخام (بينها الساريتان الحمراوان) وهي منقوشة من الداخل بزخارف في غاية الجمال . وعقود القبة من طراز هورس المدبب وحذوة الحصان ، اما القبة نفسها فتتألف من ٢٤ عقداً مدبباً يسمى كل منها ضلعاً ، وهي مثمنة .

ويمتاز جامع القيروان بالضوء الذي يفيض فيه والاشراق الروحي الذي يحس به الانسان اذا وقف تحت قبة المحراب وتامل العقود الجميلة والجدران الرخامية المزينة من اعلى بوحدات زخرفية في غاية الجمال .

فطول جدار القبلة ٧٢ متراً وجوف (عمق) بيت الصلاة ٣٦ متراً تنقسم الى سبعة اساكيب ، اما البلاطات - اي الاروقة - المؤدية إلى جدار القبلة فعددها ١٧ رواقاً، الأوسط منها أوسع من الاروقة الاخيرة ويؤدي الى المحراب ، ولهذا المسجد صحن واسع يبلغ طوله ٩٠ متراً وعرض ٧٠ والعقود مستديرة تقوم على اعمدة من الرخام مقواة بدعائم .

بيت الصلاة عميق يغطى نصف مساحة المسجد كله تقريباً ، والمجنبات قليلة العمق فكل منها رواقان ، والمئذنة بناء مستقل شبيه بالبرج يقوم في الجدار المواجه لجدار القبلة وهو خارج سور المسجد .

وهذه المئذنة تعتبر من نوادر المآذن واجملها - مع قدمها - فهي في الحقيقة برج من ثلاث طبقات كلها مربعة ، والسفلى اكبرها حجماً وتليها الثانية فالثالثة . وضلع بدن المئذنة من اسفل ١٠,٦٧ امتار وارتفاعه ١٨,٨٧ مترا فهو على هذا مبنى ضخم يكاد حجمه ان يكون حجم بيت كامل . وارتفاع الطبقة الثانية ٥ أمتار والثالثة ٧,٥٠ أمتار . فالإرتفاع الكلي للمئذنة يصل إلى ٣١,٣٧ متراً أي ما يقرب من ارتفاع بيت من تسعة أدوار في المباني الحديثة .

مسجد الاموي في دمشق

انشيء مسجد دمشق الاموي في جزء من معبد كان هناك للاله الروماني جوبتر وكان المسيحيون ايضاً يستخدمون اجزاء

من المعابد الرومانية القديمة كنائس ومصليات ، وخاصة في عصور الاضطهاد الاولى .

في معبد جوبتر هذا كان المسيحيون قد اقاموا مصلى او كنيسة ونسبوه للقديس يوحنا . فلما جاء المسلمون ورأوا سعة هذا المعبد المهجور في معظم أجزائه ، رغبوا في الاستفادة من الأحجار والرخام والارض المبلطة لهذا المبنى القديم ، ورأى رجال عبد الملك بن مروان انهم يستطيعون تحويل المبنى كله الى مسجد ، وتراضوا مع النصارى على تعويضهم عن المصلي الصغير الذي كان لهم ، وفي عهد الوليد بن عبد الملك (٧٠٧ ـ ٧١٥) بدأ بناء المسجد سنة ٧٠٦ م ولم يتم الا سنة ٧١٥م .

وجعل المهندسون باب بيت الصلاة المؤدي الى الصحن باباً فخماً كانه باب مسجد كامل ، خاصة وهو يؤدي الى الرواق الاوسط ـ او الحجاز الاعظم ـ الذي ينتهي بالقبلة . ويبلغ طول جدار القبلة حوالي ١٩٠ متراً . وعدد بلاطاته ـ اي أروقته ـ اثنتين وعشرين بلاطة ، مقسمة على قسمين : كل منهما إحدى عشرة بلاطة ، على يمين الرواق الاوسط وشماله . ويفتح بيت الصلاة على الصحن بسلسلة من العقود عددها عدد البلاطات ، وهي عقود مستديرة ، وتزيين الجدار ـ أعلى العقود ـ سلسلة من نوافذ ذات عقود مستديرة وتقوم كل هذه النوافذ أزواجاً : كل اثنتين منها فوق عقد من العقود . ويحيط بالصحن ـ من شرق

وغرب ـ مجنبتان ، لها هيئة أروقة بيت الصلاة . وتقوم فوق الرواق الأوسط ـ في وسطه رقبة صغيرة ولكنها آية في الجمال .

وبالرغم من أن العمارة البيزنطية كانت مصدراً اساسياً من مصادر الصلاة الاسلامية الناشئة في ذلك الحين فان الجامع الاموي بني وفق مخطط مسجد الرسول الاول بساحته المكشوفة الفسيحة وقد جعل حرم الصلاة مغلقاً واقيم على اعمدة واقواس بسبب جو دمشق الممطر في الشتاء وكانت هندسة الجامع المتفقة مع شعائر الدين الجديد اساساً لبناء الجوامع الكبرى التي بنيت من بعد في مختلف بلاد الاسلام .

والملامح البيزنطية في عمارته انما تمثلت في اقواسه وفي تزييناته من الفسيساء وتعتبر مآذن الجامع الأموي اول محاولة لاقامة المآذن في الشام . وهي مآذن ثلاث . وكان في ركني المعبد القديم الذي بني عليه المسجد في الجنبين الجنوبيين الشرقي والغربي برجان مربعان فأعاد الوليد بناءهما ليكون من فوقهما الأذان ثم انشيء على شكلهما مئذنة ثالثة في منتصف الواجهة الشمالية للجامع . والبناء الحالي هذه المآذن يعود إلى العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية والمئذنة الغربية منها هي الأجمل والأرشق وقد بين من السلطان قايتباي (القرن الخامس عشر) .

وقد احترق الجامع خمس مرات اولها سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م . وآخرها سنة ١٨٩٣م ايام السلطان عبد الحميد الثاني . والبناء

الحالي باعمدته وشكله يرجع الى عهد هذا السلطان . على أن جميع الترميمات التي توالت على هذا الجامع حافظت تماماً على مخططه المعماري الاول وعلى هندسته الاموية دون تعديل . فللجامع الى اليوم : حرم مغطى مستطيل تتوسطه قبة تقوم فوق سقف مثلث وتسمى قبة النسر واما باحة المسجد فمحاطة من اركانها الثلاثة (في الشرق والشمال والغرب) بأروقة تحملها اقواس تقوم على الأعمدة ، وللجامع اربعة ابواب أهمها البابان الشرقي (باب جيرون) والغربي (باب البريد) اللذان يقومان على أساس بوابتين فخمتين قديمتين . وبقايا الفسيفساء القديمة ما تزال موجودة في أجزاء هامة منها في داخل باب البريد الغربي .

وفي باحة الجامع نحو الغرب بناء يقوم على عدة اعمدة يقال ان مال الجامع كان يودع فيه وكان في القرن الماضي مستودعاً للخشب والمخطوطات .

مسجد قرطبة الجامع

مسجد قرطبة الجامع من اروع ما أنشأ المسلمون من الاعمال المعمارية ، وهو ـ باعتراف مؤرخي العمارة من الاوروبيين ـ قمة من قمم الفن المعماري العالمي على مر العصور ، لقد تم بناء هذا المسجد خلال قرنين ونصف قرن على وجه التقريب ، فقد بدىء في انشائه على يد عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠ / ٧٨٦ ، واستغرق انشاء الجزء الأول منه سبع سنوات .

ثم توالت عليه أعمال الزيادة والتجميل والتوسيع الى اوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

حين بدأ عبد الرحمن الداخل بانشائه سنة ١٧٠/٧٨٦ ، كانت مقاييسه ٧٥ مترا في العرض و٦٥ في الطول اي في عمق بيت الصلاة ، يضاف الى ذلك صحن فسيح تعدل مساحته مساحة بيت الصلاة تقريباً .

كان المسجد مكوناً من ١٢ رواقاً موازية لجدار المجرات وتسع بلاطات عمودية على جدار القبلة وكانت البلاطة الوسطى اوسع من الاخريات وتؤدي الى المحراب .

وفي سنة ١٨٠ / ٧٩٦ أضاف هشام الرضى ـ ابن عبد الرحمن الداخل وخليفته ـ اسكوبا لبيت الصلاة من ناحية الصحن .

وقد اهتم عبد الرحمن الاوسط ـ رابع امراء بني امية الاندلسيين ـ بالمسجد اهتماماً كبيراً ، فزاد فيه سنة ٢٦٨ / ٨٣٣ ززيادة صغيرة ، ثم تبين بعد ذلك ان عدد المصلين زاد زيادة كبيرة بسبب اتساع قرطبة ، ولهذا فقد بدأ في سنة ٢٣٤ / ٨٤٨ في زيادة عمق بيت الصلاة باضافة ثمانية أساكيب في اتجاه القبلة (أي نحو الجنوب في اتجاه نهر الوادي الكبير) ونقل جدار القبلة الى موضع الجدار الجديد ، وصنع للمسجد محرابا جميلا فأصبحت مقاييس المسجد ١٣٠×٧٥ مترا بما في ذلك الصحن .

والغالب ان العقود المزدوجة ظهرت اثناء هذه الزيـادة الكبيرة ، لان المعماريين وجدوا عند تخطيطها ان ارتفاع المسجد لن يكون متناسبا مع مساحته الجديدة ، فابتكروا تعلية السقف عن طريق وضع دعامات حجرية فوق الأعمدة الأولى ، واضافة عقود ثانية ثم رفع السقف فوق ذلك ، ولهذا جعلوا السقف من الخشب حتى يكون خفيفا ، وغطوه بالقرميد الأحمر ، واكمل هذه الزيادة وقام بزخرفة الجامع الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط في سنة ٢٤١/٨٥٥ ، وأضاف هذا الامير الى المسجد المقصورة الى يمين المحراب ثم قنطرة فوق المحجة العظمى ، وفي سنة ٣٤٠/٩٥١ انشأ عبد الرحمن الناصر صومعة ـ أي مئذنة ـ جديدة في اقصى جدار الصحن ناحية الشمال ، وقد جعلها على هيئة برج ضخم ذي شرفتين للأذان ويُصعد الى هاتين الشرفتين بسلم داخلها . وهذه المئذنة ما زالت باقية الى اليوم ، وان كانت قد حولت الى برج نواقيس ، وكذلك اضاف الناصر الى المسجد زخارف كثيرة .

ورأى عبد الرحمن الناصر انه لا بد من توسعة المسجد مرة ثالثة ، سنة ٣٥١/ ٩٦١ . وكانت هذه الزيادة جهة الجنوب مثل الزيادة السابقة ، اسفل جدار المحراب ٣٥ مترا الى الجنوب ، وبذلك وصل المسجد الى ضفة النهر بزيادة ١٢ اسكوبا جديداً ، ثم عمل محراباً جديداً يعد آية من آيات من المعمار والنحت في تاريخ العمارة الاسلامية واصبح جوف بيت الصلاة ٧٥ مترا

ويصبح طول المسجد اذا اضفنا الصحن ١٠٥ امتار وزيد هذا المسجد مرة رابعة على يد المنصور محمد بن ابي عامرة الذي استبد بحكم الأندلس أيام الخليفة هشام المؤ يد ، وقد تمت هذه الزيادة سنة ٣٧٧/ ٩٨٧ ، وكانت بطول المسجد كله من ناحية الشرق . تحرى المنصور أن تكون الزيادة متفقة في الهيئة والروح العام مع بقية بنيان المسجد . ومع ان هذه الزيادة لا تمتاز بالاصالة التي تمتاز بها اجزاء المسجد الثلاثة الاخرى ، الا أنها اعطته عمقا وسعة زاد فيهما على كل مسجد معروف في بلاد الاسلام ، فَبِها أصبح عدد اروقة المسجد الذاهبة الى جدار القبلة ١٩ رواقا ، وأصبح عدد أساكيبه ـ أي اروقته الموازية لجدار القبلة ٣٥ اسكوبا ، وأصبحت مقاييس المسجد ١٢٥×١٨٠ مترا ، اي أن مساحته الكلية ـ بما في ذلك الصحن ـ ٢٢,٥٠٠ متر أي خمسة افدنة ، يشغل بيت الصلاة وحده منها ثلاثة افدنة ، وهذا اضخم بيت صلاة بني في الاسلام ، واجمل ما في الموضوع انه باق الى اليوم شاهدا على ما بلغت أمة العرب من أوج في فن الهندسة والمعمار .

وصحن ذلك المسجد وحده قطعة فنية ، فهو محاط بسور تشقه سبعة ابواب ، وفي جهته الشمالية تقوم الصومعة التي ذكرناها . وقد زرع الناس شجار النارنج في الصحن ، ولهذا يسمى بصحن النارنج ، وقد تناقش الفقهاء طويلا فيما اذا كان يجوز زرع الاشجار في صحون المساجد ، وافتى شيوخ المالكية

الأندلسيون بجواز ذلك ، لأن الاشجار تفيء ظلا على المصلين . وفي الناحية الشرقية من الصحن تقوم الميضأة البديعة التي أنشأها منصور محمد بن ابي عامر واجرى لها الماء في قناة تحت الأرض ، وهذه القناة نصب في حوض واسع مقسم الى تسعة احواض كانت تقوم فوقها تسع قباب صغيرة ؛ والغالب أن المتوضيء كان ينزل بضعة سلالم حتى يكون في مستوى الماء .

وثد حول ذلك المسجد إلى كاتدرائية عندما استولى الاسبان على قرطبة سنة ١٢٣٦ . وفي القرن الرابع عشر أنشئت في الجانب الغربي منه ـ في زيادة عبد الرحمن الأوسط ـ كاتدرائية صغيرة امر ببنائها الملكان الكاثوليكيان فرناندو وايزابيلا . وفي القرن السادس عشر ـ وعلى وجه التحديد سنة ١٥٢٣ ـ أنشئت في قلب الجامع كاتدرائية كبيرة كاملة شوهت وسط الجامع تشويهاً مؤسفاً ، وقد انكر الامبراطور كارلوس الخامس ـ المعروف عندنا بشرلكان ـ هذا البناء المقحم على المسجد العظيم ، الذي اخذ الصورة الرائعة التي كان بيت الصلاة في هذا المسجد يمتاز بها .

ومن غريب الأمر أن بيت الصلاة لا يزال محتفظا ـ الى اليوم ـ بمعظم بهائه وجماله . وجدير بالذكر أن اروقة المسجد كلها كانت تفتح على الصحن المكشوف ، مما كان يأذن للضوء في ان يغمر داخل المسجد ويلفت الناس الى جماله . وقد أقفلت هذه الأروقة بجدار سميك عندما حول الجامع الى كنيسة ، ويقول القسس ان داخل الكنائس ينبغي أن يغلب عليه الظلام فذلك ـ في رأيهم ـ يجعل للمعبد رهبة وهيبة .

سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)

سلسلة مختارات إسلامية

من روائع الفن الإسلامي

(٢)

دار الفكر اللبناني

سلسلة
مختارات
إسلامية

من روائع الفن الإسلامي

(٢)

دار الفكر اللبناني



مسجد سوسة الجامع

انشىء هذا المسجد سنة ٢٣٦/٨٥١ ، أيام أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد الاغلبي ، وهو يعتبر من أجمل وأكبر المساجد العتيقة الباقية الي اليوم ، رغم أنه يقل في الشهرة عن أمثاله من تلك المساجد الجليلة .

والمسجد يقوم على شبه جزيرة داخلة في البحر قرب باب البحر ، من أبواب سوية القديمة ، شمال شرق ذلك البلد التونسي الجميل .

ولم يدخل على المسجد تغيير كبير منذ بنائه ، ولهذا فهو بع يعد من اكبر المعالم في تاريخ عمارة المساجد والمسجد واسع المساحة اذ هو مستطيل - على وجه التقريب - طوله ٥٧ مترا وعرضه ٥٠ مترا ، فمساحته الكلية - على هذا - ٢٨٥٠ مترا ، يتوسطه صحن مستطيل تبلغ مساحته ٣٣٤ متراً ، تحيط به ثلاث مُجَنّبات عرض كل منها رواق واحد .

ومنظر الجامع - من الصحن - جميل فان بيت الصلاة

والمجنبات تطل عليه بعقود حذوة الفرس ، تقوم على دعامات حجرية . وبيت الصلاة عميق يتكون من ستة أساكيب ، اما بلاطاته ؛ أو أروقته) فعددها ثلاث عشرة والوسطى منها أكثر سعة وهي الرواق الأوسط الذي يؤدي الى المحراب . وفوق بلاطة المحراب قبة صغيرة ، وهناك قبة مماثلة لها تماما فوق الرواق ايضا ، في وسط ابيت الصلاة . وموضع هذه القبة الاخيرة يعين جدار الرواق ايضا ، في وسط بيت الصلاة . وموضع هذه القبة الاخيرة يعين جدار قبلة المسجد القديم ، فقد كان جوف بيت صلاته ثلاثة اساكيب ثم وسع بعد ذلك الى الجنوب باضافة اربعة اساكيب اخرى ، ونقل جدار الجامع الى موضعه الحالي وانشىء له محراب جديد .

وفي ركني المسجد الشمالي والجنوبي ـ من ناحية الغرب ـ يقوم برجان مستديران يصل ارتفاعهما الى مستوى سطح الجامع . والشمالي منهما كان يستعمل مئذنة ، لأن له سلما داخليا يدخل اليه من داخل المسجد وفي أعلى كل من البرجين جوسق تقوم عليه قبة .

جامع القرويين في فاس

يقع جامع القرويين يقع في عدوة القرويين ، وهو أكبر من جامع فاس الذي يقع في عدوة الاندلسيين وسنتحدث عنه .

الجامع هو زينة فاس واجمل ما فيها ، والبناء الحالي للمسجد ينص تاريخاً طويلاً يؤكد الحقيقة التي ذكرناها مراراً في هذه الدراسة ، وهي ان المساجد الجامعة تقدم لنا في تاريخها صفحات طويلة من التاريخ السياسي والاجتماعي للجماعات التي أنشأتها .

بدأ جامع القرويين صغيراً يسمى جامع الشرفاء بناه ادريس الثاني في عدوة القرويين من فاس عند أول انشائها ويرجح أن جامع الاشراف هذا بني هو وجامع الأشياخ الذي قام في عدوة الأندلس في نفس الوقت أي سنة ١٩٢/ ٨٠٨ .

وقد ظل هذان الجامعان على حالهما حتى سنة ٢٤٥/٨٥٩ عندما اتسعت العمارة في العدوتين القروية والأندلسية نتيجة للرخاء الذي سار المغرب الشمالي اذا ذاك في ذلك الحين توفي في فاس رجل من عرب لقيروان يسمى محمد بن عبد الله الفهري كان قد هاجر الى المغرب وكسب مالاً عريضاً ورثته بنتاه فاطمة ومريم . اهتمت فاطمة بجامع القرويين ورأت أن تنفق مالها في تجديد بنائه وتوسعته فتضاعف حجمه وزاد بيت صلاته عمقاً بما أضيف اليه من الأساكيب الجديدة ، ووسع الصحن أيضاً وأعيد بناء المجنبات ، وانشىء للجامع محراب ومنبر جديدان ، وبنيت المئذنة التي ما زالت تستوقف الأنظار ـ الى اليوم ـ بارتفاعها الشامخ وخطوطها الهندسية الرائعة . وقد أعيد بناء هذه المئذنة

عندما وسع الجامع للمرة الثانية فيما بين سنتي ٣٤٤ و٣٤٥هـ/ ٩٥٥ و٩٥٦م ، فاصبح كل ضلع من أضلاع قاعدتها خمسة امتار ، وارتفعت في الجو ٢٠ متراً وكُسِيَتْ بالقاشاني ، وزين رأسها بتفافيح صغيرة موشاة بالذهب .

وفي عهد الأمير علي بن يوسف المرابطي ، زيدت في جامع القرويين زيادة كبيرة ، فيما بين سنتي ٥٢٨/١١٣٣ و ٥٣٩/١١٤٣ ، فأصبحت بلاطات بيت الصلاة عشراً بعد أن كانت سبعاً ، وصنع للجامع محراب ومفر جديدان في الغاية من الجمال ، وأعيد بناء أبواب الجامع ـ وخاصة باب الفخارين الذي يسمى اليوم بباب الشماعين ـ فأصبحت هذه الابواب من أجمل ما أنشأ المسلمون من هذا الطراز ، فقد كسيت الأبواب حسبية بالنحاس ، وأقيم على كل باب قبة صغيرة ، وأنشئت فوق بلاطة الصراب قبة من الجص المقرنص زينت بالنقوش الذهبية والملونة ، وان من يتامل زخارف شماسات القبة ليرى فيها اعمالاً فنية تعتبر قمة من قمم الفن المعماري الاسلامي ، وقد اشترك في هذه الأعمال معماريون ومزخرفون من الاندلس .

ومن أجمل ما يميز تلك الزيادة المرابطية القباب الصغيرة المقرنصة التي اقيمت في سقف رواق المحراب ، ومقرنصات هذه القباب فريدة في بابها نظراً لرقتها واحكام صنعتها ، وعليها زخارف نباتية في غاية الذة والانسجام .

ومنبر الجامع من أجمل المنابر المعروفة الى اليوم ، فهو مصنوع من الأخشاب النبيلة كالصندل والآبنوس والحور ، وزخارفه مطعمة بالعاج وزخارف جوانبه تعتبر نماذج للزخارف الهندسية العربية من كل صنف والتوريقات النخلية التي تحير العين ، وقد اشترك في صناعتها فنيون اندلسيون فهو ـ على هذا ـ نموذج للفن المغربي الاندلسي .

وقد أخذت المئذنة صورتها النهائية في سنة ١٢٨٩/٦٨٨ اذ أمر الأجر أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني بتبييضها وكسوتها بالجص والقاشلتي وتدعيم وصلات أحجارها وصقلها حتى أصبحت كالمرآة .

وهكذا يعتبر هذا الجامع الفريد سجلاً لتاريخ المغرب ، فقد اشتركت في بنائه جميع الدول التي تعاقبت على حكم المغرب ، حتى بنو امية الأندلسيون شاركوا في عمارته عندما نشروا سلطانهم على شمال المغرب أيام الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد ، بل بذل الفرنسيون جهوداً كبيرة في الحفاظ عليه ودراسته وتبيان نواحي امتيازه الفني ، والكثير مما كتبناه عنه هنا مستقي من دراسات الأثري الفرنسي جورج مارسيه في كتابه عن العمارة الاسلامية .

إن هذا المسجد ـ الذي بناه المولى إدريس في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني ـ أصبح بحق علماً من أعلام الحضارة

الاسلامية فهو كتاب حافل في تاريخ الفن الاسلامي ، وقد أصبح ـ منذ عنيت بتجديد بنائه فاطمة بنت محمد الفهرية ـ جامعة ، يلقي الشيوخ دروسهم عند قواعد اعمدته ، فهو ـ على هذا ـ أقدم جامعة في الدنيا ، وهذا الجامع الجليل يقف على قدم المساواة مع الجامع الأزهر ومسجد قرطبة الجامع وجامع القروان والمسجد الأموي في دمشق ، فكلها مراكز (عبادة) ومنارات عرفان ، وقد ساير جامع القرويين الزمان فتحول في أيامنا هذه الى جامعة حديثة تدرس فيها علوم الاسلام وعلوم العصر الحديث .

ويزين فاس جامع آخر يشبه جامع القرويين ولكنه يقل عنه في الحجم والشهرة والجمال ، وهو جامع الأندلس بفاس الذي يرجع الى عصر ادريس الثاني ايضاً ، فقد كان يعرف بمسجد الأشياخ ، ثم عنيت بأمره مريم بنت محمد الفهري ـ أخت فاطمة التي ذكرناها ـ فجددته وزادت فيه سنة ٨٥٩/٢٤٥ . وفي سنة ٩٦٥/٣٥٤ بنيت له مئذنة شبيهة بمئذنة جامع القرويين ، وان كانت تقل عنها رواء . وقد أخذ الجامع شكله الحالي أيام الموحدين ، فقد عني بأمره الخليفة الموحدي الرابع محمد الناصر وأمر باعادة بنائه سنة ١٢٠٤/٦٠٠ ، وقد دخلت عليه بعد ذلك زيادات وتجديدات كثيرة ، ولا يزال يعد من المعالم الكبرى في تاريخ العمارة الاسلامية المغربية .

من روائع الفن الاسلامي

اسوار القاهرة وابوابها

تعتبر القاهرة المدينة الاسلامية الوحيدة التي اقيم حولها ثلاثة اسوار على فترات تاريخية متعاقبة فقد بني السور الاول جوهر القائد والثاني امير الجيوش بدر الجمالي والثالث صلاح الدين الايوبي الذي سور القاهرة والقطائع والعسكر والفسطاط جميعا .

وكان سور القاهرة الأول مبنياً من الطوب اللبن بسمك مترين ويشكل مربعاً منتظمًا يحيط مساحة ٤٠٠ فدان وقد ضم هذا السور جميع المنشآت بالقاهرة من قصر الخليفة ودواوين الحكومة ومساكن العسكر .

وكان غرض جوهر القائد من بناء هذا السور هو حماية القاهرة من هجمات العباسيين والقرامطة .

ولم يعمر هذا السور اكثر من ثمانين حتى جاء امير الجيوش بدر الجمالي الذي انشأ سورا اخر وسع به رقعة القاهرة بعض الشيء وقد احضر ثلاثة من الاخوة من ارمينيا اسهموا في بناء هذا السور من الحجارة المنحوتة المصقولة ومثبتة في مداميك منتظمة . التي لا تزال اجزاء منها باقية حتى الان . . تشيد بعظمة العمارة الاسلامية .

وقيل أن كل اخ بني بوابة من البوابات الثلاث الرئيسية الباقية حتى الان .

اولاها باب النصر الذي انشىء في السور الحجري بين برجين مربعين تقريبا نقشت على احجارهما رسوم تمثل بعض آلات القتال وفوق الباب المرتفع ٢٣ مترا فتحت فتحة لتصب منها المواد الحارقة على العدو المهاجم وانشىء لكل برج درج يوصل الى دورين آخرين فوق الدور الارضي المصمت ويعلو مدخل الباب عتب من الصنج الحجرية المعشقة في شكل زخرفي . .

اما باب الفتوح فقد انشىء في نفس السنة وهو يختلف عن باب النصر في ان برجيه مقوسا القاعدة وقد حليت جوانب البرجين بعقدين مغلقين نحتت حجارتهما على شكل وسائد حجرية صغيرة متلاصقة وتظهر هذه الزخارف لاول مرة في القاهرة ويعتقد انها مأخوذة من العمارة المغربية .

وقد اخذت صورة هذا الباب رمزا للقاهرة الحديثة اما باب زويلة فقد انشىء مع السور الجنوبي بعد اتمام الشمالي وابوابه الاثنان وكان اكثر علوا مما هو الآن فقد هدم اعلاهما الملك المؤيد ليقيم عليهما مئذنتي مسجده . . ويسمى بوابة المتولي حيث كان يجلس في مدخله متولي حسبة القاهرة .

وكان للقاهرة ثمانية ابواب : باب النصر وباب الفتوح وباب

زويلة الذي كان له بابان بنتهما قبيلة زويلة وباب الفرج في الجهة الجنوبية .

وفي الجهة الشرقية جهة المقطم باب القراطين الذي كان يوجد بجواره سوق المواشي والاغنام وكان يجلس بجواره القراطون الذين يبيعون القرط اي البرسيم وسمي بعد ذلك بباب المحروق بسبب ما فعله ٧٠٠ مملوك اثناء هروبهم من القاهرة تاركين ديارهم عام ٦٥٢هـ وقد وجدوا هذا الباب مغلقا فاوقدوا فيه النار ، وباب البرقية الذي نسب الى جنود برقة .

اما الجهة الغربية المطلة على الخليج الكبير فقد كان فيه باب سعادة وباب القنطرة أو الجسر وقد عرف بذلك الاسم لأن جوهر بنى هناك قنطرة فوق الخليج وفي اواخر العصر الفاطمي كان حريق الفسطاط والعسكر حتى لا تقع في ايدي الفرنجة .

ثم جاء صلاح الدين الايوبي الذي اتجه الى تحصين القاهرة فبنى سورا ضخما استخدم فيه مجموعة كبيرة من اسرى الفرنجة وبناه من الحجارة وكان يقصد ان يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورا واحداً ولكن امله لم يتحقق لوفاته وكانت أهم ابواب السور باب الخوخة وباب البحر وباب الشعرية والباب الجديد وباب الصفاء . . . والفسطاط .

الجامع الأزهر

شرع جوهر الصقلي ـ قائد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله ـ في إنشاء الجامع الأزهر في ٢٤ جمادي الأولى ٣٥٩/ ٤ أبريل ٩٧٠ ، وتم تشييده وبدأت الصلاة فيه ظهر يوم من أيام رمضان ٣٦١/ يونيو ـ يوليو ٩٧٢ .

وكان حجمه إذ ذاك نصف حجمه اليوم .

ومنذ تلك الصلاة أصبح هذا المسجد جزءاً من تاريخ مصر ، موطناً مصرياً ساير ذلك التاريخ يوماً بحيث نستطيع أن نؤرخ لمصر تتبع تاريخ الأزهر ، فندر أن وقع في مصر حادث له شأن الا كانت في الازهر بدايته او منتهاه ، وإذا أنت دخلت الجامع اليوم من بابيه الكبيرين المتجاورين ـ المعروفين ببابي المزينين ـ في ميدان الأزهر وطفت بارجاء الجامع حتى تخرج من باب الجوهرية في الضلع الشمالي للجامع الذي يفتح على شارع الشنواني خلف المسجد ، فإنك تكون قد مررت بألف سنة من تاريخ مصر .

وأول ما يستوقف نظرك عدد الخلفاء والسلاطين والأمراء ومشايخ الازهر الذين حرصوا على ترميمه واصلاحه والاضافة اليه ، فهم عشرات يحتاج احصاؤ هم واحصاء ما عملوه الى مجلد كامل ، لأن هذا الجامع سجل حامل تاريخ مصر السياسي

والعلمي ، فكما تقرأ في تاريخه اسماء المعز لدين الله الفاطمي والعزيز والحاكم الفاطميين وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وسيف الدين لاجين وبرقوق وغيرهم من سلاطين المماليك ، ومحمد علي وعباس حلمي ومن اليهما من الحكام الذين تعاقبوا على حكم مصر خلال عشرة القرون الماضية ، فأنت تمر في تاريخه بأسماء نفر كبير من أقطاب التاريخ الفكري لمصر والعالم الاسلامي خلال تلك القرون .

وأول الاساتذة الذين تولوا التدريس في الأزهر هو القاضي ابو الحسن بن النعمان بن محمد المتوفي سنة ٩٨٤/٣٧٤ .

وعندما قامت دولة صلاح الدين أوقف التدريس في الأزهر ، لأن التدريس كان مرتبطاً بالمذهب الاسماعيلي الذي ابطله صلاح الدين ، عندما أعاد السُّنّية الى مكانها التقليدي في مصر ، واتجهت همته في انشاء المدارس لتقوم بتدريس الفقه السُّنيّ ، وبقي الأزهر خاملاً من الناحية العلمية حتى نهاية الدولة الأيوبية .

وستعاد الأزهر مكانته العلمية في العصر المملوكي وتحول الى جامعة حقيقية : يضم الأساتذة والمدرسين والمعيدين والطلاب ، ويجري فيه العمل العلمي على نظام علمي كامل ، ترعاه وتنفق عليه الدولة حسب نظام مقرر مرسوم ، واتسع الجامع ـ تبعاً لذلك ـ فقامت فيه الأروقة والزيادات المختلفة حتى وصل إلى

حجمه الحالي ، وهو يكاد يكون مدينة قائمة بذاتها ، فقد ضمت ملحقات الجامع التعليمية ما يشبه المدينة الجامعية الكاملة ، فهي مكونة من مبان كل منها يسمى رواقات وقد يضم مبنى الرواق الطلبة الوافدين من نواح مختلفة من مصر او من العالم الاسلامي . مثل : رواق الاكراد ، ورواق الهنود ، ورواق البغداديين ، والبريتون (القادمين من البرنو في تشاد الحالية) واليمنية ، والجَبَرْتية (جَبَرْت ناحية من نواحي الحبشة) والسنارية (نسبة الى سِنّار في السودان)، والجاوية والشوام ، والصعايدة ، والشراقوة (نسبة الى محافظة الشرقية في مصر) والفيومية والبحاروة ، والشفوانية وما الى ذلك . ولم يكن الطلاب ينامون في هذه الأروقة المنسوبة اليهم ، بل كان الرواق اشبه بسكرتارية ومكتبة لهم وخزائن لكتبهم الخاصة ؛ ولهذا نجد أيضاً رواقاً خاصاً بالحنابلة واخر للحنفية ، والمراد الطلاب الذين يدرسون فقه هذه المذهبين .

وأشهر هذه الأروقة الرواق العباسي ، وهو حديث بني في عهد خديوي مصر عباس حلمي الذي تولى الخديوية حتى سنة ١٩١٤ ، وقد افتتح في شوال ١٣١٥/١٨٩٧؛ وكان شبيهاً بإدارة عامة للأزهر فكان يضم مقراً لمجلس إدارة الأزهر ومشيخته ومكتبته وطبيبه ومحفوظاته ، وكانت فيه أيضا بعض أروقة للطلاب . ومبنى الرواق العباسي قطعة من العمارة والفن الاسلامي في أواخر العصر التركي .

اما الطلاب الغرباء فكانوا يسكنون في حارات حول الأزهر خصصت لهم وعددها ثلاث عشرة ، مثل : حارة العفيفي والزرافة والببنته والسليمانية والجيزاوية والزهار والمناصرة ، وما اليها .

وقد كان عدد عظيم ممن قاموا بالنهضة الفكرية في مصر والعالم العربي من طلاب الأزهر ، وهم كثيرون جداً ؛ عبد الرحمن الجبرتي ورفاعة رافع الطهطاوي ، وعلي مبارك ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول ، ورشيد رضا ، وعبد الله النديم ، وطه حسين ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، واحمد حسن الزيات ، وعلي عبد الرزاق ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد مصطفى المراغي .

وفي سنة ١٩٦١ دخل الأزهر في طور جديد من تاريخه ، اذ صدر القانون الذي حوله إلى جامعة حديثة تحتفظ في نفس الوقت بالدراسات التقليدية للأزهر ، وهي دراسات الاسلام واللغة العربية . وأنشئت له الكليات الحديثة وتضاعف عدد طلابه ، حتى أصبح مؤسسة دينية علمية فريدة في بابها من كل وجه .

ولا يضارع الأزهر معهد آخر في الدنيا ، في الخدمات العلمية التي قام بها منذ انشائه قبل نيف وألف سنة الى اليوم ، فقد كانت وفود الطلبة تقبل عليه اركان الدنيا كلها ، فيجاورون في الأزهر ثم يعودون الى بلادهم شيوخاً يقومون بدورهم بانشاء المعاهد

الدينية الاسلامية في بلادهم ، وحيثما نزلت في العالم الاسلامي وجدت الأزهريين ، من أقصى الفلبين الى المحيط الاطلسي وقلب افريقية . والى الأزهر يعود جانب كبير من الفضل فيما تمتعت به مصر على مر العصور كمركز من مراكز العلم والعرفان في الدنيا .

وقد كان المبنى الأول للأزهر ـ كما أنشأه جوهر ـ يتكون من مسجد لا يزيد حجمه عن نصف الجامع الحالي وملحقاته ، وكان يتكون من الصحن الحالي المكشوف الذي تحف به العقود المدببة ، وبيت الصلاة الذي يقع الى شماله ، وكانت له مجنبتان : يمنى ويسرى ، لكل منهما ثلاثة اروقة ، ثم توالت الاضافات بعد ذلك ، حتى أصبح الجامع القديم محصوراً في قلب الجامع الحالي .

والإضافات مجموعة من الأبنية ، ما بين أروقة جديدة ومدارس ومحاريب ومآذن وميضآت . وقد فقد الجامع ـ نتيجة لهذه الزيادات والتعديلات ـ هيئته الاصلية ووحدته الفنية ، ولهذا فالجامع الأزهر ـ اليوم ـ شبيه بمعرض واسع للفن الاسلامي في مصر ، من بداية العصر الفاطمي الى اليوم .

وإذا دخل الانسان من باب المزينين ـ وهو الباب الرئيسي للجامع ويقع في ميدان الأزهر ـ سار في ممر طويل ، فعلى يمينه مبنى المدرسة الأقبغاوية ، التي بناها الأمير المملوكي علاء الدين أقبغا عبد الواحد سنة ١٣٣٩/٧٤٠ في جزء من ساحة الأزهر

وجعلها ملحقة به . وهذا الأمير كان من آكبر من اهتموا بعمارة الأزهر ، فقد أنشأ لمدرسته تلك بيت صلاة وقبلة ومنارة ؛ ويقول المقريزي إن هذه المدرسة من أشد المدرس ظلاماً في داخلها لأن الأمير الذي بناها فعل ذلك بأموال اغتصبت من الناس وسخر العمال في بنائها . وكان أقبغا هذا مقدم المماليك في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد استعملت هذه المدرسة ـ الى حين قريب ـ مكتبة للأزهر .

وعلى يسار الممر يقوم مبنى المدرسة الطيبرسية القديمة ، نسبة الى الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بمصر في دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وقد بنيت قبل المدرسة الاقبغاوية في سنة ٧١٩/ ١٣١٩ ، وكان طيبرس على خلاف أقبغا اميراً صالحاً ، وقد بنى هذه المدرسة وجعلها مسجداً في نفس الوقت ، وتأنق في بنائها وأنفق مالاً جزيلاً في اتقانها وزخرفتها ، وكان مبنى هذه المدرسة من الداخل قطعة من الفن الاسلامي في أحسن صورة ، ولكنها اتخذت في سنة ١٣١٤/ ١٨٩٦ ملحقاً لكتبة الازهر فإذا فرغ الزائر من ذلك الممر بين المدرستين أفضى إلى صحن الجامع ، وهو صحن فسيح تحيط به البوائك من كل جهاته ، وهذا الصحن قبل جامع القديم ، ويليه بيت الصلاة الذي ينتهي بجدار القبلة القديم ، تليه بعد ذلك زيادة عبد الرحمن كتخدا وكان من كبار أمراء المماليك في مصر العثمانية ، فقد قام هذا الرجل في سنة ١١٦٧/١٧٥٣ بترميم مباني

الأزهر ، وأضاف اليه زيادة كبيرة شمال بيت الصلاة الأصلي ؛ وتبلغ هذه الزيادة أكثر من نصف حجم الجامع الأصلي ، وهي بيت صلاة كامل بقبلته ومحرابه يقوم على خمسين عموداً ، يقوم عليه خمسون عقداً من نفس طراز نفوذ الأزهر الأصلية ، وأنشأ في جدار الفبلة الجديد محراباً بديعاً ، ورفع قبة جميلة فوق بلاطة المحراب ، وصنع لهذه الزيادة منبراً بديع الصنع ، والى جوار المحراب يقوم محراب أصغر منه يسمى بمحراب الدردير ، ثم محراب آخر ثابت حديث الصنع . وبهذه الزيادة أصبح بيت صلاة الأزهر من أكبر بيوت الصلاة في مساجد مصر .

وأنشأ مبنى واسعاً له باب يؤدي الى حارة كتانة ، وهدا الباب هو المشهور اليوم باسم باب الصعايدة ، وهو باب فخم جميل أنشأ عبد الرحمن كتخدا بأعلاه غرفة تقوم على اعمدة رخامية خصصها لتحفيظ الصبيان القرآن ، وداخل الرحبة أقام كتخدا ضريحه وصهريجاً وسبيل ماء ، وفوق ضريحه تقوم قبة صغيرة . وأنشأ الى جانب باب الصعايدة المئذنة المنسوبة اليه ؛ وإليه يرجع الفضل في القاء الباب الرئيسي للأزهر ، وهو المعروف الآن بباب المزينين .

وللأزهر اليوم خمس مآذن مختلفة الطرز ، لأنها بنيت في عصور متفاوتة ، منها اثنان من إنشاء عبد الرحمن كتخدا ، وواحدة تنسب الى السلطان قايتباي ذات جوسقين وعمامتين ، وهي أكبر مآذن الأزهر .

وكان للجامع ثلاثة عشر محراباً ، بقي منها ستة ، أقدمها محراب ايوان القبلة القديمة عند جدار المسجد الاول . وهذه المحاريب تتفاوت في الجمال واتقان الصنعة .

وللأزهر ثلاث قباب ، أجملها واكبرها تلك التي تقوم فوق المدرسة الجوهرية الملحقة بالأزهر ، وتقوم على رقبة ذات شماسات ثم عقود مدببة مزينة من الخارج بنقوش عربية غاية في الجمال .

جامع أحمد بن طولون

يقع هذا المسجد الهائل المساحة شرق حي السيدة زينب جنوب القاهرة ، في موقع مدينة القطائع التي أنشأها أحمد بن طولون لتكون معسكراً لجنده ومقراً لحكومته . شرع ابن طولون في بناء هذا المسجد ٢٦٥/٨٧٩ ، وكان تخطيطه ـ ولا يزال ـ تخطيط حصن ، فهو مسجد حصن وله مئذنة ملوية .

وقد توالت أعمال التجديد والبناء في جامع ابن طولون ، ولكنه لا يزال محتفظاً ـ الى اليوم ـ بهيئته الأصلية ، سواء في هيكله العام أو تفاصيله المعمارية . وهو قائم على تل مرتفع ، فلا يوصل اليه إلا بواسطة سلم ، والمسجد مربع مقاييسه ١٦٢,٥×١٦١,٥ متراً ، أي أن مساحة ٢٦١٤٣ متراً مربعاً تقريباً ، فهو ـ على هذا ـ من أضخم المساجد في عالم الاسلام ؛ وفي وسطه صحن مكشوف تربيعه ٩٢,٥×٩١,٨٠ متراً .

وجوف بيت الصلاة يتكون من خمسة أساكيب تقوم على عقود مدببة من الحجر والآجر ، ترتكز على دعائم ضخمة من الآجر ، وعدد أروقفته ـ أي بلاطاته ـ الشارعة من الصحن إلى جدار القبلة ١٧ ، كلها على نفس النسق مما يعطي بيت صلاة المسجد جمالاً فريداً . وقد أقيمت في أركان الدعائم أعمدة زخرفية محلاة بالزخارف ، وغطيت العقود بزخارف جصية متنوعة ، ويدور بجدران بيت الصلاة إزار خشبي ، نقشت عليه بالخط الكوفي البارز سورتا البقرة وآل عمران . والجدران الداخلية للمسجد محلاة بشبابيك ذات عقود مدببة عددها ١٢٩ مغطاة بالجص المزين بالنقوش من كل نوع .

والمسجد متعدد المحاريب ، وعدد محاريب جامع ابن طولون خمسة ، اكبرها وأهمها الأوسط وهو محراب مجوف عمل أيام لسلطان المملوكي سيف الدين لاجين ، وهو مزخرف بالفسيفساء الزجاجية والمذهبة الملونة وقد نقشت بينها الشهادتان . وطاقية المحراب ـ أي أعلاه ـ مصنوعة من الخشب المزين بالزخارف الملونة ؛ أما بقية المحاريب فمسطحة .

وصحن المسجد الفسيح يملأ النفس اجلالاً ، فهو شاسع رفيع الجدران تطل عليه البوائك من كل ناحية ، إذ يحيط به بيت الصلاة ، ومجنبتان يسري ويمنى كل منهما من رواقين ، ومجنبته الخلفية من رواقين ايضاً ، فمتوسط الصحن قبة كبيرة تشوب

بوضعها جمال الصحن الفسيح ، وقد نشئت هذه القبة مرة بعد مرة ، والقبة الحالية ـ التي تقوم على بناء مربع نشأها السلطان سيف الدين لاجين سنة ١٢٩٧/٦٩٦ .

أما مئذنة الجامع فهي الثانية من طرازها في العالم فهي ذات مصعد خارجي يدور حول بدنها حتى أعلاها ، وهي توأمة مئذنة مسجد سامر الجامع ، وتقوم غرب الجامع مستقلة عنه ، ويدور بها المصعد الحلزوني الذي ذكرناه ، وهي تتكون من أربع طبقات ، الأولى مربعة ، والثانية مثمنة ، والثالثة مثمنة والرابعة على نفس الهيئة تعلوها قبة صغيرة .

وأهم ما يميز هذا المسجد هيئته المربعة وتماثل اجزائه ، فإن الناظر الى جدرانه تستوقف نظره صفوف الشبابيك المتراصة تعلوها الشرافات الجميلة التي تكون إفريزاً جميلاً للسقف الكبير .

بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسم الله

الجامع العتيق باسنا

إسنا مدينة مصرية قديمة بالصعيد الأعلى ، ذكرها جويتية فقال ، ان اسمها المقدس (Hat Khno Umou) معناها الإله خنومو وهي ترمز للسماء وكذلك في العصر الفاطمي قاعدة كورة إسنا وفي العصر المملوكي كانت من أعمال ولاية جرجا . وفي

سنة ١٨٣٣ أصبحت إسنا قاعدة مأمورية قائمة بذاتها ، وكانت هذه المأمورية تضم أحياناً الى قنا ويتكون منهما مديرية واحدة . وفي سنة ١٨٦٨ فصلت إسنا عن قنا وأصبحت مديرية إسنا ، وكانت تتكون من أربعة أقسام وهي إسنا وأدفو والكنوز وحلفا . ولما ظهرت أخطار الثورة المهدية في السودان أُالغيت مديرية إسنا وأضيفت الى مديرية قنا وكان ذلك سنة ١٨٨٨ م .

كانت اسنا ولا تزال مدينة عظيمة بلغ عدد منازلها في القرن (١٤) ثلاثة عشر الف منزل مبنية بالاجر ، وكان بها سبعون حارة كبيرة . وكان بها ثلاثمائة وسبعون فدانا مغروسة نخيلا وكرما وقصبا قال الادفوي : انه كان يتحصل سنويا من اسنا اربعون الف اروقصبا قال الادفوي : انه كان يتحصل سنويا من اسنا اربعون الف اردب تمر واثنا عشر الف اردب زبيبا . وكان بها كثير من المتاجر والحوانيت والحانات ترد اليها البضائع من القاهرة والاقاليم القبلية واهمها الاقمشة ، كالبرد والاردية المسماة الشقق الخاصة بالرجال والنساء ، وكان بها كثير من الحرف كصناعة المنسوجات الصوفية السميكة المعروبة (بالكليم) وصناعة المقاطف ونحوها مما يصنع من سعف النخيل . كذلك ف كان يرد الى اسنا القوافل الاتية من منار تحمل اليها الحاصلات السودانية كما كانت تشتهر بابراج الحمام .

ومن الاحداث التاريخية الهامة التي وقعت باسنا وذكرها ابن

ثغري بردي ، خروج ابن الصوفي العلوي بالصعيد ودخوله اسنا سنة ٢٥٥هـ فنهبها وقتل اهلها . وكان الوالي على مصر في ذلك الوقت هو احمد بن طولون ، فبعث اليه بجيش التقى مع ابن الصوفي في ناحية (هو) فانهزم جيش ابن طولون ، فارسل اليه جيشا آخر فالتقيا باخميم وانهزم ابن الصوفي وفر الى اسوان ثم الى مكة .

ويقيم باسنا عدد غير قليل من الاقباط ، ولذلك فاننا نجد بها الكثير من الكنائس والاديرة ولعل إهمها دير وكنيسة منعزلان عنها ومن الجهة القبلية-، وتعرف الكنيسة بمقتلة النصارى نسبة لاستشهاد كثير منهم بها في العصر الروماني ، كما ان ديرها كان من اشهر اديرة الصعيد الاعلى .

وبالمدينة كثير من المساجد الجامعة اقدمها الجامع العمري الكبير الذي يحتوي على لوحة تاسيسية منقوش عليها اسم بدر الجمالي سنة ٤٧٠هـ في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي .

ومن المساجد الهامة هناك ، جامع الضوى نسبة الى الشيخ الضوى المدفون بقبة متصلة بالجامع . وكان باسنا كثير من البيوتات المعروفة بالاصالة والرياسة والفضل حتى قيل انه كان بها في وقت واحد سبعون شاعرا ، وخرج منها جمع كبير من اهل العلم والأدب . ومن بيوتها العريقة بنو السديد وبنو الخطيب وبنو أشواق وبنو النضر ، فقد تولى معظم أعضائها مراكز رئيسية وهم

الذين بنوا جامع الخطبة سنة ٤٢٠ هـ ، ثم أضافوا اليه زيادة سنة ٤٩٥ هـ ، وإن كانت يد الاصلاح والتعمير قد توالت عليه فلم تترك للمبنى القديم . وكان المذهب الشيعي منتشراً باسناً حتى العصر المملوكي ، وقد استطاع الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي عندما وفد اليها أن يخفف من حدة التشيع .

الجامع العتيق

ومن اهم مساجد اسنا الجامع العتيق ويعرف كذلك باسم الجامع العمري ، وهذه التسمية الاخيرة تكاد تطلق على اقدم مسجد في كل اقليم او منطقة من مناطق مصر وذلك نسبة الى ان جامع عمرو بن العاص هو اول مسجد انشىء في مصر الاسلامية .

يرجع تاريخ هذا المسجد الى العصر الفاطمي ، وقد تهدم المسجد القديم وجدد عدة مرات فتغيرت معالمه الاصلية ولم يبق منه غير المئذنة التي تقع في الركن القبلي من الواجهة الغربية للمسجد . وقد طرأ على قاعدتها بعض التغير اثناء العمارة التي اجريت للباب الغربي سنة ١٢٩٥هـ . وعلى قاعدة المئذنة مزولة من عمل خليل افندي ابراهيم مهندس الخريطة الفلكية سنة ١٢٨٧هـ . وقد ثبت على يمين المحراب لوح من الرخام مقاسه ٢٩×٥٨ سم مكتوب عليه بالخط الكوفي « بسم الله الرحمن الرحيم انما بعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام

الصلاة واتى الزكاة ولم يخشى الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين . صلوات الله وبركاته على مولانا وسيدنا الامام المستنصر بالله امير المؤمنين وعلى آبائه الطاهـرين وابنائـه الاكرمين . امر بعمارة هذا الجامع المبارك السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام ابو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته . وأعلى كلمته القاضي أبا الحسن علي إبن أحمد بن محمد بن النضر فأسس في النصف من ذي الحجة سنة تسع وستين وأربع مائة وسقف في النصف من شهر ربيع أول سنة سبعين وأربع مائة وفقه الله لمرضاته واعانة على طاعته كما يصرف اهتمامه الى عمارته .

وقد احتوى النص التذكاري اسم (ابن النضر) على اعتبار انه قام بعملية التعمير من قبل بدر الجمالي ، ويحدثنا الادفوى عن بني النضر فيقول « وبنوا جامع الخطبة باسنا بعد العشرين واربعمائة » ويضيف على ذلك فيقول « وبنى الزيادة التي فيه على بن محمد منهم « اي من بنى النضر كذلك » في سنة تسع وخمسين واربعمائة ، وكان ذلك ناظر الاجباش بالأعمال القوصية » .

يتبين لنا من هذا النص الاخير ان الذي عمر هذا الجامع هم بنو النضر سنة ٤٢٠هـ ثم زادوا في عمارته سنة ٤٥٩هـ ، وليس بدر الجمالي كما يقول حسن عبد الوهاب ، ولكن من المرجح ان يكون بدر الجمالي قد اعاد بعض اجزائه كما هو ثابت في اللوحة

التاسيسية وتصادف كذلك ان كان منفذ امر بدر الجمالي في عمارة المسجد هو على بن النضر .

وتعتبر مئذنة جامع اسنا من اقدم المآذن المؤرخة في مصر الاسلامية ، وعلى غرارها انشئت مآذن الوجه القبلي ، كما بقيت اللوحة التذكارية لانشائها وهي مثبتة على يسار المحراب مكتوبة بالخط الكوفي نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين هذا مما امر بانشاء هذه المئذنة الاجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة تاج المعالي ذو العز بن حسام امير المؤمنين ابو منصور سارتكين الجيوشي نصرة الله وظفرة ووفقة واحسن عونه في شهور سنة اربع وسبعين واربعمائة ، ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الاخرة والامن من عقابه رحمة الله تعالى وحشره مع مواليه الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ورحم من ترحم عليهم آمين يا رب العالمين »■

مسجد ابي الحجاج الاقصري

عرف الصعيد المصري في القرن السابع الهجري السيد يوسف بن عبد الرحيم ابن غزى المشهور بابي الحجاج الاقصري

المتوفي سنة ٦٤٢هـ ـ ١٢٤٤ ميلادية علما من اعلام التصوف وشيخا من شيوخ التربية الروحية الذي تخرج على يديه الالاف من ابناء الصعيد ومسجده الذي يحتل الجانب الشرقي من معبد امون بالاقصر يعتبر من اهم المساجد الاثرية في مصر فقد شيد على انقاض كنيسة كانت قد انشات في هذا المكان في اوائل عصور المسيحية وقد ذكر ابو جعفر الادفوي في الطالع الصعيد ان الذي بنا الضريح الذي على الشيخ الاقصري هو ميلادية لكن المنار الاثرية التي تقع بالجهة البحرية من هذا الضريح قد اختلف المؤرخون وعلماء الاثار فيمن بناها .

فالاثري البريطاني المستر كريزول يقول في مؤلفه ان هذه المنارة قد بنيت في عصر بدر الجمالي الوزير الفاطمي المتوفي سنة ٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ ميلادية وأردف قائلاً أنها فاطمية الطراز وتشبه الى حد كبير منارة الجيوش بالقاهرة والراجح أن هذه المنارة وأن كانت فاطمية الطراز إلا أنها لم تشيّد في عصر بدر الجمالي .

من هذا القول نستطيع ان نقول ان المآذن والمنارات التي في مدن الصعيد كاسنا والاقصر وقوص من عمل الامير الافرم وهي متشابهة من حيث التصميم والبناء ومما يؤكد لنا هذا القول بالنسبة لمنارة أبي الحجاج الاقصري بصفة خاصة هو انه احد احفاد ابي الحجاج وهو الولي الصالح يوسف احمد النجم كان قد رحل الى مصر المحروسة لزيارة جده الامام الحسين في زمن الملك

العادل زين الدين كتبغا فسمع به الامير الافرم هذا وكان محبا للعلماء والصالحين فاجتمع به واكرم وفادته وبني له جامعا بباب البحر واوقف عليه اوقافا كثيرة واكرم اولاده بالاقصر وكان من ماثر كرمه ان اصلح مسجد ابي الحجاج فانشأ به هذه المنارة الخالدة .

وقد وصف المؤرخ البريطاني المستر كريزول هذه المنارة قائلا انها مبنية من الطوب اللبن ومقواة بدعائم خشبية موضوعة على كل جانبية في مستويات ثلاث وقد بنيت قنطرتها من الطوب الاجر وسلمها عرضه ٧٥سم .

وقد زار هذا الاثر الاسلامي الكثير من الامراء والسلاطين في مختلف العصور وعدد من المؤرخين والرحالة العرب كابن بطوطة والادفوي وشهاب الدين الفلقسندي والعالم النجوي مرتضى الزبيري . وقد شملت يد الاصلاح هذا المسجد على تباين العصور ففي عهد الخديو عباس حلمي الثاني الذي حكم مصر سنة ١٨٩٣ هـ - ١٩١٤ م جدد عمارة هذا المسجد وأنشأ به المئذنة الحالية التي تقع بالجانب الغربي من ضريح الشيخ وقد اتجهت أنظار علماء الآثار المصريين في العصور السابقة الى هدم هذا المسجد الأثري لتسنى لهم الكشف عن بقية أثار معبد آمون بالأقصر . ففي سنة سبعة قرون متعاقبة ١٩٤٨ أنشيء مسجد على الطراز الأندلسي يحمل اسم أبي الحجاج كان الغرض من

انشائه هو نقل جثمان الشيخ اليه بغية التنقيب عن الاثار المصرية لكن هذه المحاولة باءت بالفشل وفي عصرنا الحالي يتوالى عليه الاصلاح .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان يظل هذا المسجد رابضا فوق اطلال معبد امون بالاقصر رغم تلك الجهود التي بذلت في العهود السابقة نحو هدمه ولئن وصف بانه مسجد متواضع من الناحيتين الفنية والمعمارية الا انه يمثل في هذا المكان الوحدانية على مدى

وعلى اثر ذلك اكتسب هذا المسجد بدلالته التاريخية هذه شهرة واسعة النطاق في مختلف العواصم الاوربية حتى ان السائحين الاجانب الذين يفدون الى الاقصر لزيارة معالمها الاثرية يزورون هذا الاثر الاسلامي الخالد ويلتقطون لانفسهم صورا تذكارية بالقرب منه .

جامع الرصد

بجبل الرصد
أو اسطبل عنتر
جنوب مصر القديمة

كان لعلم النجوم اثر كبير في توجيه سياسة بعض خلفاء الدولة الاسلامية الذين كانوا يعتمدون على التنجيم في تنفيذ سياستهم ، فقد اعتمد ابو جعفر المنصور على النجوم في تاسيس

مدينة بغداد بعد ان استشار منجمه ابا سهل بن نوبخت . كما احتار الاسماعيلية ابن حوشب لرياسة دعوتهم في بلاد اليمن لانهم عرفوا عن طريق النجوم انه سيكون له شأن في نشر هذه الدعوة في تلك البلاد . وكذلك حذا الفواطم حذو العباسيين في الاعتماد على التنجيم فقد ذكر ابن دقماق أن مدينة القاهرة سميت بهذا الاسم لأن أساسها شق على طلوع كوكب المريخ الذي يسمى (القاهر) .

ومهما يكن من الامر فاننا لسنا في مجال التحقيق او الاستقراء ، ولكن الذي نستطيع ان نقول به ونؤكده ، هو ان الفاطميين اهتموا بالنجوم ورصدها واستدعوا لذلك الكثير من المنجمين . فعندما دخل المعز لدين الله مصر قدم معه منجمه محمد بن عبد الله بن محمد العتقي ورفع العزيز بالله المنجم ابا عبد الله بن القلانسي الى ان توفي سنة ٣٨٦هـ . وأنشأ الحاكم بالمقطم منزلا يرصد فيه النجوم وعمل له منجمه ابو الحسن علي بن يونس الزيج الحاكمي في أربعة مجلدات .

وصف الجامع

نستفيد مما تقدم أن الخليفة الحاكم بأمر الله قد بنى مرصدا على سفح جبل المقطم ، ومن المرجح ان يكون الجرف الذي بنى عليه الحاكم مرصده قد اصبح كما يفهم ذلك من رواية المقريزي عن جامع الفيلة اذ يقول : جامع فيلة يقع بسطح الجرف المطل على

بركة الحبش المعروف الان بالرصد . وقد بنى هذا الجامع الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر يعرف منذ ذلك الوقت باسم جبل المرصد الجمالي في شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار .

ويكمل المقريزي تاريخ بناء الجامع فيقول : ولما كمل بناء الجامع قام في خطابته الشريف الزكي امين الدولة وابو جعفر محمد بن هبة الله الحسيني ، الذي ولي قضاء عسقلان وغيرها ثم قدم الى مصر فولى الحكم بالمحلة وولى ديوان الاحباش وكان احد الاعيان الادباء العارفين بالنسب ومن المجيدين و والنحاة اللغويين . ولد بطرابلس الشام سنة ٤٦٢هـ وقدم الى القاهرة سنة ٥٠١هـ ومدح الافضل شاهنشاه فرشح للنقابة بمصر ولم ينلها مع تطلعه اليها ، فلما عينه الافضل في خطابة جامع الفيلة عز عليه ان يكون هذا جزاءه ، فلما رقى المنبر لاول خطبة تلقى في هذا الجامع ارتج عليه فلم يدر ما يقول وكان هناك الشيخ ابو القاسم علي بن منجب ابن الصيرفي في الكاتب وولده مختص الدولة وغيرهما من وجوه الدولة ، فلما اضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف الزكي الى داره فاعتل وبقي مريضا حتى مات سنة ٥١٧هـ .

ولعل في اهتمام الافضل شاهنشاه بعلم الفلك ورغبته القوية في عمل زيج يفوق الزيج الحاكمي مما يؤ يد ما رجحناه من أنه قد

أقام مسجد الرصد مكان مرصد الحاكم بأمر الله . فقد ذكر المقريزي ، انه عمل للافضل مائة تقويم لاستقبال سنة ٥٠٠هـ فوجد بينها اختلافا كثيرا فانكر ذلك ، فلما كان غره سنة ٥١٣ سألهم عن السبب في الاختلاف بين التقاويم فقالوا : الشامي يحسب ويعمل على رأي الزيج الماموني ، ونحن نعمل على رأي الزيج الحاكمي لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت ، ثم اشاروا عليه بعمل رصد مستجد . فنشط في اقامة المرصد وساعده جميع المهندسين وعلماء االحساب والتنجيم الى ان قتل الافضل سنة ٥١٥هـ وولى الوزارة المامون البطائحي فأحب ان يتم هذا الرصد على ان يعرف بالرصد المأموني المصحح واستمر العمل الى ان قتل الوزير البطائحي سنة ٥١٨ فوقف العمل به .

واود قبل ان اختم الكلام عن مسجد الرصد ان اذكر اهمية الرصد بالنسبة للدولة الفاطمية من الناحية الدينية . فمن المعروف ان من المسائل الفرعية التي يختلف فيها الشيعة الاسماعيلية عن مذهب اهل السنة هو ابتداء شهر الصوم ، بينما يذهب جمهور اهل السنة الى ضرورة رؤ ية الهلال لبداية الصوم فقد لجأ الفاطميون الى الفلك والحساب فعملوا تقويما قمريا يحسبون بمقتضاه سير القمر ويقدرون منازله حتى يعرفوا ان هلال رمضان قد اهل حقا . كذلك فسروا قول النبي الكريم « صوموا لرؤ يته وافطروا لرؤ يته انها رؤ ية استبصار ولا رؤ ية ابصار » . □

من روائع الفن الاسلامي

الاسواق والوكالات

تعد اسواق مصر من اشهر الاسواق العالمية فقد كانت تعتبر ملتقى تجارة الشرق والغرب واستمر ازدهار هذه الاسواق بعد الفتح الاسلامي وانشاء مدينة الفسطاط والقطائع والعسكر ثم القاهرة الفاطمية . . حتى العصر العثماني .

وكان استمرار عمران القاهرة في ازدياد داخل اسوارها وخارجها فاقيمت المباني الفخمة والاسواق الكبيرة والدكاكين التجارية المتعددة التي كانت ملكا خاصا للخلفاء والامراء حكام مصر .

وكانوا يفخرون اذا شيدوا وكالة او سوقا يعود عليهم من ايجارها بالمال الوفير . . وكان يتراوح ايجار الغرفة او الدكان بين دينارين وعشرة دنانير في الشهر . .

وكان بالقاهرة القديمة اكثر من خمسين سوقا . . تسقف بالحصير او الخشب وتطل عليها النوافذ والمشربيات .

ومن اشهر الاسواق التي ذكرها المقريزي سوق القصبة وكانت اعظم اسواق مصر في عصره ، فقد احتوت على اثني عشر الف

دكان حيث امتدت السوق من حي الحسينية الى المشهد النفيس .

كانت هذه الدكاكين تغص بانواع المآكل والمشارب والامتعة التي تبهج رؤيتها النفس .

وقد تفرعت على هذه الاسواق اسواق صغيرة اخرى اهمها سوق باب الفتوح وسوق حارة برجوان وسوق الشماعين وسوق الدجاجين وسوق بين القصرين ومن الاسواق المشهورة سوق السلاح وكان يمتد بين جامع ومدرسة الظاهر بيبرس وبين باب قصر بشتاك وقد جددت بعد الدولة الفاطمية وجعلت لبيع انواع والات السلاح .

كما كان سوق باب الزهومة وسوق اللحميين وسوق الجوخيين وسوق الحلاويين وسويقة امير الجيوش وسوق الصنادقيين والحريريين والعنبريين والخراطين والقرابين والنحاسين وغير ذلك من السويقات العديدة مشهورة في جميع مشارق ومغارب العالم الاسلامي حيث كان ياتي لها التجارة من الهند والصين وايران والعراق والشام وتركيا والمغرب وايطاليا واليونان واسبانيا

وكان امراء المماليك يفاخرون بما يشيدون من وكالات واسواق وهكذا سار المعمار في العصر العثماني على نهج المعمار المملوكي في بناء الوكالات من حيث وجود صحن اوسط كبير

مكشوف تحيط به بوائك تؤدي لحواصل تخزين البضائع تعلوها حجرات لعرض البضائع ويعلوها طابق اخر لمعيشة التجار فترة اقامتهم بالوكالة .

ولم تتعد الوكالات القاهرة الفاطمية القديمة فجميعها موجود بحي الازهر وبين القصريين والخرنفش والدرب الاصفر وباب النصر وكلها مناطق متقاربة وهي نفس الاماكن التي بها كثير من الوكالات القديمة التي ازدهرت في العصر المملوكي مثل وكالة قوصون ووكالة قايتباي ووكالة الغوري بالتبليطة التي تستعمل حاليا مركزا ثقافيا وفنيا هاما .

واستمر تشييد الوكالات في هذه المناطق ما عدا وكالة سليمان باشا ببولاق ووكالة وقف التونجي بالصليبية وبالرغم من ذلك احتفظت القاهرة القديمة باسواقها ووكالاتها وكيانها كحي المال والتجارة .

وفي عام ٩٠٣هـ امر والي القاهرة بان ينادي باسم السلطان بان سكان الاسواق والوكالات والحارات يعملون عليها دوربا وبوابات وذلك منعا لتعدد حوادث السرقة وعين عليها البوابين والحراس وكانت تغلق عقب صلاة العشاء وبعضها كان يغلق عقب الغروب .

بقي من هذه الدروب والبوابات ما هو موجود على سوق تحت

الربع وعلى سوق احمد بن طولون وعلى سوق امير الجيوش .

وحينما كانت تقع اضطرابات او قلاقل كانت تغلق ابواب الدروب . . وبقيت تلك الابواب فترة طويلة تؤدي وظيفتها حتى القرن التاسع عشر .

وكان في القاهرة الكثير من مباني الاسواق والوكالات ذات المباني الرائعة التي كتب عنها المؤرخون . . لقد كانت القاهرة مدينة رائعة الجمال فخمة البناء جميلة العمارة متجانسة في طرزها وزخارفها الاسلامية

من روائع الفن الاسلامي

مسجد الصالح طلائع

انشأ هذا الجامع ابو الغاوات الملقب بالملك الصالح طلائع ابن رزيك عام ٤٩٥هـ على رأس تقاطع شارع الدرب الأحمر امام باب زويطة ، وكان الملك الصالح وزيرا للفائز بنصر الله الخليفة الفاطمي ويعتبر اخر جامع انشىء في عهد الدولة الفاطمية .

وقد شيد هذا الجامع خصيصا لتدفن فيه راس الحسين بن علي رضي الله عنه ولكن الخليفة الفائز اصر على دفنها داخل القصور الزاهرة حيث المشهد الحسيني الان .

ويعتبر جامع الصالح طلائع من المساجد المعلقة لإرتفاعه عن مستوى الشارع بحوالي اربعة امتار فوق مجموعة من الدكاكين اسفل ثلاثة من واجهاته الحجرية ، ويقع الباب الرئيسي للجامع في وسط الواجهة الرابعة الغربية .. التي تعد اجملها .. ولا سيما من ناحية التصميم .

وقد اقيم امامه رواق محمول على اربعة عمد رخامية جليت عقودها بزخارف جميلة وقد حلى صدر الرواق وجانباه بزخارف على شكل مروحة نقشت بافاريزه آيات قرآنية كتبت بالخط الكوفي المزهر .

وكان للجامع باب خشبي من مصراعين صفح وجهاها بالنحاس المزخرف اما ظهر المصراعين فمن الخشب المحفور بزخارف فاطمية .

يتكون من الداخل من اربعة اواوين بتوسطها صحن فسيح به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج عند باب الخرق « باب الخلق » .

ايوان القبلة يتكون من ثلاثة أروقة ويتكون كل من الاواوين الثلاثة الاخرى من رواق واحد وعقود هذه الاروقة محمولة على عمد رخامية .

ويمتاز محراب الجامع ببساطته وحيط به عمودان من الرخام الاحمر والى يمين المحراب منبر رائع دقت حشواته بالاويمة الدقيقة

المتقنة الصنع بامر الامير كندار عام ٦٩٩هـ وكان قد جدد مئذنته عقب سقوطها بسبب الزلزال .

بالجامع بعض بقايا الزخارف الجصية والاخشاب المنقوشة بزخارف هندسية يشيع فيها مجموعة كبيرة من الكتابات الكوفية المزهرة التي تدل على مدى ما وصل اليه فن الزخرفة من رقي في العصر الفاطمي .

كما تمثل الصرر الزخرفية المستدير أهم العناصر الزخرفية بهذا الجامع التي تنتشر في أرجائه .

وكان الصالح طلائع شاعرا تقيا وسياسيا حكيما ارمني الاصل . . ومات ضحية نساء القصر اللاتي ارسلن اليه بعض الرجال فكمنوا له في دهاليز القصر وضربوه حتى سقط مغشيا عليه وحمل جريحا .

وكان آخر ما فاه به ندمه على انه لم يستخلص بيت المقدس من ايدي الفرنجة ونصح ابنه ان يحذر « شاور » حاكم الوجه القبلي من دخول ملك بيت المقدس البلاد المصرية التي حدثت فعلا بعد ذلك باعوام .

مسجد ساهرا الجامع

بدأ الخليفة المعتصم بالله (٨٣٣ ـ ٨٤٢) في إنشاء سامرا سنة ٨٣٦ ، ولم يكن يريدها ان تكون مدينة ملكية كما فعل عبد الرحمن الناصر عندما نشأ مدينة الزهراء ، وانما اراد أن تكون

معسكراً يؤ وى جنده التركي ويبعدهم عن بغداد بعد أن ضاقت بهم وآذوا سكانها . فكل مبانيها لا تمتاز بجمال او أناقة ، وإنما تمتاز بالضخامة والمتانة حتى تتحمل الأعداد الضخمة من الجنود والحرس ، ولم يبق من المدينة الآن أطلال بالية ، والكلام كله قائم على استنتاجات بنت على ما كشف من بقايا أساسات المباني .

هذا ينطبق على ما كشفت آثاره من مباني سر من رأي ، مثل الجوسق الخاقاني الذي بناه الخليفة لسكناه ، وقصر بلكوارا الذي بني لسكنى أحد بلاد المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١)، اما مسجد سامرا الجامع الذي بناه المتوكل ،وهو دون شك أوسع ما بنى المسلمون من مساجد ، وقد بقيت أجزاء من جدرانه التي تشبه أسوار الحصون ، وبقيت مئذنة ذات المصعد اللولبي الخارجي التي تذكر الانسان بفكرة برج بابل . المسجد كله مبني بالآجر (الطوب المحروق) ويبلغ سمك الجدار أكثر من مترين ونصف متر ، تؤ يده ـ على مسافات متساوية ـ دعامات خارجية نصف دائرية يزيد قطر الواحدة منها عن ٣,٥ امتار ، وتبعد الواحدة عن الاخرى ١٥ متراً وتقوم أربع منها عند الأركان .

والمسجد مستطيل ، مقاييسه ١٥٦×٢٤٠ متراً ، أي أن مساحته كانت ٣٧٤٤ متراً . ويذكر المؤ رخون انه أضيفت إليه فيها بعد زيادات جعلت مقاييسه ٣٧٦×٤٤٤ متراً ، أي أن

مساحته بزيادته بلغت ١٦٧,٩٤٤ متراً اي اضيف الأربعين فداناً ، وهذه مساحة مدينة صغيرة لا مجرد مسجد جامع .

وكان جوف (عمق) بيت الصلاة ٦٢ متراً ، يتألف من تسعة أساكيب تقوم على تسعة صفوف من الدعامات ، في كل صف ٢٤ دعامة . وكانت تلك الدعامات مبنية بالآجر ، وضلع الدعامة الواحدة متران وارتفاعها عشرة أمتار ونصف . وكانت تحيط بالصحن مجنبات في الجهات الثلاثة يتألف كل منها من ثلاثة اروقة . وكان للمسجد ١٦ باباً . أما مئذنته ـ المعروفة بالملوية ـ فكانت تقوم على قاعدة مربعة ضلعها ٣٣ متراً ، ويبلغ ارتفاعها في الجو ٥٠ متراً فوق القاعدة المربعة ، أي أن ارتفاعها يعدل ارتفاع بيت حديث عن عشرين دوراً على وجه التقريب .

جامع الكُتُبِيَّة في مراكش

تعتبر مراكش ، درة المدن الاسلامية في أفريقيا من أجمل مدن الاسلام بل مدن الدنيا على الاطلاق ، وهي تمتاز بمساجدها ومدارسها وروضاتها الأثرية ثم القطع الباقية من أسوارها القديمة ، ولكن درتها الكبرى هي مسجد الكتيبة الذي يكاد يكون مدرسة للفن أو متحفا للابتكار المعماري جمع كل عجيبة .

هذا الجامع من إنشاء عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين ، شرع في بنائه سنة ٥٤٨/ ١١٥٣ ، أي في نفس

الوقت الذي أنشىء فيه جامع تينملل ، وهو ثالث الآثار المعمارية الموحدية الكبرى ، بعد تينملل ورباط تازا الذي أنشىء سنة ١١٣٣/٥٢٧ .

وجامع الكتيبة فسيح مستطيل الشكل ، وبيت الصلاة من اوسع بيوت الصلاة التي نعرفها ، وقد كانت اروقته في الأصل تسعة عمودية على جدار المحراب ، والرواق الأوسط ـ أو البلاطة الوسطى ، او رواق المحراب ـ آية في الروعة والجمال ، فان عقوده ـ كبقية عقود الجامع ـ تقوم على دعائم حجـرية ، والعقد على هيئة حذوة الفرس مع تدبيب في أعلاها وانتفاخ في جانبيها ، وهي ـ على هذا ـ ت نموذج للعقود الموحدية في كل بلد من بلاد المغرب .

وفوق رواق المحراب ست قباب صغيرة ، وكذلك نجد فوق أسكوب جدار المحراب خمس قباب ، وكل هذه مزينة في داخلها بالمقرنصات والزخارف من كل نوع .

وأجمل ما يمتاز به جامع الكتيبة مئذنته ، وهي اروع مآذن المساجد الباقية ، ارتفاعها في الجو ٦٧,٥ مترا أي ارتفاع بيت من ٢٠ طابقا ، ومركزها أو قاعدتها بناء ضخم من ستة طوابق فيها غرف كثيرة ، حتى اذا وصلنا إلى شرفة الأذان ـ أو بيت المؤذن ـ انطلقت بقية المئذنة مستقيمة ، وجدرانها كلها مغطاة بأفاريز متوالية من الزخارف التي تحيرّ الألباب ، والنوافذ ذات

عقود من كل صنف ، منسقة على هيئة تتمشى مع السلم الداخلي الذي يصل الى أعلى هذه المئذنة .

مسجد سيدي عقبة .

يعتبر هذا المسجد أقدم مساجد المغرب بعد مسجد القيروان ، ويعتقد أنه نشأ أول الأمر ضريحاً ـ أو روضة ـ في الموضع الذي استشهد فيه عقبة الصحابي الفاتح العظيم .

والمكان الذي استشهد فيه عقبة مع أصحابه هو قرية تهودة ، والزمان سنة ٦٣ هجرية ، وتهودة تقع الى الجنوب قليلاً من بسكْرةَ في الجزائر الحالية . ويقوم المسجد في سهل فسيح قليل السكان غير بعيد من مجرى نهر صغير يسمى وادي الأبيوض ، ولا شك أن المسجد قد تناولته يد الترميم مرة بعد مرة قبل أن يصل الى شكله الحالي ، ولكنه ما زال محتفظاً بهيئته البسيطة التي ترجع الى عصوره الأولى .

والمسجد يقوم في واحة صغيرة تحمل اسم سيدي عقبة ، وهو يضم روضة صغيرة للمجاهد العظيم ، وبيت صلاة ذا أروقة فسيحة تقوم فوقها عقود مستديرة ترتفع على دعائم صغيرة من الآجر ، وكل الاعمدة والعقود في غاية من البساطة ما عدا عقود عقود رواق المحراب فهي مزينة بعض الشيء ، والمحراب بسيط مجوف مزخرف بطريقة بسيطة جدا لا تكلف فيها . وللجامع صحن مستطيل تحيط به البوائك . ورغم أن المعماري الذي

أنشأ المسجد في صورته الأخيرة تلك لم يتكلف أي زينة ، إلا أن المسجد ـ مع ذلك ـ يبهر الانسان بما يفيض فيه من النور ، وبعض أروقة قاعة الصلاة لا تكاد تتسع إلا لاثنين من المصلين ، ولكن مجنبات الصحن فسيحة رائعة يشعر الانسان اذا جلس فيها بفيض من الايمان يملأ نفسه .

وروضة عقبة ـ في الحقيقة ـ روضتان ، ففهيا أيضا دفن فرسه الخالد الذي دخل به إلى صدره في ماء المحيط الأطلسي ، وأشهد الله على أنه وصل براية الاسلام إلى آخر المعمور .

ومئذنة جامع سيدي عقبة شبيهة ببرج متوسط الارتفاع ، ولكنه غريب في هيئته . ويظهر بوضوح أن المعماري البسيط الذي أنشأها بذل اقصى جهده في الوصول بمعلوماته المعمارية البسيطة الى أقصاها ، فوفق في هذا توفيقا كبيرا .

مسجد المرابطين في مدينة الجزائر .

أمر ببناء هذا المسجد الجميل يوسف بن تاشفين أول أمراء المرابطين ، ويرجح أن الشروع في إنشائه كان سنة ١٠٧٢/٤٧٥ وقد أعيد ترميم هذا الجامع مراراً عديدة على طول تاريخه ، وإذا كان بعض زخارفه يرجع إلى عصور متأخرة فإن هيكله العام وأجزاءه الرئيسية ترجع إلى العصر المرابطي وهو من أجمل عمائر هذا العصر .

وبيت صلاة هذا الجامع يتألف من احدى عشرة بلاطة وخمسة أساكيب ، وتحيط بالصحن ثلاث مجنبات يتألف كل من المجنبتين منها من ثلاثة أروقة ، أما المجنبة الخلفية فتتألف من رواق واحد ، وعقود المسجد تقوم على دعائم حجرية . أما عقود الأروقة المؤدية الى جدار القبلة فمدببة منفوخة ، في حين أن عقود الأساكيب الموازية لجدار القبلة مفصصة على هيئة حذوة الفرس ، وفصوص هذه العقود متعددة ومثقلة بالزخارف .

وبوائك ذلك الجامع المطلة على الصحن آية في الجمال والتناسق ، وفصوصها من أجمل ما صنعه الفنانون المسلمون من هذا الطراز ، وكل جدران العقود مزينة بالزخارف المتداخلة المتشابكة .

وهذا المسجد يعتبر من المساجد المرابطية القليلة الباقية الى اليوم ، لأن مساجدهم الأولى التي أنشئوها في مراكش ـ لأول بنائها ـ وفي غيرها من بلاد دولتهم الشاسعة قد زال بعضها وبعضها الآخر أعيد بناؤه على أيدي الموحدين ومن جاء بعدهم .

مسجد أبي مدين وروضته في العباد

زهد ابو مدين ، شعيب بن الحسين الاندلسي (١١٢٦ ـ ١١٩٦) وبدأ حياة طويلة من الحج والسياحة والعبادة حتى توفي

في قرية العُباد فاقام له ابو الحسن المريني المسجد والروضة ؛ وقبره في مدين يعتبر اليوم من اعظم مزارات المغرب .

وروضة ابي الحسن عمل معماري بديع رغم صغر حجمها ، يدخل اليها من بوابة أندلسية تظللها شماسة مغطاة بالقرميد ثم تهبط السلالم المزينة بالزليج وتنتهي الى مكان القبر في قاعة مزينة كلها الزليج أيضاً .

أما المسجد المجاور لها فأندلسي الطراز ، وهو صغير الحجم نسبياً ولكن صحنه الصغير الأنيق تزينه نافورة في وسطه ، ويعتبر هذا الصحن ـ رغم صغر حجمه ـ من أجمل صحون المساجد في المغرب ، ونفس البوائك المغربية الطراز التي تحيط بالصحن تمتد في بيت الصلاة الصغير الجميل . هنا نجد العقود المستديرة تعتمد على دعامات مربعة من الحجر ، مزينة بزخارف حصية تذكرنا بزخارف الحمراء في غرناطة ، ورغم بساطة هذه العقود فإنها تروع النفس ببياض لونها وانتظام هيئتها ، والمحراب أندلسي منقول عن محراب مسجد قرطبة الجامع . وفوق بلاطة المحراب يرتفع سقف محدب يحل محل القبة . وتعتبر مئذنة الجامع التي بناها أبو الحسن سنة ١٣٣٩ من أجمل المآذن المغربية ذات الطراز الأندلسي في المغرب الأوسط .

جامع علي بنشين في مدينة الجزائر

بني هذا المسجد على الارجح سنة ١٠٣١/ ١٦٢٢ ، فهناك

وثيقة أوقاف خاصة به حررت بمعرفة القاضي الحنفي في ذلك التاريخ . ومنشىء المسجد ـ كما يتضح من تلك الوثيقة ـ رجل مسيحي هداه الله للاسلام وأصبح من كبار قواد الجيوش العثمانية . والمسجد صغير الحجم نسبياً ، ولكن بيت صلاته ينطق بالأثر التركي فهنا نجد قبة عثمانية الطراز مثمنة الأضلاع تقوم فوق قلب بيت الصلاة مرتكزة على اربع دعائم ضخمة ، وبيت الصلاة مقسم إلى ايوانات تزين الجانبين منها عشرون قبة صغيرة .

وقد أستولى الفرنسيون على هذا المسجد في ٢٨ مارس سنة ١٨٤٢ وحولوه الى كاتدرائية سموها سيدتنا مولاة الانتصارات .

وقد أراد الله له أن يخرج من اسره فعاد مسجدا مطهرا بعد الاستقلال .

جامع الحواتين

الحوّاتون هم صيادو السمك ، وهذا المسجد انشىء في منطقة تنسب اليهم ، وهو مسجد جميل يطل على البحر بواجهة هي الغاية في الجمال والرواء ، وهو أجمل نموذج للمساجد الجزائرية العثمانية الطراز .

وتقول وثيقة مؤرخة في سنة ١٠٧٠ / ١٦٦٠ أن من أنشأ هذا الجامع رجل يسمى الحاج حبيب ، أنشأه بأموال تبرع بها

الحواتون والجنود واهل الخير . والمسجد يتبع في خطوطه العامة طريقة مسجد أيا صوفيا ، أي ان مركزه كله هي القبة التي تقوم فوق وسط بيت الصلاة ، وهي تقوم على اربع دعائم ضخمة من الحجر الملبس بالرخام ، وارتفاع القبة ٢٤ مترا تحيط بها قباب اصغر تقوم على ايوانات بيت الصلاة .

أما مئذنة المسجد فمغربية الطراز ، وهذا هو وجه الجمال في ذلك المسجد الذي يجمع بين طرازين مختلفين ، وهي مئذنة أنيقة ترتفع في الجو ببدن منسرح على هيئة مكعب ينتهي عند شرفة الأذان ثم يكتمل بجوسق جميل .

من روائع الفن الاسلامي
المدارس الاسلامية

ظهرت المدارس لاول مرة عندما تولى صلاح الدين الايوبي حكم البلاد عندما اخذ على عاتقه محو المذهب الشيعي من البلاد ونشر المذهب السني ، الذي اقتضى انشاء مجموعة من المدارس لتدريس الفقه على المذاهب الاربعة .

وقد كانت هذه المدارس في الواقع فتحا جديدا في العمارة القاهرية فحتى ذلك الوقت كانت المساجد ذات شكل واحد اساسه الصحن ورواق القبلة واروقة جانبية معدة كلها لصلاة الجماعة او مخصصة للاساتذة يستعملونها فصولا للدراسة في

شكل حلقات أو مأوى يلتجيء إليه الفقراء وأبناء السبيل ينامون تحت سقوفها ولكن على يدي صلاح الدين نشأ طراز المدرسة في العمارة الأيوبية وهو طراز يقوم على وجود مربع صغير في الوسط كان يحيط به أيوانان فقط استوحاهما من طراز الصناعة في العمارة الفاطمية ثم تطور الى أيوانات أربعة متعامدة وكأنها أجنحة للمسجد فأما الجناح الشرقي وهو أطولها فيخصص ايوانه للصلاة وفيه المحراب وتخصيص أحد الأروقة للحنفية والثاني للشافعية والثالث للمالكية والرابع للحنابلة .

ولم يكن نظام المدرسة التي بدأها صلاح الدين في القاهرة من مبتكراته وانما هي فكرة نقلها عن سورية حيث اقام مولاه نور الدين المعاهد السنية لنشر المذهب الحنفي في دمشق وغيرها من المدن وكان نور الدين قد حذا في ذلك حلو السلطان السلجوقي ملكشاه الذي بنى له وزيره العظيم نظام الملك .

المدرسة النظامية في بغداد والمهم ان هذا الطراز الذي بدأه الايوبيون في العمارة القاهرية ظل نقطة هامة في تخطيط المساجد واول مدرسة احدثت بديار مصر المدرسة الناصرية للشافعية والمدرسة القممية للمالكية بجوار جامع عمرو ثم المدرسة السيوفية بالقاهرة للمذهب الحنفى وقد عدد لنا المقريزي مجموعة كبيرة من المدارس الأيوبية زال معظمها ولم يبق لنا إلا المدرسة الصالحية بالنحاسين التي أنشأها الصالح نجم الدين .

وظهر في عصر المماليك نظام المدارس ذات اليوانات المتعامدة على صحن أوسط مكشوف . وكان أول مثل وصل الينا متكاملاً هو مدرسة السلطان منصور قلاوون سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) .

ومن اشهر المدارس المدرسة مدرسة الناصر محمد ومدرسة ال ملك الجوكندار ومدرسة حرغتمش ومدرسة السلطان حسن ومدرسة ام السلطان شعبان ومدرسة الجاي اليوسفي .

وقد أضيف للمدارس منذ نشأتها بالقاهرة ضريح للمنشىء وتمتاز مدارس العصر المملوكي البحرية بالضخامة والاتساع في البناء والمساحة وعمق ايوان القبلة واتساع الصحن المكشوف .

وقد الحق بالمدارس وحدتان معماريتان على جانب كبير من الاهمية في الحياة العامة الا وهما السبيل والكتاب .

وقد استمر نظام المدارس ذات الايوانات المتعامدة على صحن اوسط خلال العصر الجركسي وان كان المعمار قد بدأ يناسب بين اجزاء المدرسة فاصبحت صغيرة واكثر رشاقة عن ذي قبل وصغر حجم الصحن وأمكن تغطيته بسقف من الخشب يتوسطه شخشيخة . وبالتالي اختفت الميضاه من وسط الصحن واصبح يدخل لها من باب جانبي بالصحن .

ومن اشهر مدارس العصر البرجي مدرسة الاشراف قايتباي

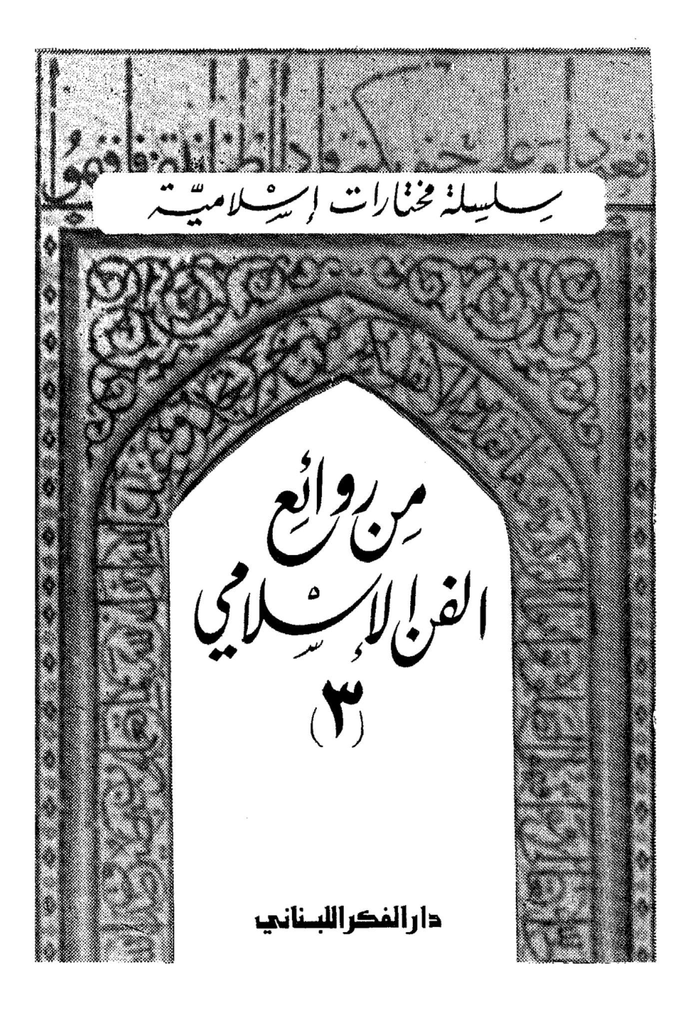
ومدرسته ايضا بقلعة الكبش ومدرسة الامير ازبك اليوسفي ولم يكتف المعمار ببناء نظام المدارس ذي الاربعة ايوانات متعامدة على صحن اوسط بل نراه يصمم طرازا اخر ذا ايوانية وهذا الطراز يعتبر رجعة للسنة القديمة التي نراها في المدرسة الكاملية ٦٢٢هـ .

ونجد هذا النظام في العصر المملوكي البحري في كل من مسجد احمد كوهيه وجامع شرف الدين .

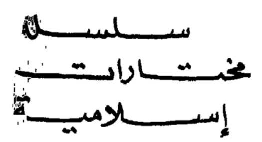
واستمر ايضا في عصر المماليك الجراكسة ونراه في مدرسة انيال اليوسفي والمدرسة المحمودية .

سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)



سلسلة مختارات إسلامية
من روائع
الفن الإسلامي
(٣)
دار الفكر اللبناني


سلسلة
مختارات
إسلامية

من روائع الفن الإسلامي

(٣)

دار الفكر اللبناني



جامع علاء الدين أغلو
بمدينة برجا بآسيا الصغرى

في بداية القرن (٨)هـ ـ اغار المغول على دولة السلاجقة في آسيا الصغرى واستولوا عليها ، وقد افاد من ذلك عثمان بن طغرل جد الاتراك العثمانيين ، فاستقل بالمقاطعة التي كان يتولاها من قبل السلاجقة ، وهكذا قامت الدولة العثمانية التي عملت على مد سلطانها بعد ذلك على آسيا الصغرى ثم على معظم شبه جزيرة البلقان باوروبا حتى وصلت حدودها الغربية الى نهر الطونة .

وقد توج الاتراك نتصاراتهم بفتح القسطنطينية سنة (١٤٥٣) م وقضوا بذلك على الدولة البزنطية ، ثم اتجه العثمانيون الى الشرق والجنوب فبسطوا سلطانهم على بلاد العراق والشام وما لبث سلاطينهم أن اتخذوا لقب الخلافة .

وفي اوائل القرن (٢٠)م استقلت عنها كل البلاد العربية بما

فيها شمال افريقيا . وقد تاثرت الحضارة التركية في اوائل الامر بالحضارة الاسلامية في ا ايران الامر بالحضارة الاسلامية في ايران وذلك عن طريق هجرات الايرانيين الذين فروا من وجه المغول واستقروا في آسيا الصغرى . ولما استولى الاتراك على البلاد العربية في القرن (١٦)م تاثرت الدولة العثمانية بالحضارة الاسلامية السائدة في تلك البلاد نتيجة للسنة التي ساروا عليها ، وهي نقل الممتازين من صناع وفناني البلاد المفتوحة .

على انه سرعان ما هضمت تركيا كل تلك الطرز واخرجت منها طرازا اسلاميا عثمانيا ، لم يؤثر على العالم الاسلامي فحسب بل على معظم دول اوروبا .

ومن اقدم المدن التي استولى عليها وسكنها آل عثمان مدينة (برجا) التي تقع في وسط آسيا الصغرى ، ولذلك فانها تحتوي على آثار اسلامية ترجع الى النصف الاول من القرن (٨)هـ .

ويعتبر مسجد (علا) بمدينة برجا اشهر آثار المدينة واقدمها في العصر العثماني ، أنشأه علاء الدين اغلو في القرن (٨)هـ ، ولذلك فهو متاثر الى حد كبير بطراز العمارة السلجوقية .

والمسجد يتكون من صحن مكشوف وتحيط به الازوقة من جميع الجهات ، والجهات التي بها المحراب اكبرها وتحتوي على ثلاث بوائك من الاعمدة والعقود موازية بالنقوش المحفورة في الحجر والتي تمثل حائط القبلة . وتزخرف واجهة الجامع الطراز السلجوقي احسن تمثيل .

ومن اهم مميزات جامع (علاء) محرابه المكون من مستطيل تزخرفه بلاطات من القاشاني معظمها باللون الترجوازي الجميل وبها ززخارف نباتية وهندسية غاية في الدقة والابداع . وفي وسط المستطيل حنية عقدها على شكل مثلث مكون من بلاطات على شكل المقرنصات الصغيرة المتدلية ، وهي باللون الذهبي والاسود وعلى جانبي هذه الحنية عمودان ويلاصق الركن الشمالي الغربي لمسجد (علا) ببرجا ، مقبرة علاء الدين اغلو ويعلو مربع غرفة الضريح قبة ترتكز على رقبة مثمنة . وقد زخرف داخل الضريح ببلاطات من القاشاني الترجوازي والاسود اما الجزء العلوي مُن الجدران فمغطى بالفسيفساء ، اما القبة فمكسوة ببلاطات من القاشاني الاحمر مما يضفي اشعاعات تشبه الوان (قوس قزح) . وتتكون القبة من الخشب ومغطاة من الخارج بطبقة من القصدير ، وهي تشبه في ذلك قبة الامام الشافعي في القاهرة . وكتب على عتبة باب الضريح تاريخ انشاء المسجد والمقبرة وهو سنة ٧٣٤هـ . ■

الجامع الازرق

جامع آن سنقر

قام بتشييد الجامع الامير ان سنقر الناصري احد مماليك الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٤٧هـ « ١٣٤٧م » وانشأ بجواره مكتبا وسبيلا ومكانا ليدفن فيه .

كان الامين ان سنقر مهتما ببناء هذا الجامع حتى انه كان يقوم بالاشراف على عمارته بنفسه .

وضع تصميمه على طراز المساجد الجامعة المتبعة في عصر المماليك البحرية وهذا الطراز يتكون من صحن اوسط مكشوف تحيط به اربعة روقة اعمقها رواق القبلة وقد استمر هذا النظام الى عصر المماليك البرجية والجراكسسة .

وللجامع ثلاثة ابواب في واجهاته الغربية والبحرية والقبلية وميضاته منعزلة عنه .

وقد اقام الامير طوفان الدوادار فسقية في وسط الصحن نصفها محمول على اعمدة رخامية لم يبق لها .اثر اليوم . .

وتعد الواجهة الغربية اهم واجهاته وبها الباب الرئيسي المحمول عقده على كوابيل طريفة اما عتب الباب فليس بمزررات رخامية خضراء كالموجودة ايضا باعتاب الشبابيك وتنتهي الواجهة بمنارة مكونة من ثلاث دورات بدن الدورة الاولى مستديرة وبدن الثانية محلى بقنوات مستطيلة والثالثة مسدسة فوقها خوذة خشبية مغلفة بالرصاص .

وقد تمت بالمسجد اضافات وتجديدات اهمها ما قام به ابراهيم اغا مستحفظان عام ١٠٦١هـ ١٦٥٠م « ١٦٥٠م ».

ويعتبر الايوان . . الشرقي اكبر الايوانات وهو يشمل على

رواقين كانت عقودهما محمولة على اكتاف حجرية مثمنة وسقفها معقودة وما زال الرواق امام المحراب محتفظة فاصلة لم يتغير . .
اما الرواق الثاني فقد استبدلت بسقف من الخشب ، وبقي طرفاه على اصلهما واندلت دعائمه عمد رخامية واكتاف حجرية مربعة وكذلك الرواق القبلي والبحري اما الرواق الغربي فمحتفظ بكثير من تفاصيله القديمة .

وكان من ضمن التجديدات التي قام بها ابراهيم اغا مستحفظان كسوة الجدار الشرقي حتى السقف بالقاشاني الملون الجميل ومما يزيد هذه المجموعة اهمها اتربة لها عملت خصيصا لهذا الجامع المرسوم خاصة . . ولذلك عرف الجامع « بالجامع الازرق » نسبة الى مجموعة الفاشاني الرائعة الزرقاء الموجودة به .

ومما يزيد المسجد اهمية منبره الرخامي الملون ودرابزينه الجميل المحلى بالزخارف البارزة المورقة وعناقيد العنب ويعتبر اقدم منبر من الرخام باق في مساجد القاهرة حتى الان يليه منبر جامع السلطان حسن ويجوار المنبر محراب كبير كسى باشرطة دقيقة من الرخام والصدف وقبته وغطاؤه المعبر عنه بالطاقية . . رخامي محلى بزخارف نباتية ملونة بارزة تعتبر الوحيدة من نوعها . .

صلاة الجمعة في مسجد قرطبة

(١) صلاة

كانت لفتة كريمة من الاخوة المسيحيين في قرطبة ان جعلوا من برنامج المؤتمر الاسلامي المسيحي العالمي الاول (١٠ ـ ١٥

سبتمبر ١٩٧٤) أداء صلاة الجمعة في مسجد قرطبة الكبير .

واحتاج القرار الى شجاعة أدبية ، وصمود امام بعض الضغوط والمخاوف ، وارتفاع افق جديد واصيل من آفاق السماحة تمثل في اسقف قرطبة ، الذي وافق على ذلك عندما عرضه عليه رئيس جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية واعضاء مجلس ادارتها المسلمون والمسيحيون في اسبانيا . وكانوا في استقبالنا ـ مشكورين ـ عند دخولنا المسجد ظهر يوم الجمعة ١٣ من سبتمبر ١٩٧٤ الموافق ٢٦ من شعبان سنة ١٣٩٤ .

كان أمر الصلاة قد انشر مع بدء انعقاد المؤتمر . وفي ضحى يوم الجمعة هبطت في مطار قرطبة طائرة من مدريد تحمل سفراء الدول الاسلامية في اسبانيا ، وطائرات من أقطار المغرب العربي تحمل صفوة من علمائها وكبار الشخصيات الاسلامية فيها . والتقى الجميع في المسجد في المناسبة التاريخية تنظمهم صفوف الصلاة .

(٢) الراكعون الساجدون

وتمر عيني على صفوف المصلين . . عباءات من المشرق . برانس من المغرب . رؤس حاسرة . عمائم ولحى بيضاء فيها جلال المشيب . كهول مكتملون . شباب متفتح ومن حولنا وقف الاخوة المسيحيون وفي نظراتهم مودة وتطلع الى هذا المشهد الجديد القديم .

وصوت القارىء يرتفع بالقرآن . . ومن حولك الراكعون الساجدون . . وترى الدموع وتسمع النشيج تطلقه روعة الذكرى ويكتمه جلال الموقف وقد انطوى كل عابد على نفسه في عالمه بذكرياته وحاضره . .

وتمتد الاعين الى الايات الصامتة على جدران المسجد والمحراب . . وتقرأ « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق » (الاعراف ٤٣) ظلت هذه الايات صامتة على الجدران ثمانية قرون حتى تردد من الحناجر في يوم الجمعة المشهود . .

ويرتفع صوت الاذان الله اكبر . . الله اكبر ويزداد معه الحزن والبكاء وتتذكر الاذان الاول . . آذان بلال في المدينة المنورة . . وكيف حملته القلوب والايدي والالسنة المؤمنة عبر الصحاري والجبال والبحار والقارات حتى ارتفع من صومعه مسجد قرطبة وظل يتردد فيها قرونا . .

وتستمع الى خطبة الامام عن الحضارة الاسلامية وسماحتها واخائها ويرتفع صوته داعيا الله ان يحفظ للقلوب صفاءها ونقاءها وان يجمعها على الهدى والمحبة ، وان يوثق التعاون لترتفع اعلامه النقية .

(٣)

ومسجد قرطبة درة في جبين العمارة الاسلامية . . وضع عبد

الرحمن الداخل صقر قريش - أول حجر فيه عام ٧٨٠ ميلادية . . وكان آخر فيه على رأس الالف الاولى الميلادية . . مائتان وعشرون عاما في استكمال عمل فني ممتاز تحس حين تراه كأن المعماريين الذين اسهموا فيه كانوا فريقا واحدا يقوده عقل واحد .

والراجح أن المسجد بني على أرض عذراء . . بدأ قسمه الأول في عهد عبد الرحمن الداخل وجاءت توسعته الثانية في عهد عبد الرحمن الأوسط وولده الحكم الثاني وهذه التوسعة الثالثة هي قمة عالية من قمم الفن الاسلامي وصل بها المحراب إلى ضفة نهر الوادي الكبير . . وكأن ملك بني أمية والمسجد كانا على موعد ، فبعد هذه التوسعة بدأ الضعف في الدولة وفي توسعة المسجد معاً . .

وجاءت التوسعة الاخيرة على يد الحاجب المنصور بن ابي عامر ولم يكن امامه الا التوسع شرقا على طول المسجد .

وظل عامرا بالصلاة والقضاء وتدارس العلم والادب حتى سقوط قرطبة عام ١٢٣٦ عندما خرجنا من هناك وتركنا المسجد وحيدا يلقى صروف الزمان . .

(٤) عودة الحياة

ولقد تحول جزء من المسجد تبلغ مساحته نحو ١٥٪ الى كتدرائية وتحولت صومعة المسجد (المئذنة) الى برج اجراس . .

ومن اجل ذلك ازيل ثمانون عمودا وقوسا وما فوقها من سقف . . واغلقت أبواب كانت مفتوحة تدخل قدرا من الضوء أراده الفنان الذي صمم المسجد . . . ولم يكن التداخل المعماري محل رضا الدين أمروا به . . وجاء غير متناسب مع الوحدة الهندسية للبناء والحلول المعمارية التي ابتكرها العقل الذي ظل مسيطرا على البناء اكثر من قرنين حتى أتمه بهذه الصورة العبقرية التي لم تتكرر . .

فليس هناك مسجد غيره في أرض الاسلام اعتمد على فكرة العقود المزدوجة . . . وانت لا تجد عمودا يزيد قطره عن خمسة وعشرين سنتيمتراً وتنتهي الاعمدة بعقود وعلى رأس العمود تجد قاعدة جديدة اقام عليها المعماري عموداً آخر وتتشابك الاعمدة بعقود غاية في الدقة والرشاقة . . فاذا نطرت اليها رأيت نفسك في حديقة من حدائق الايمان . . كأن الاعمدة اشجار والعقود فروع اثقلتها الثمار . . او كأنها نافورات تجمد ماؤها . . وتمتد امامك وتمتد الى مالا نهاية كانها ترتبط بمساجد الشرق . . هناك في مصر والجزيرة العربية والشام . .

والمحراب آية اخرى من آيات الفن وهو عبارة عن حجرة صغيرة . . او مسجد صغير سقفه من قطعة واحدة من الحجر على هيئة صدقة . . وفوق بلاطة المحراب والبلاطتين المحيطتين بها عن يمين وشمال ثلاث قباب صغيرة بلغت الذروة من الجمال ودقة الفن . .

واستخدام الضوء كان ينسب تتوازن مع ما يدخل من الابواب . . وهنا تحت القباب كانت قراءة القرآن . . نور القلب . . تحت نور السماء . . . وفيض النور المتدفق من الابواب . . نور على نور . . وفي الجزء الشمالي من المسجد صحن مكشوف تغطية اشجار البرتقال . واذا كنت في المسجد ناظرا الى الخارج رأيت التداخل بين الاعمدة الرشيقة واشجار الحديقة .

وفي الزيارات التي قمت بها شكرا لاسقف قرطبة وكبار المسئولين المدنيين دار الحديث حول المسجد والكاتدرائية . . وهناك اتجاه في اسبانيا يرمي الى نقل الكاتدرائية الى مكان مجاور للمسجد ، واعادة المسجد الى صورته التي كان عليها وقد وجدت هذه الفكرة قبولاً لدى نفر من المثقفين الاسبان . . فالمسجد في كماله واكتماله عمل عبقري لن يجود بمثله الزمان . . والذين يفدون الى قرطبة انما يفدون اساسا لزيارة المسجد . . حتى تستطيع القول بأن قرطبة نفسها « ضاحية » المسجد وقد جرت احاديث بين الاسبان وبعض الشخصيات العربية المسئولة الكبيرة حول التعاون على تنفيذ مشروع النقل ليعود المسجد الى صورته الاولى .

واذا كان الامر يحتاج الى بعض الوقت لتتقبله الجماهير . . فان الصورة المقترحة والتي اطلعت على بعض دراساتها لما يساعد

كثيرا على أن تصبح لكل من المسجد والكاتدرائية شخصيته الواضحة الكاملة ويعطي بعدا جديدا تطبيقا من ابعاد التعاون بين العالم الاسلامي والعالم المسيحي . .

اني احس وأومن اننا نسير على طريق جديد من طرق التعاون والمحبة رأينا بعض ثماره وكلنا في انتظار المزيد . .

وتحية الى قرطبة السمحة والى اخوة مسلمين ومسيحيين اعطوا النموذج الكريم والخطوط الرئيسية لتعاون اسلامي مسيحي عالمي . ■

مسجد كنشاوة

يقوم هذا المسجد المشهور في حي كنشاوة من أحياء مدينة الجزائر ، ويرجع تأسيسه الى سنة ١٠٢١/١٦١٢ ، ثم أعاد ترميمه واكمله الباشا حسن سنة ١٢٠٩/١٧٩٤ .

وبيت الصلاة في هذا المسجد الصغير الأنيق مربع طول كل من اضلاعه ٢٤ مترا ، وتقوم القبة الكبيرة في وسط بيت الصلاة على أربع دعائم ضخمة تبعد كل منها عن الاخرى ١١,٥ مترا ، وهذه الدعائم تحمل عقودا مستديرة ترتفع فوقها قبة ذات ستة أضلاع ؛ وداخل المسجد كله مبطن بالرخام .

وهذا المسجد ايضا كانت الكنيسة الفرنسية قد استولت عليه وحولته الى كنيسة ، وأدخلت عليه تحويرات شتى افسدت

هيئتـه ، واضافت اليـه اجزاء اخـرى لاستكمال الشكـل الكنسي ، وقد أعيد الى الاسلام بعد الاستقلال .

مسجد صلاح باي في عنابة

يعتبر هذا المسجد من أجمل ما خلفه العصر التركي في القطر الجزائري ، وقد بناه الباي صلاح سنة ١٢٠٦/١٧٩١ ـ ١٧٩٢ في الناحية الجنوبية من بونة المعروفة اليوم بعنابة . والرسم العام لبيت الصلاة عثماني مغربي في آن واحد ، فهو مكون من ثلاثة أروقة تتجه نحو جدار القبلة ، وفي وسط بيت الصلاة ـ فوق الرواق الأوسط ـ تقوم قبة كبيرة تجاورها على اليمين والشمال قبتان أصغر حجمًا ، وفي جدران بيت الصلاة نوافذ كبيرة مزينة بالزجاج الملون ، وبفضل هذه النوافذ يفيض داخل الجامع بالنور ، وعقود بيت الصلاة تقوم على أعمدة طويلة من الرخام .

وللجامع صحن تحيط به البوائك المستديرة ، وجدران المسجد مزينة في الداخل بالزليج (مربعات الخزف) المغربي الجميل .

مسجد سوق الغزال في قسنطينة

وهذا مسجد آهر جميل خلفه العصر التركي في الجزائر ، وهو يزين مدينة قسنطينة وهو تركي الطراز ، ولكن بيت صلاته يتكون من سبعة اروقة ذاهبة نحو جدار القبلة ، وفي وسط كل

رواق قبة مغربية ذات اربعة أضلاع في هيئة الهرم ، وهي مغطاة بالقرميد .

جامع الجيوشي (١٠٨٥)

يقوم هذا المسجد الحزين وحيدا فريدا في طرف من أعلى جبل المقطم المطل على القاهرة . منشىء هذا المسجد هو امير الجيوش (١) بدر الجمالي ، منشىء بوابات القاهرة ومنقذ الدولة الفاطمية ، ولهذا يوصف جامع الجيوشي بأنه « مشهد » أي ضريح شهيد ، ويظن ان بدرا الجمالي أراد أن يجعل منه مشهدا للامام علي كرم الله وجهه . المسجد صغير المساحة ، ولكن بيت صلاته يمتاز بزخارف حصية جميلة تتكون من ورق العنب وعنقوده . المئذنة صغيرة لا يزيد ارتفاعها عن القبة كثيرا . المسجد كله في حاجة إلى ترميم كبير حتى يبدو في جماله الحقيقي . هيئته اليوم أشبه بمقبرة في الخلاء لا تؤنسها إلا هذه الشجرة المذعورة .

الجامع الأقمر (٥١٩/ ١١٢٥)

يعتبر هذا المسجد من أجمل مساجد العصر الفاطمي واكملها من الناحية الفنية ، وهو كذلك ينطق بطابعه الفاطمي ، وخاصة إذا قارنا بوائكه ببوائك صحن الجامع الأزهر . وقد أمر بانشائه الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله بن المستعلى سابع خلفاء

الفاطميين في مصر سنة ١٠٩٧/٤٩٠ ، وهو في شارع امير الجيوش قرب باب الفتوح في حي الجمالية بالقاهرة ، وقد كمل المسجد سنة ١١٢٥/٥١٩ .

والجامع الأقمر بسيط في تخطيطه ، فهو يتكون من بيت صلاة يشتمل على أربعة أروقة (أي بلاطات) عمودية على جدار القبلة وأربعة موازية لجدار القبلة أي اساكيب ، والرواق المجاور للقبلة فسيح . وللمسجد صحن مكشوف مربع ، ويحيط بالمسجد كله سور عريض ومدخله الرئيسي معقد بعض الشيء تطل عليه الحنايا . واهم ما يميز المسجد ـ كما قلنا ـ وحدته الفنية التي تبدو من أي زاوية نظرنا اليه ، وقد أشرنا الى ذلك بما فيه الكفاية فيما سبق من الكلام .

وكما قلنا فيما يتصل بكثير من المساجد المصرية ، يحتاج المسجد الى ترميم كبير وعناية ورعاية حتى يتجلى جماله الحقيقي .

روضة أبي منصور اسماعيل بن ثعلب (١٢١٦)

أثر مساجدي فريد في الطريق إلى مسجد الامام الشافعي ، وهو ـ كغيره من الأضرحة والروضات ـ مسجد صغير أو مصلى أنيق ـ بناه هذا القائد الايوبي في سنة ١٢١٦ في عصر بقيت لنا منه آثار معمارية قليلة . والحق أن العصر الأيوبي كله فقير في منشآته سواء في مصر أو الشام ، خاصة إذا ذكرنا غنى العصر الذي سبقه

(الفاطمي) واللاحق عليه (المملوكي).

محراب المصلي ، مزين بكتابة على الخشب فيها اسم صاحب الضريح وتاريخ انشائه . نصف هذه القطعة الخشبية وفي متحف الفن الاسلامي في القاهرة ونصفها الآخر في متحف فكتوريا والبرت في لندن . والمحراب كله من الآجر ، وقد أبدى المعماري مهارة فائقة في استخدام هذه المادة في البناء والزخرفة . لاحظ الأثريون ان المعماري اقتبس هذه الزخرفة من المسجد الاقمر وخاصة أعلى حنية المحراب والكوات المعينية الشكل فوقها .

مسجد وروضة السلطان قايتباي بالقاهرة (١٤٧٢ و١٤٧٤)

يقوم هذا المبنى الجميل في منطقة مقابر الخلفاء جنوب القاهرة وهو آخر ما أنشأه هذا السلطان واكثره جمالا .

أظهر ما يمتاز به هو التناسق الرائع بين أجزائه : مئذنته الرفيعة السامقة تتوازن تماما مع القبة العالية المزينة بالزخارف البديعة في خارجها . طالما ترنم الأثري الفرنسي جاستون ويت بجمال هذه القبة ونقوشها وقال انها انشودة من الخطوط والاشكال . كل ما في هذا المسجد يكاد أن يكون مقطعات من نفس الأنشودة : البوابة العالية ، السلالم الرخامية ، الأعمدة

والأقواس التي تحملها ، شبابيك الزجاج الملون ، وكل ما تقع عليه العين داخل هذا الأثر البديع .

جامع ومدرسة انجى في دفريجي بالاناضول

وأقدم عمائر الطراز التركي في العمارة الاسلافة يرجع الى القرن والثاني عشر الميلادي ، ومن ذلك أولوجامع ـ أي جامع أولو ـ والمارستان الملحق به في بلدة دفريجي في الأناضول ، وقد أمر ببنائه سنة ٦٢٦/١٢٢٨ ـ ١٢٢٩ أحمد شاه الأمير الاقطاعي لدفريجي .

وضع تصميم هذا المسجد المعلم خرم شاه الأخلاطي ، وهو مبني بالحجر المصقول المتقن الرصف ، وسقفه محمول على عقود حجرية متشابكة ، وعقد البلاطة الثالثة في رواق القبلة يقوم فوق حوض رخامي تصب فيه نافورة ، وهذه البلاطة ذات النافورة رمز على الصحن الذي استغنى عنه المعماري في ذلك المسجد بسبب برودة الجو . والباب الشمالي لهذا المسجد مشهور بزينته الجصية المثقلة وزخارفه ،وهي تذكرنا بالزخارف المحفورة على الخشب .

أما المارستان فمقتبس من المارستان النوري في دمشق ، وسقفه يقوم على عقود حجرية تقوم على دعائم وأعمدة ، وهنا أيضا نجد نافورة تشبه التي ذكرناها في وسط المسجد

مسجد الحاكم بأمر الله (٩٩٧/ ١٠٢١)

هذا المسجد ـ الذي يعتبر علما بارزا في تاريخ العمارة الاسلامية ـ يتداعى ويفقد بهجته منذ زمن طويل ، لأن الموكلين بشئون الآثار الاسلامية لا يشعرون نحوها بالحب الكافي ، والحب حقيق بأن يعوض نقص الاعتمادات المالية الذي طالما شكوا منه . وهم ينسون أنه في مسائل الفن يقوم الحب في المكان الأول ثم يأتي دور المال ، فهناك قطعا مال كاف لصيانة هذه الجدران وتنظيفها وحمايتها ورم ماوهي منها ، ولكن الذي ينقص هو القلب . مساجد العصر الفاطمي استمرار لتقاليد المساجد الطولونية من ناحية ، ومظهر من مظاهر الحضارة المغربية التي جلبها الفاطميون الى مصر من ناحية اخرى ، فان مساجد المغرب الأولى اقرب إلى الحصون ، مآذنها أبراج ، ومسجد الحاكم نموذج لذلك ، والجدران التي تراها هناك شبيهة بأسوار بلد ، وكذلك المئذنة ، وكان نصفها الأعلى قد سقط إثر زلزال ، فصنعوا لها هذا العوض على شكل قبة ؛ فبدت مئذنة قبة ؛ هذا الطراز من المآذن المجبورة كثير في القاهرة . داخل جامع الحاكم يملأ النفس رهبة بمظهر الخراب الذي يسوده ، ودعاماته الضخمة المبنية بالآجر لتحمل العقود ، تدل على أن المعماري لم يجرؤ بعد ـ في مصر ـ على رفع السقف كله على عقود تقوم على دعائم .

المسجد الجامع ـ أو مسجد الجمعة ـ في إصفاهان

هذا المسجد الجامع في اصفاهان يحكي تاريخ إيران بما مر عليه من احداث وصروف ، فقد انشأه الفاتحون المسلمون سنة ٦٤٤ في موضع معبد للنار المجوسية عندما دخلوا البلد ، وكان اول امره مسجدا صغيرا بسيطا ثم هدم وبنى مرارا حتى جاء السلاجقة فأعادوا بناءه على الصورة التي ظل عليها الى اليوم ، رغم التعديلات الكثيرة التي ادخلت عليه .

وصاحب الفضل في بناء المسجد الحالي هو السلطان ملكشاه السلجوقي .

ولم يبق من المسجد الجامع السلجوقي في اصفاهان إلا جدرانه ، أما القاشاني والقباب والمآذن التي تزين المسجد فترجع إلى العصور التالية ، فقد مرت بإصفاهان ـ كما مرت بايران كلها ـ دول التيموريين وايلخانات فارس ثم الصفويين والقاجاريين ، واخيرا البهلويين قبل الثورة الأخيرة .

والمسجد مبنى من الآجر والحجر ، وبيت صلاته ينقسم إلى أربعة أواوين ، لأن الكثير من المساجد الايرانية استغنت عن تكوين بيت الصلاة من أروقة تقوم على صفوف من أعمدة تنتهي بجدار القبلة ، واتخذت الأواوين وهي قاعات فسيحة تقوم سقوفها على عقود واسعة مستديرة ، وتتصل الايوانات بعضها ببعض عن طريق عقود مدببة ، وقد سارت المساجد الايرانية

والعثمانية والهندية على هذا الطراز ، ويقوم المحراب ـ في العادة ـ في الايوان الأوسط .

والمبنى الحالي يرجع إلى عصر السلطان ملكشاه (١٠٧٢ - ١٠٩٢) وهو الذي أنشأ قبته البديعة سنة ١٠٨٠ ، وقد اجتهد خلفاء ملكشاه في تزيين هذا المسجد بالقاشاني الملون ، وأضافوا اليه زيادات كثيرة حتى أصبح وكأنه متحف للفن الايراني . وقد اضاف إليه السلطان أولجايتو محمد خدابنده ـ من سلاطين ايلخانات ايران ـ قسما كبيرا فيما بين سنتي ١٣٠٣ - ١٣١٦ ، وعهد إلى وزيره محمد صافي بعمل محراب جميل يعتبر من أجمل المحاريب الايرانية ، وهو قطعة من فن التزيين بالخزف والقاشاني .

مسجد الشيخ لطف الله

تأنق المعماري الايراني في انشاء وزينة جامع الشيخ لطف الله ، حتى ليبدو وكأنه تحفة فنية في كل جزء من أجزائه .

ويعتبر مؤرخو الفن الايراني ان مسجد الشيخ لطف الله اجمل أثر معماري صفوي ، وقد أمر بانشائه الشاه عباس قبالة قصره الكبير المسمى عالي قبو ، واستمر بناؤه من ١٦٠٢ الى ١٦١٨ .

ويسمى هذا المسجد بالمسجد الشاهاني ، لأنه في الحقيقة ليس مسجدا جامعا وانما هو مسجد خاص للمناسبات الرسمية ،

وليس في المسجد صحن ولا مآذن ، وكان الشيخ لطف الله كبير شيوخ المذهب الشيعي في عصر الشاه عباس ، واصله من جبل عامل في لبنان واستقدمه الشاه عباس واحاطه بكرامة عظيمة وأنشأ له هذا المسجد .

وأجمل ما في هذا المسجد الخزف ذو البريق المعدني الذي يزين جدرانه وكل جزء فيه ، وبينما يبرز الخزف في مسجدي شاه أزرق أخضر خزف مسجد الشيخ لطف الله ورديا ، ويتجلى ذلك بصفة خاصة . في قبته ، ويحيط بالمسجد روض بديع تزينه زهور وردية تزيد من جمال المسجد كله ، اما بوابة الجامع فتزدان بالخزف الأزرق .

ومن جلائل أعمال الفن في إصفاهان مدرسة شهرياق وهي مسجد في نفس الوقت ،.وهي مدرسة سلطانية أنشأها الشاه حسين الصفوي سنة ١٧٢٢ ، ه وتذكر هنا لأن قبتها ومئذنتها تعتبران من أروع ما خلفه المعماريون المسلمون من اعمال تلبيس المنشآت بالقاشاني والخزف المزين بالزخارف والكتابات .

مسجدي شاه في اصفاهان

يعتبر هذا المسجد اعظم منشآت الشاه عباس الأكبر ، وقد وضع تصميمه المعماري أستاذ على أكبرى اصفاهاني . يقوم ذلك المسجد الفسيح جنوب ميدان بخشى جهان ، وهذا

المسجد الجليل يعتبر مجموعة مبان في مبنى واحد ، فان بوابته وحدها ـ التي تقوم على جانبيها مئذنتان ـ تعتبر أثرا فنيا كاملا قائما بذاته ، وصحنه الفسيح تطل عليه البوائك ذوات العقود المدببة المزدوجة في النفس احساسا عميقا بالايمان .

أما بيت صلاته فآية من آيات الفن ، وأروقته الرصينة ذات العقود المدببة وقبلته المزينة بالقاشاني الأزرق التقليدي في إيران الصفويين ، ثم محرابه الذي يعتبر آية من آيات الفن ، كل هذه تبدو لناظرها وكأنها معرض للفن المعماري لا تشبع العين من استجلاء محاسنه .

أما قبته الزرقاء السامقة فتقوم على رقبة دائرية محلاة بالنقوش والكتابات ، والقبة نفسها مغطاة بالقاشاني الأزرق الضارب إلى الخضرة ومحلاة بنقوش ورسوم تعتبر قمة من قمم فن الزخرفة الاسلامية .

ويتميز هذا المسجد كله بنماذج زخرفية هي الغاية في حسن الذوق والانسجام . وهذه الزخارف تقوم في كل جزء من أجزاء الجامع تقريبا ، من البوابة الرائعة الى قمة القبة الفريدة في بابها .

وقد تتجاوز الزخارف الحد في التأنق ، لأن المسجد الاسلامي ـ بطبعه ـ لا يحتمل كل هذا التزويق ، ولكن لمتأمل لزخارف مسجد الشاه في اصفاهان لا يكاد يشعر بهذا الاغراق في

الزخرفة ، لان هناك روحا من التقي والتدين تتمشى في كل ما تقع عليه العين في ذلك الاثر الجليل .

وبيت صلاة هذا المسجد يقوم على نظام الايوانات لا الاروقة ، والواقف فيه لا يجد نفسه في غابة من الأعمدة وانما في أبهاء فسيحة تقوم سقوفها على دعائم ضخمة تحمل عقودا مدببة . والايوان الأوسط هو إيوان القبلة والمحراب ، وكل ما في الرواق ملبس بالخزف والقاشاني والرخام ، وأنت تشعر بأن المسجد كله ـ على ضخامته ـ عمل فني واحد متكامل ـ كأنما صاغه فنان واحد في وقت واحد .

وصحن الجامع فسيح تطل عليه البوائك من كل ناحية ، وبيت الصلاة يطل على الصحن بواجهة جميلة ملبسة بالقاشاني ، وهي وحدها عمل فني كامل ، وتزين واجهة الجامع مئذنتان جميلتان مستديرتان ، تنتهي كل منهما بجوسق تعلوه اسطوانة وعمامة .

محراب مسجدي جامع في كرمان

بني هذا المسجد سنة ١٩٤٩ ، وهو يعتبر من أجمل نماذج العمارة الايرانية في عصر إيلخانات المغول في إيران ، وأجمل ما يميزه هو محرابه الفريد في بابه ، إذ هو يحتل كل جدار القبلة ، وقد صممه المعماري الفنان قطعة واحدة فجاء رائعة من روائع الأعمال الفنية في تاريخ الفن الاسلامي .

إن هذا المحراب يقف في الصف الاول من محاريب المساجد ، فمحراب المسجد الجامع في كرمان جدار هائل مسطح وفي وسطه تقوم الحنية . فكأن الجدار كله إطار للمحراب ، وهو مكون من ازارات تحيط بالمحراب بعضها مزين بالكتابة الجميلة ، وبعضها مزين بالزخارف البديعة من كل نوع ، ويسود فيها اللون الأزرق الضارب إلى الخضرة وهو اللون التقليدي في المنشآت الايرانية عموما . ولا بد ـ لنقدر جمال المحراب ـ من أن اخذ كل قطعة منه على حدة وتأمل تصميمها الزخرفي ، فان وصف ذلك الجدار كان كتابا كاملا في فن الزخرفة الاسلامية الايرانية ؛ التي عملت على قطع من القاشاني الايراني البديع ثم وضعت في اماكنها بدقة وحساب كبيرين .

المسجد الجامع العتيق في شيراز

لا تقل شيراز عن اصفاها كمركز من مراكز الفن الايراني ، وربما كان مكانها في عالم الفكر أعظم .

كانت شيراز من أقدم عواصم إيران ، فقد اتخذها يعقوب بن الليث الصفار عاصمة له عندما استقل عن الدولة العباسية سنة ٨٢٧ ميلادية ، فكان منشىء اول دولة مستقلة في ذلك القطر ذي التاريخ الطويل . وقد خلّد يعقوب بن الليث الصفار استقلاله عن الخلافة العباسية وانتصاره على جيوشها سنة ٢٨١ / ٨٩٤ بانشاء ذلك المسجد الجامع في شيراز ، ويلقب بالجامع

العتيق ، واعيد بناء هذا الجامع وترميمه مرة بعد مرة حتى فقد شكله الأصلي وأصبح شيئا جديدا ، وصورته الحالية تمت في ايامنا هذه .

والمسجد مبنى على أساس الايوانات لا الأروقة ، فبيت صلاته يتكون من عدد من « الشابستانات » أي الايوانات ، أما صحنه ففسيح مبلط كله بالرخام تحيط به البوائك من كل جهة ، ويمتاز هذا الجامع ببواباته البديعة التي يبلغ عددها ستا موزعة على جوانبه الاربعة ، والبوابات ضخمة مبنية بالآجر أو الحجر الرملي ، ومزينة بالقاشاني تحف بكل منها مئذنتان قصيرتان ، لكل واحدة منهما جوسق وعمامة .

روضة شاهي سراج

قد تكون روضة شاهي سراج اجمل روضة في ايران ، ولهذا سميت بسراج الملوك (شاهي سراج). وقد أنشئت لتكون قبرا للسيد أحمد بن الامام موسى الكاظم ، الامام السابع في سلسلة الأئمة ، وروضته في مشهد هي أجمل وأقدس مزارات الشيعة في إيران .

وسبب اقامة الروضة في ذلك الموضع تقصه حكاية يرويها الجنيد الشيرازي المؤرخ ، يقول : إن بستانيا رأى ومضات من نور تخرج من تل ، فأمر أمير الناحية بحفر التل ، وهناك عثروا

على رفات الامام الجليل ، وقد عرفوه من الخاتم الذي كان في أصبعه ، فأمر بانشاء تلك الروضة البديعة التي تمتاز بواجهتها الرائعة الملبسة بالخزف الزخرفي ، تزينها الآيات القرآنية ، وتطل عليها قبة لا نظير لزخارفها الخزفية البديعة .

مسجد الوكيل في شيراز

انشأ مسجد الوكيل في شيراز كريم خان زند منشىء أسرة زند (١٧٥٨ - ١٧٧٩)، فهو من عصر الدولة القاجارية التي أنشأها نادر شاه . ويسمى هذا المسجد - أيضا - بالمسجد السلطاني .

وأروع ما في هذا المسجد بيت صلاته الذي تزدحم فيه عقود حجرية مدببة تقوم على دعائم مزخرفة بخطوط حلزونية ، ومنبر المسجد - الى جوار المحراب - يقوم على أربع عشرة درجة ترمز - في رأي منشئها - الى رسول الله ﷺ وابنته فاطمة الزهراء والأئمة الاثنى عشر . وقد صنع هذا المنبر في المراغة في آذربيجان ، ثم نقل الى شيراز بأمر كريم خان زند .

مسجد لندن الجديد ومسجدها القديم

في لندن مسجد جديد تشترك في انشائه كل البلاد الاسلامية ، واقيمت لوضع تصميمه مسابقة عالمية اشترك فيها خمسون مهندساً معمارياً من سبع عشرة دولة ، ووقع الاختيار على المشروع الذي تقدم به المعماري الانجليزي الكبير سير

فردريك جيبارد وشركاؤه في مكتبه الهندسي الكبير في لندن ، ولهذا المسجد قصة جديرة بأن تحكى والقصة ترجع الى سنة ١٩٤٤ عندما استجابت انجلترا لطلب الجالية الاسلامية الكبيرة في لندن لانشاء مسجد جامع يلحق به مركز ثقافي اسلامي في عاصمة بريطانيا ، فقدم ملك بريطانيا قصراً من قصوره تحيط به ارض مساحتها فدانان انجليزيان في حي ريجنت في لندن ، فاجتهد المسلمون في تحويل القصر القديم الى مسجد وتم ذلك واخذ ذلك المسجد صورة هندية تتجلى في مدخله ، واقاموا الى جانبه المركز الثقافي الاسلامي الذي يعرفه كل زوار لندن من المسلمين .

ثم زاد حجم الجالية الاسلامية زيادة كبيرة في انجلترا وفي لندن بصفة خاصة وزاد مركز بلاد الاسلام قوة في العالم بعد استقلالها وتقدمها في ميدان الحضارة ، وزادت ثروات بلاد الاسلام وخاصة المنتجة للنفط فزاد في وزن العالم الاسلامي . محل سفراء الدول العربية الاسلامية في لندن على تحقيق فكرة انشاء المسجد ووافقت الحكومة البريطانية وكان على مصمم البناء ان يوفقْ بين طراز الحي العائد الى سنة ١٨٠٠ وبين المتميز بالطابع الاغريقي وبين تصميم المسجد . فقدمت مشروعات كثيرة فاز من بينها المشروع الذي تقدم به السير فردريك جيبارد ، وهو مشروع انيق بديع يتألف من بيت صلاة صغير بعض الشيء تعلوه قبة مغطاه بالنحاس تقوم على رقبة ذات قمريات ، وقد

قصد المعماري الى مجاراة قبة الصخرة بهذه القبة النحاسية ، ويفتح بيت الصلاة على صحن الجامع بصف من البوائك التي لا تمتاز بأي جمال وليس فيها اي طابع عربي اسلامي .

وصحن المسجد فسيح مغطى بمربعات من الرخام الصناعي والمفروض انه يغطى بالسجاد في مناسبات الصلوات العامة ، وبدلاً من المجنبتين وضع المصممون مبنيين ذوي طابع حديث صرف ، واحد للمكتبة والثاني للمركز الثقافي .

أما المئذنة فأنبوبية طويلة تعلوها شرفة أذان ، وهي أقرب الى العمود التذكاري منها إلى المئذنة ، وبالفعل سيكون بداخلها مصعد يصعد فيه من يريد أن يلقي نظرة على الجامع كله وعلى ما حوله من المباني .

والمسجد انيق في جملته ولكنه يخلو من الطابع العربي الاسلامي تماماً ولأمر ما يبدو للناظر فقيراً رغم المبالغ الكبيرة المرصودة من أجله ، وإذا كانت شركة السير جيبارد هيئة معمارية ذات شهرة عالمية فان مشروع المسجد الذي وضعته غير موفق ، وقد اعترض عليه الكثيرون ، الذين تمنوا ان يكون مبنى هذا المسجد معرضاً للفن الاسلامي المعماري الجميل لا مجرد مبنى حديث تعلوه قبة ومئذنة ، وقد تنبه السير جيبارد لذلك فقرر أن تكون كل زينة المسجد الداخلية شرقية اسلامية فجلب مربعات القاشاني المحلي بالفسيفساء من تركيا ، والسجاجيد من ايران ،

اما أعمال الزخرفة على الجدران والاخشاب فسيقوم بها فنانون متخصصون من مصر والمملكة المغربية والجزائر وتونس .

ويتسع بيت الصلاة لألف مُصلٍ ، وهو عدد قليل ـ فيما نحسب ـ ولكنهم يقولون إن الصحن يتسع لأربعة آلاف من المصلين ، وبداخل بيت الصلاة شرفة أنيقة لصلوات النساء .

مسجد باريس وقصة تاريخه

آنق مساجد اوروبا هو المسجد الجامع في باريس ، وهو مؤسسة ذات تاريخ طويل حافل بالمتاعب ، فقد كان أول من فكر في انشاء مسجد في باريس هو السلطان عبد الحميد فكر فيه جزءاً من سياسته الاسلامية العربية التي انتهجها عندما أحس بأن الأرض غير ثابتة تحت قدميه ، وان الثورة عليه وعلى نظامه قادمة بلا ريب على يد الأحرار والشباب من أبناء تركيا والعالم العربي ، فافضى برغبته تلك الى حكومة فرنسا ، ووضعتها فرنسا موضع الاعتبار ، وكان يرى في ذلك وسيلة لاظهار اهتمامه بامور العقيدة الاسلامية في صورة ملموسة في عاصمة من اكبر عواصم الدنيا .

وعزل السلطان عبد الحميد بعد ذلك سنة ١٩٠٩ وخلفه محمد (رشاد) الخامس ثم محمد السادس وهو المعروف عندنا بالسلطان عبد الحميد (١٩١٨ ـ ١٩٢٢) ثم عزل السلطان

وحيد الدين والغيت الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ وأصبحت تركيا دولة علمانية ونام المشروع .

وبعد الحرب العالمية الأولى فكر نفر من الفرنسيين في انشاء مسجد في باريس تذكاراً للآلاف من الجزائريين الذين ماتوا خلال الحرب مدافعين عن فرنسا ، وفي ١٩ اغسطس ١٩٢٠ وبناء على اقتراح مقدم من ادوار هيو عمدة مدينة ليون الشهير وعضو مجلس شيوخ فرنسا في ذلك الحين وافقت السلطات الفرنسية على انشاء مؤسسة اسلامية في باريس واعتمدت الحكومة للمشروع ما قيمته ١٥٠ مليونا من الفرنكات ، وعلى أثر ذلك تبرعت بلدية باريس بمبلغ ١٦ مليونا للمشروع مع قطعة ارض مساحتها هكتار ، اي عشرة آلاف متر في حي جوسيو ، وهو جزء من الحي اللاتيني ، وكان في موضع هذه الأرض مبنى لمستشفى قديم مهجور يسمى مستشفى الرحمة ، وشرع في انشاء المسجد ومجموعة المباني الملحقة به وهي معهد للدراسات الاسلامية ومطعم وسوق وحديقة جميلة .

والمسجد وملحقاته يعتبر هيئة مستقلة تديرها هيئة خاصة بها يرأسها مدير جزائري باسم بلدية باريس .

والمسجد قطعة فنية بديعة من الفن المغربي الاندلسي وقد عني المعماري الذي وضع الرسم باظهار اجمل ما في الفن المغربي الاندلسي من رقة وجمال واناقة واشراق واستعمال حسن العوامل

الطبيعة من خضرة وماء كأجزاء من عمارة المسجد ، وسواء أنت في بيت الصلاة او في الصحن او تحت المجنبات التي تتألف من عقود اندلسية فان كل ما تقع عليه عينك يذكرك بمباني الحمراء الاندلسية ، وتذكرك ببدائع الفن المغربي في فاس ومكناس ومراكش وتفتح هذه العقود على أبهاء مكشوفة ، في وسطها نوافير ماء ، ويغطي حوائطها الزليج الجميل ، والخضرة تراها في كل مكان ، اما المنبر فقد صنع في مصر وهو هدية من الملك احمد فؤاد لمسجد باريس .

من الناحية الفنية الاسلامية الصرفة يفوق هذا المسجد مسجد لندن الجديد بمراحل ، فأنت هنا في مسجد باريس في جو عربي اسلامي خالص ، اما في مسجد السير جيبارد فأنت في مبنى انجليزي من طراز شرفات ناشى ، وعليه قبة ومئذنة هما شبيهان بمئذنة مصنع .

مسجد واشنطون

كان في واشنطون وغيرها من كبريات بلاد الولايات المتحدة وكندا وامريكا الوسطى والجنوبية مساجد صغيرة هي في الغالب شقة في بيت أو قاعة في مطعم او مخزناً تؤجر لهذا الغرض . وفي العادة تلجأ الجاليات الاسلامية الكبيرة الحجم الى استئجار قاعة واسعة في احد المطاعم او المنشآت المخصصة للحفلات لتقيم فيها صلاة الجمعة وخاصة صلاة العيدين .

ولكن حادثا وقع في سنة ١٩٤٥ نبه مسلمي واشنطون الى ضرورة انشاء مسجد في العاصمة الامريكية ، فقد توفي السفير التركي فجأة وتحير المسلمون في امر اقامة صلاة الجنازة عليه وتقبل العزاء فيه ، فتحرك محمود حسن سفير مصر في واشنطون اذ ذاك واتصل بمقاول مسلم امريكي من اصل لبناني هو احمد يوسف حوار واتفقا على ضرورة تحقيق مشروع المسجد ، وجرت اتصالات كثيرة بين سفراء البلاد الاسلامية التي كانت ممثلة في واشنطن في ذلك الحين وعددها احدى وعشرون وتبرعت الحكومة الامريكية بقطعة ارض واسعة في شارع ماساتشوستس وهو من اجمل شوارعها لكي يقام عليها مسجد ومركز اسلامي يليق بمقام الجماعة الاسلامية والعاصمة الامريكية في آن واحد .

وتسارعت البلاد الاسلامية في التبرع والعمل لانشاء هذا المسجد ، فاخذ المكتب الهندسي على عاتقه اقامة المسجد وفق المتطلبات المعماري في المنطقة وبالنسبة الى اماكن العبادة القائمة في المدينة فاقام المئذنة في وضع تبدو معه وكانها فوق المدخل وبناها على الطراز المصري ذي البدن المربع ، وجعل مدخل المسجد واسعا يرقى اليه الداخل على سلالم من رخام ، وجعل المدخل نفسه خمسة عقود تقوم على اربعة اعمدة من الرخام .

والمسجد كله بيت صلاة فسيح رفيع الذرى يقوم سقفه على اعمدة ضخمة من الرخام تحمل فوقها بوائك عالية من الطراز

الذي استحدثه ماريو روسي في جامع ابي العباس وتكرر بعد ذلك كثيرا في مساجد عديدة اعظمها المسجد النبوي المكرم في المدينة . وقد شاع استعمال هذا الطراز الجميل من العقود لأنه يتيح للمعماري رفع السقف الى اعلى مستوى يستطعه عن طريق تلك العقود المرتفعة التجويف السميكة الطبقات تبعا لذلك ، وتمتاز عقود داخل مسجد واشنطون بانها مفصصة كبيرة الفصوص ، والمحراب من الرخام شبيه بمحراب مسجد الرفاعي في القاهرة ، وقد صنع المنبر في القاهرة على طراز منبر جامع محمد علي .

وقد احتاج المسجد الى اربع سنوات لوضع رسمه واشرف على العمل السيد يوسف حوار ، وشاركت في عمارته وزخرفته معظم بلاد الاسلام فالقاشاني من تركيا وهو من طراز بديع ازرق وابيض ، وقدمت ايران السجاجيد ومن بينها سجادة رائعة لا تقدر بثمن مقاييسها ٢٠ قدما في اربعين ، والثريا الكبرى وتزن طنين من النحاس صنعت في مصر وكذلك المنبر ، واستقدمت هيئة الانشاء عشرات العمال الفنيين من مصر وتركيا وايران والسعودية ، وبلغ عدد القطع التي يتألف منها المنبر اثنى عشر الف قطعة من الابنوس كلها صنعت في مصر ثم ركبت على الهيكل الخشبي . وقدمت السعودية اموالا وافدة وكذلك ساهمت في النفقات شركة ارامكو وشركات بترولية اخرى . وقدم السيد

يوسف حوار هدايا كثيرة للمسجد منها النافورة الرخامية التي تتوسط ردهة المبنى والى يمينها ويسارها مبنى المركز الاسلامي الثقافي وبيت الصلاة امامها : وقد قام بتحديد اتجاه القبلة فلكي متخصص من اعضاء الجمعية الجغرافية الامريكية اما حجارة المسجد فقد قطعت من جبال الباما ذات الحجارة البيضاء الصافية . وقد قام بعملية القطع والصقل فنيون اتوا من مصر والشام خاصة . وقد بلغت تكاليف البناء وحده ١,٢٥٠٠٠٠ دولارا بخلاف القطع الفنية الكثيرة المشار اليها واستغرق انشاؤه سبع سنوات ، وتم افتتاحه في ٢٨ يونيو ١٩٥٧ وحضر حفل الافتتاح الرئيس دوايت ايزنهاور .

وبيت صلاة المسجد يتسع لثلاثة آلاف من المصلين ويزيد في بهاء المسجد قيامه وسط خضرة جميلة تحيط به من كل جانب ، والمركز الاسلامي الملحق بالمسجد يعتبر من اعظم المراكز الاسلامية من هذا النوع خارج عالم الاسلام . وفيه مكتبة اسلامية محترمة .

سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)

سلسلة مختارات إسلاميّة

من قاموس الصّائم

دار الفكر اللبناني

سلسلة
مختارات
إسلامية

صيام الناس والشاك

من تناول طعاما ناسيا انه صائم فصومه صحيح عند الشافعية . وباطل عند المالكية . ولذلك فيجب عليه القضاء . وفائدة النسيان عند المالكية انه يرفع الاثم عن صاحبه . ومن اكل او شرب ظانا ان الشمس قد غربت ثم تبين انها لم تغب بطل صومه ووجب القضاء ، وكذلك من اكل شاكا في طلوع الفجر ثم تبين انه اكل بعد طلوع الفجر فيجب عليه الامساك بقية اليوم لحرمة الشهر . ثم يقضي اليوم مستقبلا . واذا جامع شاكا في الفجر فعليه القضاء والكفارة اذا تبين خطأه هذا عند الحنابلة وغيرهم يلزمونه بالقضاء فقط كما تقدم اذ لا فرق عندهم بين الجماع والاكل والشرب . وعلة الحنابلة ان الجماع يمكن الاستغناء عنه بخلاف الاكل .

حديث شريف

الانتماء الى غير الاباء

في « كتاب الايمان ، من صحيح مسلم ، عن « ابي ذر الغفاري » رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر ، ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوا مقعده من النار » .

صيام المغمى عليه

اذا اغمي على الشخص يوما كاملا من الطلوع الى الغروب او اغمي عليه اكثر اليوم . فان صومه باطل ويجب عليه القضاء سواء كان مدركاً عند الفجر أم غير مدرك وإذا أغمي عليه نصف اليوم أو أقل اليوم فإن كان صحيحاً عند الفجر ونوى الصوم قبل حدوث الاغماء فصيامه صحيح ولا قضاء عليه وأن لم يكن مدركاً بأن حدث الاغماء قبيل الفجر واستمر إلى نصف اليوم أو أقل منه فالصوم باطل ويجب عليه القضاء .

حديث شريف

فذلك البهتان

في « الموطأ » ان رجلا سال رسول الله ﷺ : ما الغيبة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

« ان تذكر من المرء ما يكره ان يسمع » قال : يا رسول الله وان كان حقا ؟ قال عليه الصلاة والسلام :

« اذا قلت باطلا ، فذلك البهتان ».

صيام الطهاة وربات البيوت

يجوز للطاهي ان يذوق الطعام الذي يطهوه ـ وهو صائم ـ اذا كان من يعد له الطعام لا يتسامح في مواصفات معينة ، يحبها في الطعام . واذا كان للطاهي مهارة في ضبط المقادير وجودة الصنع فينبغي الاكتفاء بها . وكذلك ربات البيوت يجوز لهن ذوق فوق ما يطهون بنفس الشروط . كما اجاز الفقهاء لمن يريد ان يشتري سلعة يخشى ان يغش فيها فوق ما يريد شراءه . وفي كل حالة ينبغي التحرز الشديد من تسرب شيء مما يذاق الى الحلق ، والا وجب القضاء .

حديث شريف

خصال النفاق

عن « عبد الله بن عمرو » عن رسول الله ﷺ ، قال :

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها :

أذا اؤ تمن خان ، واذا حدث كذب واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » .

« **البخاري** »

صيام الشيوخ والاطفال

الشيوخ الطاعنون في السن ، رجالا ونساء ، اذا اجهدهم الصوم ، واصابتهم مشقة بالغة بسببه فانه يجوز لهم الافطار ، وكذلك الذي اهزله المرض وانهكته العلل ، واذا حصل الافطار لهذا العذر فيكفي المفطر فدية طعام مسكين عن كل يوم افطره وان زاد على طعام المسكين فخير . ويرى بعض المفسرين ان هذا معنى قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية . . » ويطيقونه . . يتجشمونه ويؤدونه بمشقة بالغة . والدين يسر . اما الاطفال الذين بلغوا مرحلة التمييز فيكره صيامهم لئلا يتظاهروا به ويتناولون سرا ما يبطل الصوم . خاصة في ايام القيظ . ولا بأس بتدريبهم على الصوم شتاء .

حديث شريف :

لله ما أخذ ، وله ما أعطى

حدث « اسامة بن زيد » قال : ارسلت ابنة النبي ﷺ اليه ، ان ابنا لها قبض . فأرسل يقرىء السلام ويقول :

« ان لله ما أخذ وله ما اعطى ، فلتصبر ولتحتسب »

ثم قام ﷺ ومعه « سعد بن عبادة » ورجال من الصحابة فرفع الصبي الى رسول الله ﷺ ففاضت عيناه . فقال سعد : يا رسول الله ، ما هذا ؟ فقال :

« هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء ».

من (صحيحي البخاري ومسلم)

صيام المغتاب والنمام

الغيبة والنميمة من اخطر الامراض الاجتماعية ، وهما حرامان شرعا . وبعض العلماء يرى ان الغيبة ، والنميمة تبطلان صوم المغتاب والنمام ، معتمدا على اثر ثبت ضعفه هو : « خمس يفطرون الصائم » وذكر منها الغيبة والنميمة . من هؤلاء الامام الاوزاعي القائل ببطلان صوم المغتاب ووجوب القضاء عليه ، ومنهم ابن حزم الظاهري الذي ذهب الى ان الصوم يبطل بكل معصية تقع اثناءه سواء كانت فعلا او قولا . والاصح انهما لا تبطلان الصوم . وينبغي على الصائم محاذرتهما ويكفي لما في الغيبة من الله شبه المغتاب بمن ياكل لحم اخيه ميتاً . وليس هذا فن طبائع البشر .

حديث شريف
لا ترجعوا بعدى كفارا

عن « جرير بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر » ان النبي ﷺ قال :

« لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ».
(البخاري ، ومسلم)

فتوى : افطار الحامل

زوجتي حامل في شهرها السابع ونسأل هل يجوز لها شرعا افطار شهر رمضان ؟

: مذهب الامام ابي حنيفة يبيح لها و« للمرضع » افطار شهر رمضان . . اذا خافت الحامل او المرضع تاثير الصيام على « نفسها » او « على الجنين » او « الولد ».

: وعند قدرتها الصحية على الصيام بعد رمضان تصوم بدل الايام التي افطرتها خلال شهر رمضان ولا تخرج اية فدية من مدة الافطار .

: ويرى الحنابلة ان خوف المرأة « الحامل » او « المرضع » التي تحتمل صحتها الصيام اذا كان خوفها من تاثير الصيام على

« الجنين » او على « الولد الذي يرضع » فان الشرع يبيح لهما الافطار .

: ولكنه يلزمها بالصيام بدل ايام الافطار بعد شهر رمضان كما يلزمها بتقديم « فدية » عن كل يوم افطرتا فيه بتقديم طعام « وجبتين كاملتين » للفقير او المحتاج او دفع بدل نقدى عن الوجبتين والله اعلم .

الشيخ محمد خاطر

حديث شريف

عن « عبد الله بن عمرو » رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا » .

(من صحيح البخاري)

التقيوء

لي صديقان صائمان :

« احدهما » مصاب « بالكحة » خرج البلغم من خلقه الى فمه ثم رجع الى خلفه وأمعائه . .

و« الثاني » تعمد اخراج القيء وهو صائم . .

و« انا » غلبني القيء وخرج رغما عني . . فما راى الشرع الاسلامي في صيام كل واحد منا ؟

: يرى فقهاء المالكية ان رجوع البلغم الى حلق صاحبك الاول مرة اخرى لا يفسد صومه .

: اما صاحبك الثاني فيرى فقهاء الحنفية ان الذي يتعمد اخراج القبىء من جوفه اذا كان ذاكرا انه صائم ـ ليس عن سهو ولا نسيان ـ وكذلك اذا احس بالقيء خرج كرها عنه وملأ فمه فأعاده بنفسه وهو يدكر تماما آنه صائم فإنه في الحالتين « اصبح مفطرا » ويجب عليه بعد رمصان صيام يوم بدل اليوم الدي افطره .

ويرى الحنابلة والشافعية انه ما دام عامدا عالما مختارا فقد افطر وعليه قضاء صيام يوم اخر حتى ولو لم يملا القيء فمه اما اذا كان « ناسياً » وحدث هذا سهوا عنه فانه « يتمم صوم اليوم » ولا يصبح مفطرا في هذه الحالة .

: اما انت صاحب السؤال : فقد قرر الفقهاء انك لم تفطر وصومك صحيح لان الشخص الذي « يغلبه القيء » فيلقى م في بطنه قهرا عنه ـ ودون ارادة منه ـ لا يفسد صومه ولا شيء

عليه . قال رسول الله ﷺ : ؟ من ذرعه ـ أي غلبه ـ القيء فليس عليه قضاء ومن استقاه عمدا فليقض » .

حديث شريف

الدين يسر

في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : « بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، هلكت .

قال : ما لمك ؟

قال : وقعت على امراتي وانا صائم .

فقال رسول الله ﷺ : قد تجد رغبة تعتقها .

قال : لا .

قال : فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين ؟

قال : لا

فمكث عند النبي ﷺ ، فبينا نحن على ذلك اتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر ـ والعرق : المكتل ـ

قال : اين السائل ؟

فقال : انا

قال : خذ هذا فتصدق به

فقال الرجل : اعلى افقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين الحرتين اهل بيت افقر من اهل بيتي .

فضحك النبي ﷺ وسلم قال : اطعمه أهلك » .

عجوز ضعيف

رجل كبير السن ضعيف القوى لا يقدر على الصوم فهل يجوز له الفطر في رمضان ؟

المفتي

: هذا الرجل الطاعن في السن والمرأة الطاعنة في السن العاجزان عن الصيام الان واللذان لا يستطيعان الصيام بعد رمضان لان ضعفهما بزداد كلما كبر سنهما يجوز لهما الفطر . . ولا يصومان بعد رمضان .

: واذا كان الشخص المفطر لكبر سنه « فقيرا » او محتاجا فلا يقدمْ فدية عن ايام افطاره .

: أما اذا كان قادرا ماديا على الفدية فان الشرع يوجب عليه ان يقدم لله فدية ، وهي ان يطعم فقيرا او مسكينا او اي محتاج « وجبتين كاملتين » عن كل يوم يفطره في رمضان والله تعالى يقول « وعلى الذين يطيقونه فدية » .

: واباح الامام ابو حنيفة ان ندفع « بدل الطعام » نقدا للفقير او المحتاج . والله تعالى اعلم .

حديث شريف

نصيحة نبوية

اقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن .

فتوى

هذا لا يفطر الصائم

: الاكتحال ووضع القطرة في العين ، سواء اوجد طعمه في الحلق ، ام لم يوجد ، لان العين ليست بمنفذ الى الجوف .

: الاستحمام ، وصب الماء على الرأس .

: النسيان في الاكل والشرب
العضد والرعاف ونحوهما

: تقبيل الزوجة لمن كان قادرا على ضبط نفسه . . والاولى تركها عند الاحناف والشافعية .

: الاحتلام في النوم

: التداوي بالحقن الطبية على اختلاف انواعها . . تحت الجلد وفي الفصل وفي الوريد . . كذلك حقن التقوية مثل الفيتامينات والكلسيوم وغيرها .

: الحقن الشرجية . . فحكمها مثل من يصاب باسهال .

محمد نعيم

أهل الجنة

أهل الجنة ثلاثة . ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال

حديث شريف

س و ج

المرض والصوم

: لم أتمكن من صوم رمضان في العام الماضي لمرضى ، ولم اتمكن من القضاء حتى جاء هذا العام فما حكم صيامي ؟

ـ عليك صوم رمضان الحاضر ، واما ما فاتك من صوم رمضان السابق فعليك قضاؤه بعد انتهاء رمضان وعليك ايضا

مع صوم القضاء اطعام مسكين عن كل يوم تصومه .

« إذا كانَ يَومُ صَوْمِ أحَدكم فلا يَرفثْ وَلا يصخَبْ ، فان سَابّه أحَدٌ أو قاتَله فليقُل إنيّ صَائِم » .

: ما هو حكم صلاة التراويح ولماذا اختصت بشهر رمضان وما عدد ركعاتها ؟

ـ صلاة التراويح في رمضان مستحبة وقد رغب فيها الشارع فقد قال ﷺ : من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

واختصت برمضان لانه شهر عبادة وهو افضل الشهور لذلك كان نهاره عبادة وليله كذلك وقد صلاها رسول الله عليه السلام ثماني ركعات غير الشفع والوتر وفي عهد عمر رضي الله عنه رأى أن يجمع الناس على صلاتها عشرين ركعة عدا الشفع والوتر .

« اذا جَاءَ رَمضَانُ فَتّحِتْ أبَوابُ الجَنّة ، وَغْلّقِتَ أبَوابُ النّار وصُفّدَتِ الشّيَاطين » .

كل الكتب نزلت فيه

: ما علاقة الصوم بشهر رمضان ، ولماذا فرض الصوم في هذا الشهر بالذات ؟

ـ شهر رمضان فضله الله سبحانه على سائر الشهور فجعله شهر رحمة وغفران وعتق من النار فما من كتاب سماوي الا وانزله

الله فيه ، وفيه انزل القرآن الكريم على رسول الله الامين الى خير امة اخرجت للناس .

لذلك كان سيد الشهور واعظمها عند الله تعالى فمن صامه ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر .

ولما كان لهذا الشهر هذه المكانة خصه الله تعالى بفريضة الصوم فيه التي هي دعامة من دعائم الاسلام وركن من اركانه يقول الله تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

« مَن صَامَ رمضَانَ ايمَاناً واحتِسَاباً غُفِرَ لهُ مَا تقدَّمَ مِن ذنبِه » .

امراض عصبية

: هل يجب قضاء ايام رمضان بالنسبة لمرضى الامراض العقلية بعد شفائهم ؟

ـ المجنون غير مكلف بشيء ، فلا يجب عليه صوم ولا غيره مما يكلف به العاقلون ، فاذا افاق من جنونه فلا قضاء عليه فيما فاته ، كما هو مذهب بعض الائمة ، وذهب بعض آخر الى انه يجب عليه القضاء لما فاته اذا كان جنونه استمر خمس سنوات فاقل ، اما اذا زاد على ذلك فلا قضاء عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا بنّى انها إن تَك مِثقَالَ حَبّة مِن خَردَلٍ فَتَكنُ في صَخرَة أوفى السّماوات أوفى الأرض يأتِ بِهَا الله إنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَىَّ أقِمْ الصَّلاةَ وأمُرْ بالْمعرُوفِ وَانْهَ عَنِ المنكَرِ واصبر عَلى مَا أصابكَ إنَّ ذَلكَ مِن عَزْمِ الأمُور * ولا تُصَعّر خَدَّكَ للنّاس وَلَا تَمش فِي الأرْضِ مرحاً إنّ الله لَا يُحِبّ كلَّ مُخْتَالٍ فَخُور * واقصِد فِي مَشِيكَ واغْضُضْ مِن صَوتِكَ إنَّ انكَرَ الأصواتِ لَصَوتُ الحَميرْ *»

اصحاب المقاهي

ما الرأي في صاحب المقهى والمطعم الذي يفتح محله في نهار رمضان ويقدم فيه الشراب والطعام لغير الصائمين مع أنه هو نفسه صائم ؟

هؤلاء الذين يفتحون المطاعم والمقاهي في رمضان نهارا ليقدموا الأكل والشراب للمفطرين هم منتهكون لحرمة هذا الشهر الكريم وهم بذلك اثمون لانهم في الحقيقة شركاء لهؤلاء المفطرين لان الانسان يجب عليه ازالة المنكر اما بيده ان استطاع والا فبلسانه ان قدر والا فبقلبه فان لم يفعل ذلك كان شريكا لمرتكب المنكر عليه الاثم والزر .

أما صوم هؤلاء الذين يفتحون مطاعمهم او مقاهيهم نهارا فلاحظ لهم من صومهم الا حرمانهم من الجوع والعطش ولا ثواب لهم في من هذا الصوم .

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّ اللَّهَ يأمُرُكمْ أنْ تُؤَدُّوا الأمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ ، انَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ، انَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصيراً ».

صدق الله العظيم

خلع الضرس

: ما الحكم اذا خلع الصائم ضرسه في نهار رمضان بعد أن حقنه الطبيب تحت الضرس ، ثم وضع في فمه بعض الادوية بعد الخلع ؟

ـ خلع الضرس في نهار رمضان غير مفطر للصائم والحقنة اذا لم يصل منها شيء للحلق لا تفطر ومثلها الدواء بعد الخلع الذي يتمضمض به بشرط الا يبالغ في المضمضمة كيلا يصل شيء ما للحلق .

بسم الله الرحمن الرحيم

« بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الاَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * » .

صدق الله العظيم

النوم والصيام

: عملي يستغرق الليل كله ، ولذلك فانني انام طول النهار في رمضان فهل يصح صيامي .

ـ نومك النهار كله لا يفسد صومك ، بل هو صوم صحيح بشرط ان تبيت وانت تنوي الصيام .

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ *»

صدق الله العظيم

الصوم والعمل

انني ومجموعة من زملائي نقوم بعمل شاق في النهار ، لا نقدر على أدائه مع الصيام وكذلك لا نستطيع الكف عن العمل نظراً لحاجتنا ولأنه مورد رزقنا الوحيد فهل يجوز لنا الافطار ؟

ـ العمال الفقراء المحتاجون للعمل عليهم ان يصبحوا صائمين واذا تعبوا اثناء النهار افطروا وعليهم قضاء ما افطروا فيه بعد انتهاء رمضان .

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * » .

صدق الله العظيم

الطبيب بعد الصيام

○ هل يصح للسيدة المريضة أن تعرض نفسها على الطبيب في نهار رمضان وما حكم صيامها أن هي فعلت ذلك ؟

ـ السيدة المضطرة لكشف جسدها امام الطبيب صومها صحيح وان كان الافضل لها ان تتوجه الى الطبيب بعد المغرب .

بسم الله الرحمن الرحيم

« واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ على شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون * » .

صدق الله العظيم

الأطفال . .
لا يصومون

: ما الرأي في صوم الاطفال وهل الافضل منعهم من الصيام حتى يبلغوا الحلم ؟

ـ الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم يكره في حقهم الصوم لان الصوم شاق عليهم فلو صاموا رمضان كرهوه فيعتادوا كراهيته عند البلوغ .

وايضا ربما افطروا فيه خفية ثم يظهرون انهم صائمون حتى الغروب فيعتادون ذلك بعد بلوغهم .

والصوم خلاف الصلاة لانها خفيفة عليهم لذلك يؤمرون بها اذا بلغوا سبع سنين ويضربون على تركها اذا بلغوا عشرا من السنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * » .

صدق الله العظيم

الموائد العامرة

: هل من الضروري ان تكون موائد الافطار في رمضان عامرة بمختلف اصناف الطعام بحجة الصيام ؟

ـ الاسراف في كل شيء مذموم شرعا والفضيلة هي الاقتصاد بين الاسراف والحرمان .

يقول الله تعالى : « وكان بين ذلك قواما » ويقول الرسول ﷺ : لا عال من اقتصد .

ومن ثم فينبغي للصائم عند فطره التقليل من المأكل والمشرب بحيث لا يرهق المعدة فيحصل له الضرر لان المقصود بالصوم طهارة الارواح وصحة الأبدان .

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ا الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا » .

صدق الله العظيم

فم الصائم

: لماذا كانت رائحة فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك كما يقولون ؟

ـ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لخلو فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك ».

ك وهذا مما يدل على رضاء الله ومحبته للصائم لانه ترك الطعام والشراب امتثالا لامر ربه وتقربا اليه سبحانه الذي يعلم السر والنجوى . .

والصائم لا رقيب عليه الا الله عز وجل ولذلك يقول الله : « الصوم لي وأنا اجزى به » . .

واذا أثر ترك الطعام والشراب في تغيير رائحة الفم فان ذلك محبوب عند الله تعالى وهو اطيب من ريح المسك عنده وذلك لتطبيب نفس الصائم وتبشيرها بقبول صومها ورضاء الله عنها .

الشيخ صالح شرف

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ».

صدق الله العظيم

الصوم بعد رمضان

: هل يجب قضاء الايام التي يفطرها الانسان مضطرا في رمضان عقب انتهاء الشهر مباشرة وهل يجب تتابع ايام الصيام ؟

ـ لا يجب قضاء ايام من رمضان على الفور ، وان كان يستحب لمن افطر في رمضان التعجيل بقضاء ما افطر فيه ، خوفا من حدوث ما يمنعه من القضاء واذا اخر القضاء الى دخول رمضان الثاني بدون عذر فانه يكون آثما وعليه اطعام مسكين عن كل يوم يقضيه . .

هذا ولا يجب في القضاء تتابع ايام الصيام .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ : « اياكم والكذب ، فان الكذب تهدي الى الفجور ، والفجور يَهدي الى النار ، وتحرّوا الصدقَ ، فان الصدق يهدى الى البرِ والبر يهدي الى الجنة ».

الورثة يصومون

: ما هو حكم من مات وعليه قضاء أيام افطرها في رمضان ؟

ـ من مات وعليه قضاء أيام من رمضان ، يرى بعض الفقهاء انه يصح لبعض ورثته ان يصوم عنه تلك الايام نيابة عنه لقول الرسول عليه الصلاة والسلام لمن جاءته قائلة يا رسول الله ان امي ماتت وعليها صوم نذر ، فقال لها أرأيت لو كان على امك دين فقضيته اكان يؤدي ذلك عنها ؟ قالت : نعم فقال : فدين الله أحق بالقضاء .

وقال آخرون ان الصوم عبادة بدنية كالحج لا تنفع فيهما النيابة لقوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » وهذا الذي مات قبل رمضان لا شيء عليه لانه ترك مستحبا وهو تعجيل القضاء .

الشيخ صالح شرف

قال الله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوادين احساناً .

وقال تعالى : فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

الوضوء .. لماذا ؟

ـ لماذا يتوضا المسلم خمس مرات يوميا .. مرة عند كل صلاة .. وما الحكمة في ذلك ؟

: الاسلام هو الدين الوحيد من بين الاديان الذي يهتم بسلامة الاجسام مثل اهتمامه بسلامة النفوس والارواح .

لذلك اهتم بالوضوء الذي شرعه الله ليحقق بعض هذه المقاصد .

واول ما يطالعنا من حكم الوضوء واسراره ان يكون الانسان على قدر مناسب من جمال المظهر وحسن الهيئة ولا يتم ذلك الا بتعهد ما اصاب اعضاء الجسم التي يشملها الوضوء وازالة ما علق بها من ملامسة الاشياء وتطهير هذه الاعضاء مما يحمله الهواء من التراب وتنقيتها مما تخرجه المسام من العرق وتقذفه المنافذ من اوساخ .. وبهذا يبدو الانسان نظيفا طاهرا والنظافة ركن من اركان الحسن والجمال وحينما يبدو الانسان هكذا فان الناس يحبونه ويألفونه فضلا عن حب الله له وقد جاء فى الحديث الصحيح ان النبي ﷺ قال : « إن الله جميل يحب الجمال » .

والحكمة الثانية ان في المحافظة على الوضوء نوعا من انواع الطب الوقائي . فقد ثبت طبيا ان كثيرا من الامراض تدخل في

الجسم من المنافذ التي يغسلها الانسان عند الوضوء فإذا أزيل ما علق بهذه المنافذ من العرق وغيره مما يعتبر بيئة خصبه للميكروبات كان ذلك وقاية من أسباب المرض وكان فيه السلامة وحفظ الصحة .

ويحقق الوضوء وعيا ويقظة للانسان الذي يدرك انه سيقف بين يدي الله العظيم ، فتقدم الوضوء على الصلاة بمثابة الاعداد والتهيئة لتجميع القوى الروحية وحشدها .

الشيخ سيد سابق

قال الله تعالى : « تلك الدّار الآخرة نجعلها للدين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعافية للمتقين » .

هذه المراقبة

ـ هل يقدم من صدق مع الله في صومه وراقبه فيه مخلصا على غش الناس ومخادعتهم ؟

هل يسهل عليه ان يراه الله وهو يأكل اموال الناس بالباطل ؟

هل يحتال على الله في منع الزكاة ؟ وعلى اكل الربا ؟

: يجيب الامام محمد عبده على هذه الاسئلة قائلا :

كلا . . فإن الصوم يحدث لصاحبه ملكه المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه ، وفي هذه المراقبة أكبر معد للنفوس مهيء لها السعادة في الآخرة والاستقامة في الدنيا .

ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي ، اذ لا يطول امد غفلته عن الله ، واذا نسى والم بشيء منها كان سريع التوبة ، قريب الاوبة « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ».

قال رسول الله ﷺ :

« ان العفو لا يزيد العبد الا عزاً فاعفوا يعزكم الله ، وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله ».

معنى ليلة القدر

: ما معنى ليلة القدر . . وما معنى انها خير من الف شهر ؟

ـ يقول الله تعالى : (ليلة القدر خير من الف شهر) ومعنى كونها ليلة القدر انها ليلة الشرف والرفعة فقد رفع الله من شأنها وفضلها على جميع الليالي وهي أيضاً خير على المسلمين القائمين فيها بذكر الله تعالى وعبادته شاكرين نعم الله عليهم بتوفيقهم إلى طاعته .

وأهم نعمة انعمها على البشرية جميعا هي انه سبحانه انزل فيها القرآن الكريم على رسوله الامين محمد عليه الصلاة والتسليم . انزله عليه ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

والعبادة في هذه الليلة خير من العبادة في غيرها يضاعف الله للقائمين فيها الاجر والثواب كما قال تعالى « ليلة القدر خير من الف شهر »

وقد حث رسول الله عليه السلام على احيائها فقال : من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

قال رسول الله ﷺ : « من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ».

الملائكة . . في القتال

: كيف انتصر المسلمون في غزوة بدر مع أنهم كانوا قلة بالنسبة لاعدائهم ، وهل كان امداد الله تعالى المسلمين بالملائكة يمثل مشاركة حسية او معنوية في القتال .

ـ غزا رسول الله وصحابته غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان وكان عدد المسلمين في هذه الغزوة ثلث عدد الكفار ، غير أن المسلمين وان كانوا قلة الا انهم نصروا الله فنصرهم مصداقا لقوله تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) . . فقد نصروا الله بالاعتماد عليه وبالثبات على الحق والثقة بوعد الله لهم بالنصر او بالاستشهاد وهو احب اليهم من حياة الذلة والمهانة .

لذلك كانوا يحرصون على الموت لما بعده من خير وسعادة ابدية وجنات عرضها السموات والارض فوهب الله لهم الحياة والعزة ونصرهم على أعدائهم تحقيقا لوعده فامدهم الله بجنود من عنده ، امدهم بالملائكة فقاتلوا معهم قتالا حسيا كما يشهد بذلك صريح القرآن اذ يقول الله تعالى : « اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ». ويقول : « ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فوركم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » .

فهذه الآيات صريحة في المدد الحسي والضرب الحسي ولا داعي الى تأويلها بغير ذلك فالله قادر على كل شيء والله اعلم .

الشيخ صالح شرف

قال الله تعالى :

« ومن يتوكّل على الله فهو حسبه » .

العمرة في رمضان
اصلها وشروطها

العمرة في الاصل اللغوي الزيارة التي يقصد بها عمارة المكان، وعمارة القلوب الود ، وتلاقيها على الصفاء والمحبة

والاخلاص . وقد خصها الاسلام بزيارة بيت الله الحرام . وتلاقي النفوس فيه على مودة ورحمة واخاء .

وهي سنة مؤكدة عند المالكية والحنيفية وفرض عند الشافعية . وواجبة عند الحنابلة . . ويجوز تاديتها في اي وقت من اوقات السنة الا انها تكره تحريما في يوم عرفة وفي يوم النحر ، وفي ايام التشريق .

وورد في عدة احاديث ذكرها المنذري في الترغيب والترهيب ومنها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اراد رسول الله ﷺ الحج فقالت امرأة لزوجها احججني مع رسول الله ﷺ فقال : ما عندي احججك عليه . . فقالت : احججني على جملك فلان . قال ذاك حبيس في سبيل الله عز وجل ، فاتى رسول الله ﷺ فقال : ان امرأتي تقرأ عليك السلام ورحمة الله وانها سألتني الحج معك . فقلت ما عندي ما احججك عليه ، فقالت : احججني على جملك فلان . فقلت ذاك حبيس في سبيل الله عز وجل فقال : اما انك لو احججتها هيه كان ذلك في سبيل الله قال : وانها امرتني ان اسألك ما يعدل حجة معك قال رسول الله ﷺ اقرئها السلام ورحمة الله وبركاته واخبرها انها تعدل حجة معي عمرة في رمضان »

ثواب العمرة

وفي حديث اخر عن ابن عباس رضي الله عنه قال . . قال

رسول الله ﷺ لامرأة من الانصار : ما منعك ان تحجي معنا . قالت كان لنا ناضح « جمل » فركبه ابو فلان وابنه - تعني زوجها وابنها - وترك ناضحا ننضح عليه . . » فقال صلوات الله وسلامه عليه . . « إذا جاء رمضان فاعتمري فيه ، فإن عمرة في رمضان تعدل حجة » . . قال ابن الجوزي في الحديث أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت ، كما يزيد بحضور القلب وبخلوص القصد .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ « العمرة الى العمرة كفارة » بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »

وعن جابر رضي الله عنه : ان النبي صلوات الله وسلامة عليه قال : « هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج او معتمر ، ، كان مضمونا على الله ، ان قبضه ان يدخله الجنة ، وان رده . . رده باجر وغنيمة » . . . ووردت احاديث اخرى كثيرة وكلها تدل على كثرة الثواب في عمرة رمضان

ولا تجزى عنه حجة الاسلام . . وهذا افضل من الله ونعمة حيث ادركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان اليها .

اركان العمرة
وكيفية ادائها

ويشترط للعمرة ما يشترط للحج واركانها ثلاثة : الاحرام ،

والطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، وزاد الشافعية الترتيب والحلق والتقصير .

وميقات الحج هو ميقات العمرة وهو . . الجحفة « رابغ » لاهل مصر وما كان بمكة فميقاته في العمرة الحل « وهو ما عدا الحرم الذي يحرم فيه الصيد » فافضل الحل الجعرانة ثم .

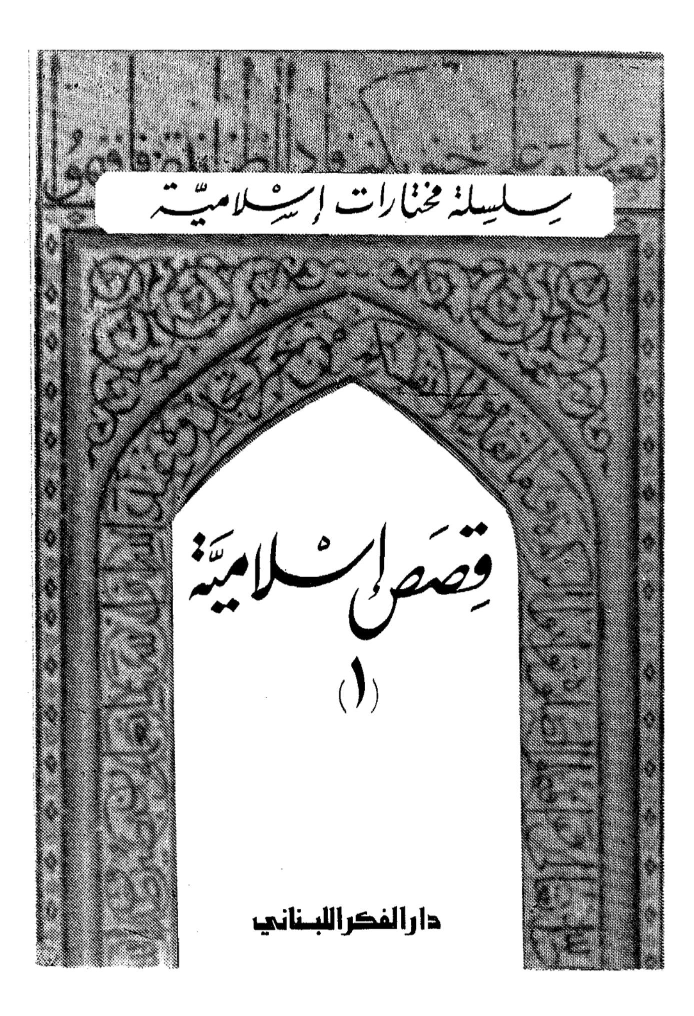
فالقادم من خارج مكرة بحرم بها من ميقات الحج ثم يطوف حول البيت ثم يسعى بين الصفا والمروة ثم يحلق او يقصر . وبهذه الاعمال تنتهي العمرة .

محمد نعيم

مطابع يوسف بيضون
طباعة وتصوير هاتف ٢٧٠٤٠١

سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)


سلسلة مختارات إسلامية
قصص إسلامية
(١)
دار الفكر اللبناني

سلسلة
مختارات
إسلامية

قصص إسلامية

١

دار الفكر اللبناني



بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً * فَأَعْرِضْ عَن مَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ العِلْم ، إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى » .

صدق الله العظيم

عمر والأرملة
كيس الدقيق

حدَّث عبد الله بن العباس عن أبيه قال :

خرجت في ليلة غاب قمرها وحلك ظلامها واشتد قرها (بردها) وأممت دار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

وما وصلت إلى نصف الطريق وأنا أتلمس سبيلي في العتمة حتى رأيت شخصاً أعرابيّاً يسير بخطى حثيثة لم أتبينه من أول وهلة فتابعت سيري . فما كان منه إلاّ أن جذبني من طرف ثوبي وقال : إلزمني ، يا عبّاس . » .

فالتفت إليه وتأملته فإذا هو أمير المؤمنين وكان قد تنكّر فقلت له وأنا لا أعي :

- إلى أين ، يا مولاي ، في هذا الليل الدامس والليلة الباردة ؟

ـ أريد جولة بين أحياء العرب لأتفقّد شؤون رعيتي وأتعرف على أحوالها في هذه الليلة القارسة . »

أذعنت لطاعته . فسار وسرت وراءه . وجعل يجول بين خيام العرب ويتأملها . يتوقف من حين إلى حين ثم يواصل سيره إلى أن أتى على جميعها . فالسكوت يُـخيم على الأحياء والقوم نيام . فالتفت إلـيّ وقال : « عُدْ بنا ، يا عباس ، قد اطمأن الآن بالي . والله لما كان في استطاعتي أن أذوق طعم النوم لو أن أحداً من أبنائي يقرسه البرد ويعضه الجوع . »

ولما هممنا بالعودة استرعى نظرنا خيمة انفردت عن الحي يلوح منها ضوء شاحب نحيل يعلو تارة ويخبو أخرى وبان لنا امرأة عجوز وحولها صبية تعلقوا بأهداب ثوبها يقتفون خطاها كيفما اتجهت . وطرق مسمعنا بكاؤهم وعويلهم وهم يرددون : « نحن جياع ، يا جدتنا . لا نستطيع النوم قبل أن نشبع جوعنا . » فتلاطفهم المرأة وتهون عليهم : « القدر على النار ، يا أولادي ، طوِّلوا بالكم . قليلاً وينضج الطعام فتأكلون وتنامون نوماً هادئاً . »

سمّـرنا هذا المشهد في مكاننا وجعل عمر يحدق إلى العجوز تارة وينظر إلى الأولاد أخرى وقد استولى عليه العجب : « ترى ما الذي قعد بهذه المرأة عن أن تهيء الطعام لأولادها في حينه وتُعشّيهم ؟ لقد تقدم الليل ولم يستو الطعام بعد . »

فقلت لأمير المؤمنين : « هلـمّ بنا ، يا مولاي ، لقد طال مكوثنا وما لنا في الأمر حيلة . لا بدّ أن ينضج الطعام أخيراً فيأكل الصبيان ويرقدوا .

ـ لا والله ، يا عباس ، لن أترك مكاني حتى أرى المرأة قد سكبت الطعام للصبية فتعشوا واكتفوا . »

ولما نفذ صبرنا قال لي عمر : « ما هذا الطعام الذي تطبخه هذه العجوز ؟ إنَّ في الأمر لَسِرّاً . هَلُم بنا ندخل عليها ونستفسرها عن الأمر . لن يهدأ لي بال قبل أن أجلو هذا السر وأعرِف الحقيقة . »

فدخل ودخلت معه . فقال لها : « السلام عليك يا خالة فردت علينا السلام أحسن رد .

قال لها عمر : يا خالة ما بال هؤلاء الصبية يتصارخون ويبكون .

إنهم يتصارخون ويبكون لما هم فيه من الجوع .

ـ ولِمَ لا تطعمينهم مما في القدر بدلاً من أن ترددي عليهم : « رويداً ، رويداً ، يا بني ، قليلاً وينضج الطعام ؟ أما حان لهذا الطعام أن ينضج بعد هذا الوقت الطويل ؟ » .

فأجابت العجوز وهي تضبط نفسها : « وماذا في القدر حتى

أطعمهم ؟ هي حيلة أحتال بها عليهم إلى أن يتعبوا من البكاء ويضجروا من العويل فيغلبهم النوم . وأبقى أنا مسهدة (لا أستطيع النوم) تحرق الدموع عيني ويدمي الألم قلبي . » .

هال الخليفة هذا الكلام الذي سمعه وتقدم إلى القدر وكشف غطاءها فإذا فيها حصباء وعليها الماء يغلي . فدهش عمر لما رأى والتفت إلى العجوز قال : « عجيب أمرك ، يا أمرأة . لقد خفي علي مرادك .

ـ الأمر في غاية البساطة . أنا أمرأة مقطوعة لا أخ لي ولا أب ولا زوج ولا قرابة وهؤلاء الصبية هم أحفادي . مات والدهم فكفلتهم . أعمل عندما يتيسر لي عمل فأعود إليهم ببعض القوت يسد جوعهم ويمسك رمقهم . ويوم لا يتيسر لي عمل ألجأ إلى هذه الحيلة فأوهمهم أن في القدر شيئاً يطبخ أعللهم به حتى إذا سئموا الانتظار وتغلب عليهم النعاس استسلموا إلى الرُّقاد .

ـ لِمَ لم تعرضي أمرك على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فيجري عليك رزقاً يقوم بأودك وأود هؤلاء الأطفال .

ـ لا حيّا الله عمر ، بل نكس الله أعلامه وقبّح وجهه . هو الذي ظلمني . »

إرْتاع الخليفة لما سمع مقالتها وقال لها بهدوء : « يا خالة ، بماذا ظلمك عمر » ؟

ـ يدّعي معرفة رعيته فرداً فرداً ويزعم أنه يسهر على راحتها ويتركني أنا وهؤلاء الصغار نتخبط في الفاقة والشقاء ولا معين لنا ولا معيل .

ـ وهل يرجم عمر بالغيب من أين يعلم بحالك وما أنت به من الفاقة وكثرة الصبية ؟ كان عليك أن تتقدمي وتعلميه بأمرك . فإن تنكّر لك وتقاعس عن مساعدتك حق لك أن تلوميه وتشتميه .

ـ لا والله لست على رأيك . بل عليه هو أن يفتش عن احتياجات رعيته . وهل تعتقد أن كل صاحب حاجة يتقدم إلى الخليفة ليعرض عليه حاجته ؟ فالحياء والعنفوان وعزة النفس تجعل المرء يفضل أن يموت من أن يعرض نفسه لذلّ السؤال . أما تعرف القول المأثور : ولكن ما الفائدة من هذا الكلام وأين أنا من عمر لأُسمعه صوتي ؟

ـ قد تكونين على حق ، يا خالة . أستحلفك ألاّ تدعي الصبية ينامون والساعة آتيك » . قال هذا وخرج وخرجت وراءه .

أما الخليفة فقد غادر الخيمة وكان قد بقي من الليل ثلثه فمشينا والكلاب تنبحنا وأنا أطردها وأدفعها عني وعنه .

حتى وصلنا إلى دار الخلافة فتوجهنا توّاً إلى بيت المونة ففتحه

ودخلنا . فعمد عمر إلى كيس من الدقيق يحتوي ثلاثين رطلاً ويزيد وقال لي : « يا عباس ، حول هذا الكيس على ظهري . » فترددت وهممت بحمله فمنعني : « إمتثل أمري . » فامتثلت وحملته إياه . ثم قال لي : « إحمل أنت جرة السمن هذه » وأشار إلى جرّة هناك ، فحملتها وخرجنا وأقفل الباب .

وصلنا إلى خيمة العجوز بعد أن أجهدنا التعب فحوَّل عمر كيس الدقيق عن ظهره ووضعت جرة السمن وانتظرت أوامره .

كان الأولاد نائمين فقال عمر للمرأة : « قد وفيت بوعدي ، يا خالة ، وأتيتك بطعام لك ولأولادك . دعيهم نائمين ريثما أحضر لهم الطعام فيأكلون » وباشر بالعمل على الفور دون أن يأبه لي أو يطلب مساعدتي .

تقدم من الموقد وأخذ القدر وكب ما فيها ووضع فيها السمن وجعل بجانبه كيس الدقيق .

وبعد جهد جهيد أتّقدت النار وارتفع لهيبها وذاب السمن في القدر وابتدأ غليانه وحين نضج الطعام أنزل القدر عن الموقد وطلب من العجوز صحفة ثم قال : « أيقظي الأولاد ليأكلوا .»

حينئذ قالت العجوز : « قد خجّلتني ، يا ابني . فإنّ لساني يعجز عن شكرك . وحتى الآن لا أعلم ما الذي حملك على أن تعمل ما عملت ولا أعرف إسمك . فهل تبوح لي به حتى أذكرك في دعائي مع هؤلاء الصغار؟ إنّك غمرتني بفضلك .

ـ يكفيك ، يا خـالة ، أن تعـرفي أنّي من أقربـاء أمير المؤمنين . . . »

ما إن لفظ عمر هذه العبارة حتى امتقع لون العجوز وارتعشت لأنها تذكرت مقالتها في الخليفة فقالت وهي تتلعثم : « أعتذر إليك ، يا ابني ، مما صدر عني في حق أمير المؤمنين . والله هي الفاقة وهو الجوع وهي المرارة التي أنطقتني بهذا الكلام . أنا عجوز شبعت من الحياة وأنتظر أن ألقي وجه ربي من يوم إلى يوم . ولكن مرأى هؤلاء الصغار اليتامى يتضوّرون جوعاً كان يؤلمني . . . »

فقاطعها قائلاً : لا تخافي يا خالة إنّ أمير المؤمنين رحب الصدر ، واسع الحلم ، لن يؤاخذك بما فرط منك . وأعدك بأنني لم أنقل إليه فهت به في سورة من الغضب دفعك إليه الضيق والحرمان . عليك أن توافي دار الخلافة من صباح غد ، فتجديني هناك . خير إن شاء الله . » ثم ودعناها وانصرفنا .

بلغنا دار الخلافة ودخلنا وقبل أن نفترق قال لي عمر : « يا عباس ، أشهد الله (آخذه شاهداً علي صدق كلامي) أن هذا اليوم أو قل هذه الليلة هي أسعد أوقات حياتي . ترى كم عانيت من التعب وحملت نفسي من العناء ، كلّ ذلك أحلى على قلبي من العسل . » ثمّ استودعني الله ولجأ إلى فراشه .

في اليوم التالي وفدت العجوز على دار الخلافة فاستقبلها

عمر . فلما وقعت عيناها عليه حتّى ارتعبت وانعقد لسانها . فلاطفها عمر وقرّبها وهدّأ روعها وجعل لها ولأولادها راتباً من بيت المال تستوفيه شهراً فشهراً . وبعد أن اطمأنت وانشرح خاطرها صرفها قائلاً : « لقد فتحت عيني ، يا خالة وأيقظت ضميري . منذ الآن لن أنتظر حتى يأتي إليَّ صاحب الحاجة ليعرض حاجته علي . بل سأفتش عنه لأقضيها له وأجنبه ذل السؤال . » فقالت العجوز ووجهها يضحك فرحاً : « بارك الله فيك ، يا عمر ، ورفع أعلامك » .

عمر بن الخطاب (٦٣٤ - ٦٤٤)

بويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق . وهو أول من سمي بأمير المؤمنين . اشتهر بالشجاعة والعدل وبساطة العيش . نظّم الدولة الاسلامية وكانت في بدء عهدها . إفتتح العرب في أيام خلافته بلاد فارس وبلاد الشام وفلسطين ومصر .

أنشأ مدينتي البصرة والكوفة في العراق ومدينة الفسطاط في مصر .

مات مقتولاً بطعنة خنجر في خاصرته .

الأمــان

أسر جنود عمر الهرمزان وهو أحد عظماء الفرس وأتوا به إلى الخليفة فهمّ بقتله . فاستمهله الهرمزان بعض الوقت واستسقى

ماء فأتوه بقدح . فأمسكه وقد بدا الخوف عليه واضطربت يده . ثم التفت إلى الخليفة وقال : « أخاف أن تقتلني وأنا أشرب . »

فأجابه عمر : « لا بأس عليك حتى تشرب . » حينئذ رمى الهرمزان القدح من يده فانكسر . فأمر عمر من حضر قال : « خذوه واقتلوه . » فقال له الهرمزان : « يا أمير المؤمنين ، هل تخلف بوعدك وقد قلت : لا بأس عليك حتى تشرب . ترى أنني لم أشرب . » فعجب عمر من دهائه وقال : « قد أخذ أماناً ولم نشعر به . » وعفا عنه .

حالة الغضب

قيل : رأى عمر رجلاً سكران فانتهره وأمر مرافقيه أن يحملوه إلى دار الخلافة لينزل به الحد (القصاص) . فهزأ به السكران وشتمه . فقال عمر : « دعوه » فانذهلوا ولكنهم امتثلوا أمره . وسأله أحدهم : « يا أمير المؤمنين ، لـمّا شتمك تركته .

ـ تركته لأنه أغضبني فأنفت أن أؤدبه وأنا في حالة غضب فلا أتبين هل أثور للحق أم أثور لنفسي . » فسكتوا وعجبوا منه .

العين الساهرة

يحكى أن عمر دعا ليلة أحد المقربين إليه وقال له : « نمى إليَّ أن قافلة قد نزلت بباب المدينة لتقضي ليلتها هناك . إني أخشى

إذا ناموا أن يسطو أحد على شيء من متاعهم . هلم معي لنقوم على حراستهم . والله إني أكره أن يقال أن أحداً سلبه اللصوص وهو في حمى عمر . » فمضيت معه ولما وصلنا أبى علي إلاّ أن أنام ويسهر هو فانصعت لأمره . فقضى ليلته ساهراً يحرس القافلة .

العدل والأمان

حكي أن القيصر ملك الروم أرسل رسولاً إلى عمر بن الخطاب . فوفد الرسول بموكب فخم . فلما دخل المدينة سأل أحدهم « أين ملككم ؟ » فأجاب : « ما لنا ملك يملك علينا بل لنا أمير يرعى شؤوننا ويسهر على راحتنا .

- أين يُقيم ؟

- قد خرج إلى ظاهر المدينة . » وقاده إلى عمر .

كان الرسول يحسب أن الخليفة يقيم في قصر فخم في ضواحي المدينة فإذا به يراه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد توسد عباءته والعرق يسقط من جبينه إلى أن بلّ الأرض . فتعجب عندما رآه على تلك الحالة لا حراس يحرسونه ولا حجاب يحجبونه . فيصل إليه من يشاء ويجلس إليه من يريد . فقال الرسول في نفسه : « عدل الخليفة فأمّن فنام واستغنى عن الحراس والحجاب . »

السيف الضائع

يروى أن سيف عمر قد ضاع . فرآه الخليفة مع أحد أفراد الرعية . طالبه به فرفض الشخص المذكور وزعم أن السيف سيفه . فترافعا أمام المحكمة وجلسا كلاهما أمام القاضي .

سأل القاضي عمر عن قضيته فأجاب : « هذا السيف الذي ترى هو سيفي وقد فُقِدَ . لا أُثبت أن المدعى عليه سرقه . قد أكون ضيعته فوجده ولم يرده . » فاحتج المدَّعى عليه قال : « إني أنكر هذا الادعاء فالسيف يخصني وقد ورثته عن أبي . وهو أعز شيء عندي . »

فالتفت القاضي إلى عمر وسأله : « هل لك أن تقيم الحجة على ما تقدمت به ؟

ـ كلاّ ، يا سيدي القاضي . ليس عندي بينة أُدلي بها فأُفحمه . » حينئذ قال القاضي : « بطل زعمك لأنه يفتقر إلى دليل (برهان) وحكمنا بالسيف للمدّعى عليه . » فأمَّن عمر على حكم القاضي وانسحب من المحكمة .

بينما هو في نصف الطريق إذ لحق به المدّعى عليه وارتمى عند قدميه يستغفره ويستميح عفوة : « لقد كذبت ، يا مولاي . فالسيف سيفك وقد سرقته . ناشدتك الله أن تتجاوز عن جرمي وتصفح عنّي . » فأنهضه عمر وقال له : « قد عفوت عنك . إحْذر أن تعاود » وتخلّى له عن السيف .

وشاية سارق

كان الخليفة هارون الرشيد بالكوفة (مدينة في العراق) يصرِّف بعض شؤون الدولة عندما دخل عليه منارة وقال له : « في الباب رجل يطلب مقابلة أمير المؤمنين . لم يبح باسمه ولم يفصح عن غايته (لم يعبِّر عنها - لم يعلنها) .

- أدخله . »

مثل الرجل بين يدي الخليفة واختلى به فترة من الزمن . ما إن انصرف حتى دعا الرشيد منارة وقال له : « أردتك لأمر لا يقوم به سواك » .

- وما هو ، يا أمير المؤمنين ؟

- بلغني خبر رجل في دمشق من بقايا بني أمية عظيم المال كثير الجاه . له أولاد وحشم ومماليك (عبيد) يركبون الخيل ويحملون السلاح . فعظم علي أمره .

- وبم تأمر ، يا مولانا ؟

- أُخرج الساعة إلى دمشق قاصداً ذلك الرجل . قيّده وجئني به . خذ ما تحتاج إليه من الخيل والزاد والرجال . تصل سير الليل بسير النهار . أجّلتك لذهابك ستة أيام (أعطيتك مهلة) ولإيابك ستة أيام ويوماً لمقامك . وهذا كتاب تسلمه إليه .

- وإذا عصى ؟

ـ تتوكل به أنت ومن معك (تقوم بحراسته) لئلا يهرب . وتنفذ رسولاً إلى أمير دمشق يسلمه هذه الرسالة فيمدك بالرجال (ينصرك) لتلقي القبض عليه . وعندماتعود به تخبرني بما دار بينكما من حديث حرفاً بحرف . وتطلعني على جميع حركاته وسكناته وإيّاك أن يشذ عنك (يفوتك ـ تسهو عن) شيء ممّا يقوله أو يبدر منه .

سمعاً وطاعة ، يا مولاي .

ـ إنطلق على بركة الله . »

قبَّل منارة الأرض بين يدي الخليفة وودعه وانصرف . راح يجدّ في سيره لا يلوي على شيء إلى أن بلغ دمشق في صباح اليوم السابع . قصد من ساعته دار الرجل فأبصر الحرس على الباب الخارجي . دخل ولم يستأذن . فهاج هؤلاء وسألوا بعض أتباعه : « من الرجل ؟

ـ هو منارة ، رسول أمير المؤمنين إلى سيّدكم . » فسكن اضطرابهم .

لما صار منارة في صحن الدار رآها تعجّ بالخدم والحشم (تزدحم بهم) فقال في نفسه : « لم أشهد مثل ذلك إلاّ في قصر الخليفة . » فأوجس خيفة (أحسَّ بالخوف) وتوقَّع شراً . كيف يقدر أن يستقوي على هذا الرجل الجبّار ؟

دخل غرفة فسيحة وقد اجتمع فيها جماعة ظن أنَّ طلبته بينهم (الرجل الذي جاء بطلبه) . عندما رأوه قاموا ورحّبوا به . فسألهم : « هل فيكم فلان ؟

ـ كلّا . نحن أولاده وهو في الحمّام .

ـ إستعجلوه . » ففعلوا .

طال به المقام ولم يأت الرجل فرابه الأمر وتملّكه القلق . قد يتوارى من باب خلفي فيخفق في مهمته . وفيما تجول في خاطره هذه الأفكار وتساوره الهواجس إذ رأى شيخاً تلوح عليه إمارات النُبل يمشي بوقار وقد خفَّ الحاضرون (قاموا من ساعتهم) وأحاطوا به . أما هو فتقدّم من منارة وسلّم عليه ثم جلس . فأتوه بأطباق فاكهة . التفت وقال : « تقدَّم ، يا منارة ، وكل معنا .

ـ ما لي إلى ذلك من سبيل . »

فلم يلح عليه . أكل هو ومن معه ثم غسل يديه ودعا بالطعام . مدَّت أمامه مائدة فاخرة عليها من ألوان الطعام ألذّها وأشهاها . إلتفت وقال : « يا منارة ، ساعدنا على الأكل . » فامتنع . لم يعاوده .

كان الأموي يبدو هادئاً مطمئناً . أمّا منارة فكان على أحرَّ من الجمر وقد حيّره هذا الرجل وغاظه منه تصرُّفه . فيتساءل :

« هل يستخف بي ؟ يخاطبني كما يخاطبني الخليفة . يدعوني إلى الطعام ولا يكرر الدعوة . يبدو كأنه لا يأبه لي (يكترث لي - يعبأ بي) ، لا بل يتجاهلني . »

فيداخله الخوف . أنّى له أن ينفذ أمر الخليفة إذا امتنع الرجل من الشخوص معه ؟ لن يقدر أن يتوكّل بحفظه ريثما ينجده أمير دمشق . والله لو كان معه جيش كامل العدة لتعذر عليه أن يتغلب على الدمشقيّ .

وكان يخيّل إليه أنه يتباطأ في الأكل ليتسنى لذويه أن يدبروا له مكيدة فيوقعوا به . ولكن ما العمل ؟ لا بدّ من الانتظار .

ما رأيك ، أيها القارىء العزيز ، هل يدبّر الدمشقي مكيدة لمنارة ؟

لما فرغ صاحبنا من الأكل غسل يديه وقام فصلّى الظهر . ثم أقبل على رسول الخليفة قال : « ما أقدمك علينا ، يا منارة ؟ » .

أخرج منارة كتاب أمير المؤمنين ودفعه إليه ففضّه وقرأه . ولما أتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فسارعوا إليه والتفوا حوله . فأيقن رسول الخليفة أنه هالك لا محالة ، ولم يستطع أن يخفي قلقه . التفت إليه الرجل وقد لاحظ اضطرابه قال : « لا تجزع ، يا منارة ، نحن من خدام أمير المؤمنين ومن أخلص الناس له . » فاستحيا منارة ولم ينبس ببنت شفة .

نظر الدمشقي إلى ذويه قال : « هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالشخوص إليه مكبَّلاً . أنصاع لأمره فوراً . أوصيكم بالهدوء والسكينة . ولست بحاجة أن يصحبني أحد . » ثم التفت إلى منارة وقال : « هات قيودك ، يا منارة » . ومدَّ رجليه . فقيده وأمر من معه أن يحملوه .

جمد الحاضرون وقد اعترتهم الدهشة وخيَّم عليهم السكوت وبدت على وجوههم إمارات السُّخط والحنق . لكنهم تمالكوا وأذعنوا لأمر سيِّدهم (خضعوا له ـ رضخوا له) . فلم يفه أحد بكلمة ولم يأت شخص بحركة .

حمل الغلمان الأمويَّ وجعلوه في شقة من المحمل وقعد منارة في الشقة الأخرى وقد تنفس الصعداء وانفرجت أسارير وجهه . لقد ظفر ببغيته .

أما الدمشقي فكان مرتاح البال أخذ يذكر لمنارة ما يملكه من بساتين وجنائن وما فيها من أشجار مثمرة وما تغلّ له كل سنة . ويحدثه عن المزارع التي تخصه وعما تدرُّ عليه من خيرات (تفيض عليه من غلات) . إلى أن قال :

« هل تعرف ، يا منارة ، أنّ العمال الذين يعملون في مزارعي يربو عددهم على الخمسة الآلاف عامل (يزيد على . .) وجميعهم يبغون رضاي ويأتمرون بأمري ؟ » .

أسخط منارة هذا الكلام ونسب إلى صاحبه الخفّة وسخافة العقل فأجابه بحدّة :

« ما أصفى بالك ، يا رجل ! ألا تعلم أنّ ما تذكره لي هو الذي أقلق أمير المؤمنين فأرسلني إليك على جناح السرعة لأخرجك من أهلك فريداً مغلولاً (وحيد ـ مقيَّد) ؟

« وقد أمرني أن أحفظ ما تقوله فأردده على مسامعه كلمة كلمة لا أخرم حرفاً (لا يفوتني منه حرف) فيعود حديثك وبالاً عليك . وقد يأمر الخليفة بسجنك أو بقطع رأسك ، من يدري ؟ وأنت بدلاً من أن تفكر في ما يؤول إليه أمرك (في ما يكون مصيرك) تبدو خالي الهم ، منشرح الصدر . هل تعتقد ، يا هذا ، أن أمير المؤمنين يدعوك إلى وليمة يولمها على شرفك ؟ تبصَّر في ما جرى لك من أحداث ، ذلك أصلح لك . »

سكت منارة وهو يظن أنه أخجل الرجل وأفحمه .

أجابه الدمشقي بهدوء : « حسبتك ، يا منارة ، رجلاً راجح العقل ، كامل الفهم ، ثاقب الرأي . وحسبت أن هذه الصفات وأمثالها أهّلتك لتكون من المقربين إلى الخليفة . لقد خاب ظني فيك . تراني خالي الهم فارغ القلب ، ولِـمَ لا يكون الأمر كذلك ؟ » .

ثم رجع (قال : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) وتابع حديثه : « لقد سلَّمت أمري إلى الله الذي خلقني ورزقني وأحياني . وكما قبلت منه الحياة أقبل من يده الموت .

« ثم اعْلَمْ ، يا منارة ، أنّي واثق بعدل أمير المؤمنين . أي جرم اقترفت (جريمة ارتكبت) فيعاقبني عليه ، وأي ذنب ارتكبت فيؤاخذني به (يحاسبني عليه) ؟

« أما وقد عرفت مبلغ فهمك (مقداره) فلن أكلمك بعد الآن كلمة واحدة حتى يفصل بيننا الخليفة . » قال هذا واعتصم بالصمت .

أمّا منارة فكان يقول كلما روى هذه القصة : « لقد عظم هذا الرجل في عيني حتى أصبحت كلا شيء . وددت والله لو انشقت الأرض وابتلعتني لما اعتراني من الخجل . »

في الوقت المعين أي في اليوم الثالث عشر شارف الموكب الكوفة ودخلها عند العصر .

وكل منارة حراسة الأموي إلى رجال ثقة وتوجه توّاً إلى قصر الخليفة . دخل عليه وقبَّل الأرض بين يديه . بادره الرشيد بقوله :

« هات ما عندك ، يا منارة . قصّ علي الخبر بحذافيره (بتفاصيله) . إيَّاك أن تغفل عن كلمة من كلماته أو تفوتك حركة من حركاته . »

روى له القصة من أولها إلى آخرها وهو يحرص كل الحرص على أن يكون غاية في الأمانة . فذكر له ما ساوره من القلق

والخوف بادىء بدء عندما رأى نفسه وجماعة الدمشقي تحيط به ولا طاقة له بمقاومتهم . وتضاعف خوفه وقلقه عندما توهّم أن الأموي يتباطأ ليبسر لجماعته الايقاع به .

كان الرشيد يصغي إليه باهتمام بالغ . فبدا عليه الانفعال والغضب . لكنّه ما لبث أن انفرجت أسارير وجهه عندما انتهى منارة إلى ذكر ما فعله الدمشقي بعد أن تلا كتاب أمير المؤمنين .

ولم يتمالك الخليفة من الضحك لما نقل إليه حديثهما في المحمل وقال : « لقد أخجلك هذا الرجل . » فعلا الاحمرار وجه منارة . فطمأنه الرشيد وقال : « لا عليك ، يا منارة . ما هذا الأموي إلّا محسودٌ على النعمة . لقد أزعجناه وروعنا أهله . إنزع قيوده وأحضره الساعة . » .

فكّ منارة قيود الرجل وأدخله على الخليفة . سلّم الدمشقي فرد عليه الرشيد رداً جميلاً وهش له (إبتسم له) وأمره بالجلوس . وأقبل عليه يسأله عن حاله وعياله إلى أن قال :

« ما بلغنا عنك حبّب إلينا أن نراك ونسمع كلامك ونقضي حاجتك فاذكرها . »

فأجاب الدمشقي بتأدُّب : « ليس لي عند أمير المؤمنين إلا حاجة واحدة .

ـ مقضية . فما هي ؟

ـ أن تردّني إلى ولدي وأهلي ليسكنوا إلى سلامتي . تركتهم وهم لا يدرون ما يؤول إليه أمري .

ـ نفعل ذلك . أذكر حاجتك .

ـ أرجو من كرم أمير المؤمنين أن يجمعني بالذي سعى به إليه .

ـ وهذه رغبة نحققها . يا منارة ، أحضر الرجل . »

دخل الرجل وهو يرعد ما وقع بصر الأموي عليه حتى قال :

« يا مولاي ، هذا أحد غلماني . إختلس ثلاثة آلاف دينار ولاذ بالفرار . »

غضب الخليفة غضباً شديداً لـمّا سمع هذا المقال وهدّد الغلام بالضرب والتعذيب . خرَّ هذا إلى الأرض وهو يرتعش من الخوف وقال متلعثماً :

« لقد صدق ، يا مولاي . أنا أحد غلمانه . سلبت المال الذي ذكره ووشيت به ليقتل فأسلم من الوقوع في يده . »

حينئذ قال الدمشقي وقد رق له قلبه : « صفحت عنه ، يا أمير المؤمنين ، وأبرأت ذمته من المال . وأمرت له بمثله . »

قال الخليفة وقد أكبر نبل أخلاقه ورحابة صدره : « ما على ما فعلت من الكرم مزيد . أذكر حاجتك .

ـ يكفيني عطفك ورضاك ، يا مولاي . »

دعا الرشيد منارة وقال : « إحمل الرجل من وقتك وسر به راجعاً إلى أهله . حتى إذا انتهيت إلى ذويه ودّعته وقفلت راجعاً . »

وصل الرجل إلى داره فاستقبله ولده وحاشيته فرحين . وكلما جرى ذكر الأموي كان الخليفة يردد :

« ما رأيت قط مثل هذا الرجل . »

الرشيد والمحكوم عليه بالموت

غضب الرشيد على أحد رعاياه فحكم عليه بالموت ودعا السيّاف لينفذ الحكم . فبكى المحكوم عليه بالموت . فقال له الخليفة : « ما يبكيك ؟

ـ والله ، يا أمير المؤمنين ، ما أفزع من الموت لأنه لا بد منه . وإنما بكيت أسفاً على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط عليّ . »

قيل : فضحك الرشيد وعفا عنه .

الرشيد وجعفر والشيخ البدويّ

مـمّا يحكى أن الرشيد خرج يوماً من الأيام هو وجعفر البرمكي وسارا في الصحراء . فرأيا شيخاً متكئاً على حماره فسأله جعفر :

من أين جئت ؟

ـ من البصرة

ـ وإلى أين سيرُك ؟

ـ إلى بغداد .

ـ وما تصنع فيها ؟

ـ ألتمس دواء لعيني .

فقال الرشيد لجعفر : مازِحْهُ .

ـ إذا مازحته أسمع منه ما أكره .

ـ بحقي عليك ، يا جعفر ، أن تمازحه .

فقال جعفر للشيخ : « إن وصفت لك دواء ينفعك فما الذي تكافئني به ؟

ـ الله تعالى يكافئك عني بما هو خير لك من مكافأتي .

ـ إنصت إلي حتى أصف لك دواء شافياً .

ـ وما هو ؟

ـ خذ لك ثلاث أواق من هبوب الريح وثلاث أواق من شعاع الشمس وضعها في هاون بلا قعر ودقها من الصباح حتى المساء .

ثم استعمل هذا الدواء كلَّ يوم عند النوم واستمر على ذلك خمسة أيام . فإنّك تعافي بإذن الله . »

فلما سمع الشيخ كلام جعفر قال له : « وهو كذلك . لا عافاك الله يا صفيق الوجه (وقح) . خذ مني هذه اللطمة مكافأة على وصفك هذا الدواء وبادره بضربة على أمّ رأسه . فضحك الرشيد حتى استلقى وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم .

الرشيد والذكّي

يحكى أن رجلاً استأذن هارون الرشيد فقال : « إني أصنع ما تعجز عنه الخلائق . » فقال الرشيد : « هات » .

أخرج الرجل أنبوبة فصب منها إبراً عدة . ثم وضع واحدة في الأرض وقام على قدميه . وجعل يرمي إبرة إبرة من قامته فتقع كل إبرة في عين الإبرة الموضوعة حتى فرغ من جميعها . فأمر الرشيد بضربه مائة سوط وأمر له بمائة دينار . فسأله الحاضرون : « يا أمير المؤمنين ، جمعت بين الكرامة والهوان (أكرمته وأذللته) .

ـ وصلته لجودة ذكائه (أعطيته) وأدّبته لكي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول .

الرشيد وطبيبه

يروى أن الرشيد قال لطبيبه جبريل بن بختيشوع وهو حاج في مكة : « يا جبريل ، علمت منزلتك عندي .

ـ يا سيدي ، وكيف لا أعلم ؟

ـ دعوت لك والله دعاء كثيراً . » ثم التفت إلى من حوله وقال : « عسى أنكرتم قولي له » فأجابوه : يا سيدنا ، إنه ذمّـي (نصراني) .

ـ نعم . ولكن صلاح بدني به وصلاح المسلمين بي . فصلاحهم بصلاحه وبقائه .

ـ صدقت ، يا أمير المؤمنين .

مطابع يوسف بيضون
طباعة وتصوير هاتف ٢٧٠٤٠٤

سلسلة مختارات اسلامية

سلسلة مختارات إسلامية

قصص إسلامية

(٢)

دار الفكر اللبناني



سلسلة
مختارات
إسلامية



قِصَص إسْلَامية

٢

دار الفكر اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم

« لا تَجِدُ قَوْماً يؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ وأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المفْلِحُونَ * »

صدق الله العظيم

المعتصم والحطّاب

قَرّر المعتصم ـ وهو ثامنُ الخلفاء العباسيين ـ أن يقوم برحلة صيد .

كانت رحلات الصيد عند الملوك والأمراء من المواسم المشهودة . يعدون لها العدة ويدعون إليها أعيان الحاشية ووجوه البلاد . وكانت لياليهم وأسمارهم تعمر بالحديث عن تلك الرحلات وما رافقها من أحداث مثيرة ومفاجآت غريبة .

في غداة يوم من الأيام خرج المعتصم مع أصحاب له وبعض الجنود في طلب الصيد في الشمال الغربي من مدينة « سُرَّ من رأى » وهي المدينة التي أنشأها المعتصم .

وتحرك الموكب . كان صهيل الخيل يختلط مع حداء الفرسان وبعض الأصوات التي ترتفع منبهة إلى وحش يهرب أو غزال شارد حيث تنصبّ عليه السهام كالمطر فيروح يخبط في الأرض يخضّبه دمه ، وتجرّه الكلاب وقد شعرت بفرح الفوز .

ويتابع الرَّكْب سيره باحثاً عن الطرائد . ولا يلبث الصيادون أن يتفرّقوا كلٌّ في أمر طريدة يحاول الظفر بها .

أما الخليفة فقد لاح له من بعيد غزال هارب فطارده على متن حصانه وجدّ في أثره .

إستحث جواده فانطلق يسابق الريح لا يكل ولا ينثني حتى لحق بالغزال الذي نهكه التعب فسقط أرضاً . فترجّل المعتصم وأسرع إليه يربطه من قائمتيه الأماميتين بغية حمله معه وإضافته إلى ما في حدائق القصر من حيوانات غريبة تُضفي الجمال على الحدائق والقصر لغرابتها وتنوُّعها وأطوارها .

بينما هو في طريق العودة إذ لمح مشهداً شده إليه شدّاً ، فانعطف صوبه فإذا شيخٌ حطابٍ جعدت الأيام جبينه وبانت عروق يديه ، ذو لحية بيضاء تتدلّى على صدره . كان التعب قد نهكه والعرق تصبّب منه وهو يحاول أن ينهض حماراً زلق في أرض موحلة وعلى ظهره حِمْل من الحطب .

آلم الخليفة مشهد هذا الحطّاب الطاعن في السنّ يجهد نفسه لينتشل حماره من الأوحال ولا يفلح . فأشفق عليه وخفّ إلى مساعدته يربط صدر الحمار بحبل أخذه عن جواده ثم شد بالحبل فرفع الحمار من الوحل وأخرجه .

فقال له الخليفة : « رافقتك السلامة ، يا عم ، آمل ألاّ تتعرض مرة أخرى إلى مثل هذا العذاب . »

قال الشيخ : « لا أعرف كيف أشكر لك صنيعك ، أيها الشاب اللطيف . رضي الله عنك وأمد بعمرك وأقرّ عيني والديك بك . هلا بحت لي باسمك فأذكرك في دعائي صباح مساء وأدعو لك بالتوفيق . » وأردف قائلاً : « أرى علامات النُبل على محياك (وجهك) . والله ما عهدت مثل هذا العطف والمروءة في أمثالك . »

ابتسم المعتصم وقال : « هذا أقلُّ ما يجب علي من كان بمنزلتي ، يا عـمّاه . أمّا اسمي فلا حاجة لك بمعرفته . المهم أنك استرحت الآن فاذهب بهذا الحطب إلى بيتك . وأسألك أن تقول لي اسمك وأين تقطن علّني أستطيع مساعدتك في المستقبل . » .

وفيما الشيخ يهمّ بالذهاب بعد أن أجاب الشاب إلى طلبه إذا به يرى جنوداً مقبلة . وما دنوا من الشاب حتى ترجلوا وسلموا بسلام الخلافة . فأوشك العجوز أن ينهار وصار يرتعد خوفاً محاولاً أن يعتذر ولكنه عبثاً يحاول فالكلمات تخونه .
لاحظ المعتصم اضـطرابـه فـلاطفـه وهـدّأ من روعـه وقال : «لا بأس
عليك ، أيها الشيخ ، هدِّىء من اضطرابك . المهم أننا قدرنا على مساعدتك . » وأردف قائلاً : « أصدقني الخبر . ماذا يقول الناس عن حكم المعتصم » ؟

ـ يرى الناس فيك ، يا مولاي ، الحاكم العادل الذي لا يؤخذ بقوة القوي ولا يحتقر ضعف الضعيف . الناس يكبرون فيك المروءة والشجاعة ويدعون لك : أمدَّ الله بعمر مولانا الخليفة ونصره على أعدائه » .

سَرَّ الخليفة مقال الحطّاب وطاب له أن يتابع الحديث مع هذا الشيخ الوقور فسأله : « ما الذي حملك على مغادرة بيتك في مثل هذا اليوم ، أليس عندك في العائلة من يكفيك مؤونة هذا العمل المضني وقد تقدمت في السن وحق لك أن تتقاعد عن العمل ؟

ـ بَلَى ، يا سيدي . لي ولد شاب ـ بارك الله فيه ـ إنّه يحدب علي ويجنبني كل تعب وعناء . إنّما أصابه مرض منذ أيام ألزمه الفراش . فجئت أنا أحتطب لأبعث الدفء في البيت علّ هذا يساعد ولدي ويخفف عنه بعضاً مما يقاسيه في مرضه .

ـ وهل استدعيت طبيباً يداوي ولدك ؟

ـ كلا ، يا مولاي ، لا سبيل إلى ذلك .

ـ لا تجزع سننظر في أمرك وأمر ولدك . »

حينئذ أمر المعتصم للحطاب بمبلغ من المال يخفف عنه وطأة الفاقة ويضفي على البيت مسحة من السعادة والفرح . ثم أشار إلى واحد من رجاله قائلاً : « أسرع إلى القصر وادع أحد أطبائي

لمعالجة الشاب المريض . » وأوعز إلى بعض رجاله أن يرافقوا الشيخ ويوصلوه إلى بيته .

ما إن وصلوا إلى البيت حتى عاد رجال الخليفة أدراجهم ودخل الشيخ فشاهد ولده يتلوّى على فراش الألم ونظر إلى أمرأته فرآها شاخصة إلى المريض وهي تذرف الدموع . فاقترب منها وهمس في أذنها كلمات انفرجت لها أساريرها وبرق في عينيها بارق أمل . وما هي إلّا لحظات حتى وافاهم طبيب الخليفة ففحص الشاب ووصف له الدواء وطمأنهم إلى سلامة إبنهم وانْصرف . وقصّ الشيخ على امْرأته وأولاده ما حدث له في نهاره فشكروا الله على نعمته ودعوا للخليفة بدوام العزّ والسلطان .

المعتصم ٨٣٣ ـ ٨٤٢

المعتصم هو ثامن الخلفاء العباسيين ، إبن الخليفة هارون الرشيد وأخو الخليفة المأمون تولى الخلافة بعد موت أخيه . وقد أسند ـ تحت تأثير أمه التركية ـ المناصب الهامة في الادارة والجيش إلى الأتراك . فأصبحوا مع الوقت أصحاب النفوذ في الدولة وأصحاب الحل والربط .

قام بعدة حروب ضد الروم (.الامبراطورية الرومانية

الشرقية) وأشهرها حصار عمورية وهي حصن حصين في الأناضول (تركية) فدخلها وأعمل السيف في سكانها (٨٣٨) . وسار إلى القسطنطينية عاصمة الروم يريد افتتاحها . لكن ثورة نشبت في بلاده أجبرته على العودة دون أن يحقق مقصده .

« سُرَّ من رأى »

بنى المعتصم مدينة « سُرَّ من رأى » . وجعلها عاصمة لحكمه . ويتناقل الناس حادثة طريفة جرت له في تلك المدينة . كان مرَّة في ديوانه وفي يديه جوهرتان وهّاجتان (تتّقدان كأنهما جمرتان) قدمتا له وكان معجباً بهما أشدَّ الإعجاب .

وما إن دخل عليه شاعره حتى بادره المعتصم بالجوهرة في اليد اليمنى . فطمع الشاعر بأختها فاعتدل في جلسته وأنشد على الفور :

بِسُرَّ مرّا لنا إمامٌ
تَغْرِفُ مِنْ جُودِهِ البِحارُ
لَمْ تَأْتِ يُمْناهُ شيئاً
إلّا أتتْ مِثْلَها اليَسارُ

فضحك الخليفة وقد أعجبته النُّكتة فرمى الشاعر بالجوهرة في اليد اليسرى وقال : « قاتلك الله ما أطمعك » .

الخارجيّ والمعتصم

أُلقي القبض على رجل من الخوارج (خرج على الخليفة فعصاه فهو خارجيّ) فأُتي به المعتصم وهو في مجلسه ، فحكم عليه بالموت ودعا بالسيّاف ليقطع رأسه . أما الخارجيّ فبقي رابط الجأش لم تظهر عليه علامات الجزع والخوف . فأعجب به الخليفة وقال : « أما تهاب الموت ؟ إذا كان لك حجة تدفع بها الموت عنك فأدل بها (أُذكرها) .

ـ وماذا أقول ، يا أمير المؤمنين ؟ عظمت جريرتي (جرمي ـ ذنبي) وانقطعت حجتي ولا أمل لي إلاّ برحابة صدرك وعفوك . فالموت أمر محتوم .

ولكنَّ خَلْفي صِبْيَـةً قـد تـركتُهم
وأكبـادُهم مـن حَسْـرةٍ تَـتَـفَـتَّـتُ

قيل : بكى المعتصم وقال له : « وهبتك لصبيتك وأمرت لك بصلة . إياك أن تعاود فتخالف الحكام في شؤونهم . » فشكره وانصرف .

المعتصم وطبيبه

إختار المعتصم لنفسه سلمويه الطبيب ـ وكان نصرانياً ـ وأكرمه إكراماً يفوق الوصف وكان يسميه أبي . وكان يقول :

« سلمويه طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة لأن هذا يحكم في مالي وذاك يحكم في حياتي . وحياتي أشرف من مالي وملكي » .
ولما اعتل سلمويه واشتدت عليه العلة عاده الخليفة وبكى عنده .
وعندما بلغه خبر وفاته امتنع من الأكل يومه كله وأمر بأن تقام جنازته في دار الخلافة ويصلّى عليه بالشمع والبخور على زيٍّ النصارى وشهد هو جنازته . داخله لموته حزن عميق وقال : « لن أعيش بعده طويلاً » . ولم يعش بعده تمام السنة .

كرم المعتصم

وهذه أبيات امتدح بها أبو تمام الخليفة المعتصم :

تَعــوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتّى لَــوَ أنَّــهُ
أرادَ انْقِبــاضــاً لَمْ تُــطِعْــهُ أنــامِلُهْ
هُــوَ البَحْــرُ مِنْ أيِّ النَّــواحي أتَيتَــهُ
فلُجَّتُــهُ المَعْــروفُ والجُــودُ ســاحِلُهْ
وَلَــو لَمْ يَكُنْ في كفِّهِ غيرُ رُوحِهِ
لَــجَــادَ بهــا فَــلْيَــتَّــقِ اللهَ ســائِــلُهْ

رائحة الثوم

في يوم من الأيام وفد على الخليفة المعتصم أعرابي يقول

الشعـر . إستأذن الأعـرابي في الدخـول فحجبه الحـاجب (منعه) . ولما لم يكن يعرف أحداً من الحاشية يسهل له السبيل وقف في الباب ينتظر ولكن دون جدوى . لبث بمكانه حتى المساء ولم يلتفت إليه أحد . عاد في اليوم الثاني فمنعه الحاجب من الدخول وعاد في الأيام التالية فأصابه ما أصابه في اليومين السابقين . فقال في نفسه « والله لن أعود إلى الصحراء قبل أن أصل إلى الخليفة . سآتي بابه كل يوم حتى يمل الحاجب فيسمح لي بالدخول . »

وأخيراً لطف به الحظ وانتهى أمره إلى المعتصم فقال لخادمه : « أحضر الأعرابيّ . » فجاءه الخادم وقال : « إنّ أمير المؤمنين يدعوك . » فقام من ساعته ودخل فحيّا الخليفة ثم قال : « قلت أبياتاً في أمير المؤمنين إذا أذن لي في إنشادها .

ـ هات ما عندك . »

فأنشد أبياتاً استحسنها الخليفة وأجازه عليها .

وتتابعت الأيام وكان الأعرابـيّ لا يفارق باب المعتصم . وكان يتاح له أن يدخل إليه الفينة بعد الفينة فينشده شعراً ويروي له أيام العرب فيصغي إليه بانبساط ويغدق عليه الهبات وقد أعجب بفصاحة لسانه وسعة إطّلاعه . وأخيراً قربه وأدناه وجعله نديمه حتى أصبح أول داخل على أمير المؤمنين وآخر خارج من دار الخلافة . وكان الخليفة يستشيره في شتّـى شؤون الدولة

فيستصوب رأيه ويعمل به . وكلّما ازداد به خبرة ازداد به تعلقاً وقد رأى فيه رجلاً ثاقب الرأي ، عالي الهمة ، خالي الغرض .

وتوالت الأيام وتوثقت الصلات بين الخليفة والأعرابي فقلق الوزير لهذه الحالة . رأى أن الخليفة ينصرف عنه ويقبل على الأعرابي فيرفع مقامه يوماً بعد يوم ويحط من منزلته من يوم إلى يوم . فغار منه وتنكر له وحاول أن يوقعه في ورطة أو يأخذه بزلة فلم يفلح . وكان كلما مثل بحضرة الخليفة يغمز على الأعرابي فيتجاهل الخليفة كلامه ولا يقيم له وزناً .

وأخيراً فتقت له وسيلة شيطانية ارتاح لها : « والله سأكيد له مكيدة تودي بحياته » فانبسطت أساريره وانكشف غمه ونام ملء أجفانه .

نهض في الصباح جذلاً نشيطاً وأمّ دار الخلافة .

وعندما التقى الأعرابي هشّ له ولاطفه وتودد إليه ودعاه إلى طعام الغداء في اليوم التالي فقبل دعوته عن طيب نفس وهو يفكر : « ماذا طرأ على الوزير حتى بدّل موقفه مني ؟ » في الوقت المعين أقبل الأعرابي فخفّ الوزير إلى استقباله وأدخله داره وأكرمه واحتفى به . وكان أعدّ له وليمة فاخرة حوت ما لذ وطاب من ألوان الأطعمة وقد أكثر فيها من الثوم ، والثوم من التوابل يطيب الطعام ، فأكلا بشهية . وبعد أن فرغا جلسا يتجاذبان أطراف الحديث .

عندما أزفت الساعة الثالثة استأذن الأعرابي وهمّ بالذهاب فشيعه الوزير حتى مدخل الدار . وقال له وهو يودعه : « لي إليك نصيحة : إذا أتيت دار الخلافة إحذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك ويتنكر لك فإنه يكره رائحة الثوم أشد الكره ويتقزز منها . » فشكر له نصيحته وانصرف إلى بيته .

فما كان من الوزير إلاّ أن أسرع إلى الخليفة قبل أن يفد الأعرابي وقد عبس وجهه وقطب حاجبيه وبدا عليه القلق والاضطراب . فما إن دخل حتى لاحظ الخليفة اضطرابه فأنكر ذلك وصاح به : « ويحك ، أي خبر شؤم تحمل إليّ ؟

ـ والله ، يا أمير المؤمنين ، هو خبر شؤم ، أخلني (أريد أن أكلمك على انفراد) .

ـ قل ، ليس علينا رقيب . »

تردد الوزير قليلاً ثم قال : « أخباري لا تسرك ، يا مولاي . أسألك أن تعفيني من الكلام .

ـ لا أُمّ لك ، ماذا تقول ؟

ـ أخاف إن أفضيت إليك بما قاله الأعرابيّ أن يشق عليك مقاله ويكدر صفو عيشك .

ـ أعزم عليك أن تصدقني الخبر .

قصّ عليه الوزير خبر الدعوة التي وجهها إلى الأعرابي والوليمة التي أولمها له وما دار بينهما من حديث . ثم انتهى إلى القول : « قبل أن ينصرف همس في أذني : لا أخفي عليك أنّ أمير المؤمنين أبخر كريه رائحة الفم وهلكت من رائحة فمه . والله لقد تبرمت بمجالسته وتاقت نفسي إلى هجره .

ـ أوَ قالها ! والله لأُنْقعنّه في دمه إذا صحّ كلامك . »

انصرف الوزير من عنده ولسان حاله يقول : « أتت ساعتك أيها الأعرابـيّ اللعين . » .

ظلَّ الخليفة يترقب مقدم الأعرابي وهو على أحر من الجمر وعند الساعة الخامسة أطل الأعرابي على عادته ودخل على الخليفة فهشّ له وقرّبه وأعلى مجلسه . لكن الأعرابي تنحى وجعل كمه على فمه ومخافة أن يشم الخليفة رائحة الثوم . فلما رأى المعتصم ذلك منه كاد يتميز غيظاً لكنه كتم غضبه . وعندما حان وقت الانصراف ودع الأعرابي الخليفة وعاد إلى منزله كالمعتاد خالي البال مطمئناً .

ما خرج الأعرابي حتى استدعى المعتصم كاتبه وأمره بكتابة كتاب إلى أحد عماله في المقاطعات وحرّر الكتاب وضمنه ما أوعز به إليه الخليفة . وعندما سلمه إياه قرأه المعتصم وعلامات الرضى بادية عليه ثم ختمه بخاتمه .

في اليوم التالي أقبل الأعرابي كالمعتاد ودخل على الخليفة . فخلا به فترة قصيرة سلمه فيها الكتاب وأمره بحمله إلى صاحبه . قبّل الأرض بين يدي المعتصم وخرج من عنده باسم الثغر هادىء البال وتوجه إلى بيته ليتهيأ للسفر .

في هذه الأثناء وصل الوزير فلقي الأعرابي خارجاً من القصر فحياه وسأله : « إلى أين ، يا صاحبي ؟ أراك تغادر القصر في ساعة مبكرة .

ـ وَكَلَ إلي الخليفة مهمة ولا بد من إنجازها .

ـ وما هذه المهمة ؟

ـ أمرني بحمل رسالة إلى عامله فلان وتراني أتوجه لأوصلها إليه . »

اضطرب الوزير لدى سماعه هذا الكلام وأيقن أن مسعاه قد باء بالخيبة لكنه تجلد وقال : « أنا على وشك السفر إلى البلد الذي تقصده وسوف أعجل سفري فأوفر عليك التعب والمشقة . هات الرسالة لأحملها إلى صاحبها .

ـ لك ما تريد . أنت صاحب الأمر .

ـ لا ترجع إلى القصر قبل عودتي . » ثم تسلم منه الرسالة وأمر له بمبلغ من المال .

قفل الأعرابي راجعاً إلى منزله وحمل الوزير الرسالة ومضى .

بعد سفر دام يوماً واحداً بلغ الوزير البلد الذي يقصده وتوجه لتوه إلى دار عامل الخليفة . ما إن علم هذا بقدومه حتى هبّ لاستقباله وأدخله القصر وبالغ في إكرامه والحفاوة به . وعندما استقرّ بهما المقام قال الحاكم للوزير : « شرَّفتنا ، يا سيدي الوزير ، خير مقدمك ، إن شاء الله .

ـ خير بإذن الله . هذه رسالة بعث بها إليك أمير المؤمنين وأوعز إلي بأن أسلمك إياها يداً بيد . وها أنا أقوم بالمهمة الموكولة إليّ . » وسلّمه الرسالة .

تناول العامل الرسالة وقبّلها ثم فض ختمها وقرأها . راعه مضمونها ولكنه ضبط نفسه وأعاد قراءتها مرتين وثلاثاً وهو لا يكاد يصدق ما ورد فيها . كتاب وجيز العبارة ، واضح الفحوى يتضمن أمراً نافذاً على الفور . فنادى « يا غلام » . فأقبل الغلمان يتسارعون . فأومأ إلى رئيسهم وأسرَّ إليه بكلمات لم يسمعها أحد سواه . ثم التفت إلى الوزير وقال : « سننفذ أمر أمير المؤمنين بحذافيره . هوذا رئيس الغلمان يرافقك إلى جناح الضيافة ويقوم بخدمتك ويسهر على راحتك ريثما نهيء الجواب عن رسالة الخليفة . »

أعاد الحاكم قراءة الرسالة وقد جاء فيها : « تقطع رأس حامل هذا الكتاب دون إبطاء أو مراجعة . » فتساءل : « ما

الذي أغضب المعتصم على وزيره فحكم عليه بالموت حكماً مبرماً ؟ في يده الأمر والنهي وحكمه نافذ لا مرد له . وإلى من تستأنف حكماً أصدره أمير المؤمنين ؟ . . . »

دخل إليه رئيس الشرطة وقطع عليه مجرى أفكاره وقال: « نفذ الأمر ، يا مولاي . . » .

أما الأعرابي فقد امتثل أمر الوزير وقبع في منزله يترقب عودته . يجد نفسه في ورطة . لا يجرؤ أن يمثل بحضرة الخليفة فيسأله عن مصير الرسالة فيتعذر عليه الجواب ولا يمكنه أن يصارحه بالحقيقة فيغضب عليه وعلى الوزير . فما بقي إلّا الانتظار . وطال غياب الوزير .

أمّا الخليفة فانشغل باله لا على الأعرابي وهو يحسبه في عالم الأموات بل على الوزير الذي لم يأت القصر منذ ثلاثة أيام بينما كان يؤمّه مرتين في النهار . استعلم عنه فقيل له : « سافر في مهمة » .

ـ سافر في مهمة ! ومن وكلها إليه وكيف يسافر من غير إذني ؟ كنت كلّفت الأعرابي بأمر . . .

ـ إن الأعرابي مقيم في بيته .

ـ أحضروه على جناح السرعة .

دخل الأعرابي على الخليفة وقبّل الأرض بين يديه ووقف ينتظر

وهو يرتجف من الخوف . صعد الخليفة فيه بصره وقد بدت عليه الدهشة وقال : هذا أنت ؟

ـ نعم ، يا مولاي ، أنا عبدك وخادمك .

ـ وهل أبلغت الرسالة صاحبها ؟

فتردد وتلعثم . فقال له المعتصم : « أُصدقني الخبر وأنت آمن » فأفرخ روعُه وقص عليه قصة الرسالة وأضاف : « استميح عفوك ، يا مولانا . أمرني الوزير بأن أُسلمه الرسالة فلم أستطع أن أُخالف أمره . »

طيَّب الخليفة خاطره وسأله : « بقي أن تبين لي لماذا سترت فمك بكمك في آخر مرّة حضرت مجلسي .

ـ لئلا تتأذى من رائحة الثوم .

ـ ومن قال لك أنّـي أتأذّى من رائحة الثوم ؟

فسرد له خبره مع الوزير . أطرق الخليفة برهة ثم قال : « إحمد الله على سلامتك ، يا ابْني . ذهب الوزير في سفرة لن يعود منها . لذلك استوزرتك بدلاً منه . قاتل الله الحسد فإنه يقتل صاحبه .

عبد الله بن الزبير ومعاوية

كان لعبد الله بن الزبير أرض وكان له فيها عبيد يعملون

فيها . وإلى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضاً عبيد يعملون فيها . فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتاباً إلى معاوية يقول فيه : أما بعد . يا معاوية ، إن عبيدك قد دخلوا في أرضي فانْههم عن ذلك ، وإلّا كان لي ولك شأن والسلام .

فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه إلى ولده يزيد ، فلما قرأه قال له معاوية : « يا بني ، ما ترى ؟

ـ أرى أن تبعث إليه جيشاً يكون أوّله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه .

ـ بل غير ذلك خير منه ، يا بني .

ثم أخذ ورقة وكتب فيها : أما بعد ، فقد وقفت على كتابك وساءني ما ساءك والدنيا بأسرها هيّنة عندي في جنب رضاك . نزلت عن أرضي لك فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال . والسلام .

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه : قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه . ولا أعدمه الرأي الذي أحلّه من قريش هذا المحلّ . والسلام .

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به إلى إبنه يزيد ، فلما قرأه تهلّل وجهه وأسفر . فقال له أبوه : يا

بني ، من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال إليه القلوب . فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الداء .

الهدية

بلغ عبد الملك عن عامل من عماله انه يقبل الهدايا فأشخصه إليه . فلما دخل عليه قال له : « أقبلت هدية منذ وليت ؟

ـ يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال .

ـ أجب فيما سألناك عنه . أقبلت هدية منذ وليت ؟

ـ نعم .

ـ لئن كنت قبلت ولم تعوّض انك للئيم . ولئن كنت أنلت مهديها من غير مالك أنك لخائن جائر . وما فيما أتيت أمر تخلو به من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع . » وأمر بصرفه من عمله .

(من نوابغ الحكم : ان البرطيل تقصر الأباطيل) .

أريد الخلوة بك

قال لعبد الملك بعض جلسائه يوماً : « أريد الخلوة بك » . فلما خلا به قال له عبد الملك : « بشرط أن تترك ثلاث خصال :

لا تُطِر نفسي عندي فأنا أعلم بها منك ، ولا تغتب عندي أحداً فإني لست أسمع منك ، ولا تكذبني فلا رأي لكذوب » . قال : « أتأذن لي بالانصراف ؟ » . قال : « إذا شئت . »

ما ترك الأعرابي لنا عذراً

قيل أن بعض وفود العرب قدموا على عمر إبن عبد العزيز رضي الله عنه ، وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال : يا أمير المؤمنين ، أصابتنا سنون ، سنة أذابت الشحم وسنة جرّدت اللحم وسنة تعرّقت العظمْ ، وفي أيديكم فضول أموال . فإن كانت لنا فعلام تمنعونها عنا ؟ وإن كانت لله ففرّقوها على عباد الله . وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا ، إن الله يجزي المتصدقين . . . فقال عمر بن عبد العزيز : ما ترك الأعرابي لنا عذراً في واحدة .

إبراهيم بن سليمان

لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفى رجال بني أمية ومنهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك . وكان إبراهيم رجلاً عالماً عاملاً أديباً كاملاً وهو في سن الشبيبة . فأخذوا له أماناً من السفاح . فقال له يوماً : حدثني عما مر بك في اختفائك .

قال : « كنت ، يا أمير المؤمنين ، مختفياً في الحيرة في منزل بشارع على الصحراء . فبينما أنا على ظهر البيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيّلت أنها تريدني . فخرجت من الدار متنكراً حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحداً أختفي عنده ، فبقيت في حيرة . فإذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها . فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس فدخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه . فقال : « من أنت ، وما حاجتك ؟ »

فقلت : « رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك . » فأدخلني منزله ثم صيّرني في غرفة تلي حرمه . وكنت عنده في ذلك على ما أحب من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شيء من خلالي . إلاّ أنه كان يركب كل يوم ركبة . فقلت له : « أراك تدمن الركوب ففيم ذلك ؟ »

فقال : « إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبراً وقد بلغني أنه مختفٍ فأنا أطلبه لأدرك منه ثأري . » فكثر والله تعجبي وقلت : ساقني القدر إلى حتفي في منزل من يطلب دمي ، وكرهت الحياة . فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فأخبرني ، فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه .

فقلت : « يا هذا ، قد وجب عليّ حقّك . ومن حقك أن أدلك على خصمك وأقرب إليك الخطوة .

ـ وما ذاك ؟

ـ أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثأرك .

ـ أحسبك رجلاً قد مضّه الاختفاء فأحببت الموت .

ـ لا والله ، ولكن أقول كل الحق ، يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا . »

فلما علم صدقي تغيّر لونه واحمرّت عيناه وأطرق ملياً ثم قال : « أما أنت فستلقي أبي عند حكم عدل فيأخذ بثأره . وأما أنا فغير مخفر ذمتي فأخرج عني فلست آمن عليك من نفسي . » وأعطاني ألف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه . فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين .

أبو جعفر المنصور

كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل متكتماً وكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث . فلما أفضت الخلافة إليه قدم أزهر عليه فرحب به وقربه وقال : ما حاجتك ، يا أزهر ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، داري متهدمة وعلي أربعة آلاف درهم وأريد أزوج ابني محمداً . » فوصله باثني عشر ألف درهم

وقال : « قد قضينا حاجتك ، يا أزهر ، فلا تأتنا بعد هذا طالباً . » فأخذها وارتحل .

فلما كان بعد سنة أتاه فقال له أبو جعفر : « ما حاجتك ، يا أزهر ؟ » قال : « جئت مسلماً . » فقال : « لا والله ، بل جئت طالباً . وقد أمرنا لك باثني عشر ألف درهم فلا تأتنا طالباً ولا مسلّماً . » فأخذها ومضى .

فلما كان بعد سنة أتاه فقال : « ما حاجتك ، يا أزهر ؟ » قال : « أتيت عائداً . » فقال : « لا والله ، بل جئت طالباً وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً ، فاذهب ولا تأتنا بعد لا طالباً ولا مسلّماً ولا عائداً . » فأخذها وانصرف .

فلما مضت السنة أقبل فقال له : « ما حاجتك ، يا أزهر ؟ » قال : « يا أمير المؤمنين ، دعاء كنت أسمعك تدعو به جئت لأكتبه . » فضحك أبو جعفر وقال : « الدعاء الذي تطلبه غير مستجاب . فإني دعوت الله به أن لا أراك فلم يستجب لي . وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً وتعال إذا شئت ، لقد أعيتنا الحيلة فيك . » .

الصبر والرزق الحلال

دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد ، وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد : أمسك علي بغلتي . فأخذ الرجل

لجامها ، ومضى وترك البغلة ؛ فخرج علي وفي يده درهمان ليكافىء بهما الرجل على إمساكه بغلته ، فوجد البغلة واقفة بغير لجام ؛ فركبها ومضى ، ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاماً ؛ فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين ، فقال علي رضي الله عنه : إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ، ولا يزداد على ما قدر له .

أتدري من أنا

خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابي . فقال : «يا أعرابي ، هل من قرى ؟ » فأخرج له قرص شعير فأكله ، ثم أخرج له فضلاً من لبن فسقاه ، ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه . فلما شرب قال : « أتدري من أنا ؟

ـ لا .

ـ أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة .

ـ بارك الله لك في موضعك . » ثم سقاه مرّة أخرى فشرب . فقال :

« يا أعرابي ، أتدري من أنا ؟

ـ زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة .

ـ لا ! أنا من قوّاد أمير المؤمنين .

ـ رحبت بلادك وطاب مرادك . » ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال :

« يا أعرابي ، أتدري من أنا ؟

ـ زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين .

ـ لا ! ولكنني أمير المؤمنين . »

فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها وقال : « إليك عني . فوالله لو شربت الرابعة لادّعيت أنك رسول الله . » فضحك المهدي حتى غشي عليه . ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأعيان والأشراف فطار قلب الأعرابي . فقال له : « لا بأس عليك ولا خوف . » ثم أمر له بكسوة ومال جزيل .

الإيثـــار

عن حذيفة العدوى ؛ أنه قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب إبن عم لي في القتلى ؛ ومعي شيء من الماء ، وأنا أقول . إن كان به رمق سقيته . فإذا أنا به محتضر بين القتلى ، فقلت له : أأسقيك ؟ فأشار إلـيّ أن نعم . فإذا برجل يقول آه . فأشار إلـيّ إبن عمي أن أنطلق إلية وأسقه . فإذا هو هشام بن العاص ؛ فقلت : أأسقيك ؟ فأشار إلـيّ أن نعم ؛ فسمع آخر يقول آه ؛ فأشار إلـيّ أن أنطلق إليه ؛ فجئته فإذا هو قد مات ؛

فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ؛ فرجعت إلى إبن عمي فإذا هو قد مات .

وحكى أبو محمد الأزدي قال لما احترق المسجد بمرو ؛ ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه ؛ فأحرقوا خاناتهم ؛ فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات ؛ وكتب رقاعاً ؛ فيها القطع ، والجلد ، والقتل ؛ ونثرها عليهم ؛ فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها ؛ فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل ؛ فقال : والله ما كنت أبالي لولا أم لي . وكان بجنبه بعض الفتيان ؛ فقال له : في رقعتي الجلد وليس لي أم ؛ فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك . ففعل فقتل ذلك الفتى ، وتخلص هذا الرجل ! .

حلم الملوك

إشترى الرشيد فصاً ثميناً من الياقوت الأحمر بمئة ألف دينار . ثم ورثه المأمون وسلمه يوماً إلى صائغ كي يصوغه على كيفية مثلها له . فانصرف ولم يحضره . فاستبطأه المأمون واستدعاه . فدخل الصائغ وهو يرتعد وقد امتقع لونه . ففهم المأمون بالفراسة أن الفصَّ قد كسر منه . فولى عنه وجهه . فلما سكن جأشه أقبل عليه المأمون وقال له : أين الفص . فأخرج الرجل الفص أربع قطع وقال بخوف عظيم : سقط من يدي على السندان . فقال له

المأمون : لا بأس عليك يا هذا اجعله أربعة خواتم ولا تحمل هماً لما كان ، وألطف له في الكلام حتى ظن الحاضرون أنه كان يشتهي الفص هكذا .

هكذا تكون الصداقة

حدَّث واقد بن أبي مسلم قال : كان لي صديقان هاشميٌّ وتميمي ، وكنا في الصداقة كنفس واحدة . فنالتني في بعض السنين ضيقة عظيمة . فقالت لي امرأتي : يا هذا ترى العيد قد حضر وليس لنا شيء نعيد به ، أما نحن فنستطيع الصبر على الشدة وأما أولادنا فلا لأنهم يرون أولاد جيراننا ومعارفنا وقد تزينوا بالملابس الجديدة وهم فرحون بما اشتراه لهم أهلهم . فتقطع قلبي بكلامها لأني رأيته صواباً .

فكتبت إلى صديقي الهاشمي ووصفت له حالي وسألته أن يسعفني بما يمكنه من المال . فأنفذ إلي خريطة فيها ثلاثون ديناراً ، فلم أكد أستلمها حتى كتب لي صديقي التميمي يشكو إلي مثل ما شكوت أنا إلى صديقنا الهاشمي . فأرسلت إليه الخريطة على حالها وبقيت في بيتي حيران لا أدري ما أفعل . فبينما أنا كذلك إذ دخل علي الصديقان وبيد الهاشمي الخريطة ، فدعوتهما إلى الجلوس فجلسا ، ثم قال لي الهاشمي وقد علم ما جرى : يا صاح حيث إننا كلنا في ضيقة وليس لثلاثتنا غير هذا المال فهلم

نفتسمه . ثم إنه فتح الخريطة وقسم الدنانير ثلاثة أقسام كل منا أخذ حصته وتفرقنا . وبعد أيام اتصلت قصتنا بالمأمون ، فاستدعانا وأثنى على فعلنا وأمر لكل منا بألف دينار .

التقوى خير زاد

لما حضرت عبيد الله بن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً وأوصاه وقال له : يا بني أرى داعي الموت لا يقلع وبحق أن من مضى لا يرجع ومن بقي فإليه ينزع . يا بني ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية والشكر لله وصدق الحديث والنية فإن للشكر مزيداً والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بد أن يأتي قريب
ولكن الذي يمضي بعيد

بلال وأبو ذر

[كان] النبي ﷺ ، جالساً يوماً مع أصحابه . فإذا بلال ، مؤذن النبي ، مقبل وهو غضبان . فسلم ثم قال :

ـ يا نبي الله ! لقد جرى بيني وبين أبي ذر كلام .

فقال لي يا إبن الحمراء . وما أتم كلامه ، حتى جاء أبو ذر .

فقال له النبي : يا أبا ذر ! بلغني أنك اليوم عيّرت أخاك بأمه .

فقال : نعم .

فلامه النبي بقوله : إنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلّا أن تفضله بعمل .

فخاف أبو ذر من غضب النبي ، وعلم انه أساء إلى بلال . فرمى بنفسه على الأرض ، وقال لبلال : قم برجلك على خدي .

فأسرع بلال إليه وقبله

قال : قم يا أبا ذر ! غفر الله لك .

متى استعبدتم الناس

[جاء] رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا مستجير بك من الظلم .

قال عمر : وماذا جرى لك ؟

قال الرجل : جاريت إبن عمرو بن العاص ، فجعل يضرب رأسي ، ويقول : أنا ابن الأكرمين !!

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، يأمره أن يحضر مع إبنه فقدما من مصر إلى المدينة .

فقال عمر : أين المصري ؟ خذ العصا ، وأضرب إبن الأكرمين .

فأخذ يضربه أمام والده حتى انتهى .

فقال له عمر : ضعها على رأس أبيه .

فقال المصري : يا أمير المؤمنين ، إنما إبنه الذي ضربني ،

فقال عمر لعمرو : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً !!

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، لم أعلم بما جرى ، ولم يشك ذلك إلي .

لا سمعاً ولا طاعة

[أرسل] إلى عمر بن الخطاب قماش ليوزعه على المسلمين ، فأعطى كل رجل منه ما يكفي ثوباً واحداً . وأخذ عمر حصته

مثل واحد منهم . ثم خاطه ثوباً ، ولبسه ، وصعد المنبر في يوم جمعة يخطب في الناس .

فقال : أيها الناس .

فأجابه رجل : لا سمعاً ولا طاعة .

فقال عمر ولم يا رجل .

قال : لأنك أعطيت كل رجل من القماش ثوباً واحداً ، وأخذت أنت منه ما يكفي ثوبين ، ولهذا نرى ثوبك طويلاً .

فقال عمر : لا تعجل ، يا عبد الله بن عمر ! أجبه .

قال عبد الله : إني أعطيت ألي حصتي من القماش . ولهذا جاء ثوبه طويلاً .

فقال الرجل : أما الآن فالسمع والطاعة .

هكذا يكون الرجال

(ذهب) حذيفة العدوي ، بعد حرب اليرموك يفتش عن إبن عم له بين القتلى ، ومعه قليل من الماء فوجده يكاد يموت .

فقال له أسقيك ؟

فأشار إليه : نعم .

فإذا برجل بقربه يقول : آه .

فأشار إلى إبن عمه أن يذهب ويسقيه .

فذهب حذيفة حتى يسقيه ،

فسمعا رجلاً آخر يقول : آه .

فأشار إليه أن يذهب ويسقيه . فذهب حذيفة حتى يسقيه فوجده قد مات . .

فعاد حذيفة لابن عمه ، فوجده قد مات .

وجاء إلى الرجل الآخر فوجده قد مات أيضاً .

فقال : هكذا يكون الرجال .

خالد البطل

[أمر] أبو بكر الصديق خالداً بن الوليد ، أن يسير من العراق إلى الشام لمساعدة العرب في حرب الروم . فصمم خالد أن يقطع الصحراء هو وجنده . ولكن الطريق في الصحراء كانت طويلة وخطرة .

إختار خالد رجلاً اسمه رافع الطائي ، ليكون دليل الجيش في الصحراء .

وقال رافع لخالد : لا نقدر أن نسير في الصحراء بلا ماء .

فقال له خالد : إفعل ما ترى .

فأحضر رافع عدداً كبيراً من الجمال السمان الكبيرة وعطشها ، ثم سقاها حتى رويت ، وامتلأت كروشها ، وكمم أفواهها حتى لا تجتر .

ثم قال لخالد : سر بالجيش .

فكان كلما نزلوا في محطة ، ذبح بعض الجمال ، وأخرج الماء من كروشها ، وخلطها باللبن ، وسقى الخيل . وأما الناس فكانوا يشربون مما حملت الجمال من ماء في القرب .

وفي آخر يوم خاف خالد على الجيش ، وقال لرافع : ما عندك ؟

فأجابه : لا تخف فقد وصلت الماء ، وإذ نهر اليرموك يجري أمامهم ، والمسلمون حوله ففرح الجميع فرحاً عظيماً .

صبي بيع في السوق

أختطف صبي في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي . فحزنت عليه أمه حزناً شديداً ورفعت أمرها إلى السلطان وهي

تبكي وتندب ولدها . فرق لها قلبه ودمعت عيناه فأمر بالبحث عن الولد ، وإذ هو قد بيع في سوق القاهرة ، فأرسل في الحال بمن دفع ثمنه إلى المشتري ولم يزل واقفاً حتى جيء الغلام ، فسلمه إلى أمه وحملها على فرس إلى قومها مكرَّمة قريرة العين .

المرشد الأمين بالتعظيم فمين

كان من عادة الوزير نظام الملك أنه إذا دخل عليه أكابر المملكة يقوم لهم ثم يعود فيجلس في محله ، وكان له مرشد إذا دخل عليه يقوم ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه .

فقيل له في ذلك . فقال : إن أولئك إذا دخلوا عليَّ يمدحونني بما ليس فيَّ فيزيدني كلامهم عجباً وكبراً وأتمادى في المعاصي ، وأما هذا فيذكرني عيوبي ويرشدني إلى الخير فتنكسر نفسي لذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه .

سلسلة مختارات اسلامية

١ ـ أبو بكر الصديق
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ عثمان بن عفان
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ رمضانيات (١)
٦ ـ القدس في البال
٧ ـ الجيش في الإسلام
٨ ـ أعياد وتواريخ إسلامية
٩ ـ أحاديث إسلامية في الأخلاق والآداب
١٠ ـ أحكام الحج إلى بيت الله الحرام
١١ ـ أدعية وابتهالات
١٢ ـ كلمات ومواقف خالدة
١٣ ـ تأملات في الإسلام
١٤ ـ رمضانيات (٢)
١٥ ـ معارك إسلامية (١)
١٦ ـ معارك إسلامية (٢)
١٧ ـ أحاديث رمضانية
١٨ ـ قصص إسلامية (١)
١٩ ـ قصص إسلامية (٢)
٢٠ ـ الإسلام وشهر الصوم (١)
٢١ ـ الإسلام وشهر الصوم (٢)
٢٢ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (١)
٢٣ ـ التربية والتعليم في العصور الإسلامية (٢)
٢٤ ـ من قاموس الصائم
٢٥ ـ من روائع الفن الإسلامي (١)
٢٦ ـ من روائع الفن الإسلامي (٢)
٢٧ ـ من روائع الفن الإسلامي (٣)
٢٨ ـ ديار العرب والإسلام (١)
٢٩ ـ ديار العرب والإسلام (٢)
٣٠ ـ ديار العرب والإسلام (٣)

مختارات إسلامية

١ - التنس في البحار
٢ - الجيش في الإسلام
٣ - لمحات من تواريخ إسلامية
٤ - الحركات في الإسلام
٥ - من روائع الفن الإسلامي ١
٦ - من روائع الفن الإسلامي ٢
٧ - من روائع الفن الإسلامي ٣
٨ - من قاموس النائم
٩ - قصص إسلامية ١
١٠ - قصص إسلامية ٢